



تَعْظِمُ الدِّينَ

تأملات وقصائد

د. أحمد بن عبد المنعم

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك
كلية التربية - جامعة الملك سعود

مركز الوطن للدراسات

مكتبة
أسعد 1 مجتمعك
التربوية



تَعْظِيمُ الدِّينِ

تأملات وقصائد

د. أحمد بن عبد الله بن الزين

استاذ الدراسات الإسلامية المشارك
كلية التربية - جامعة الملك سعود



مركز الوطن للشؤون



حقوق الطبع
محفوظة

الطبعة الأولى

١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م



مَدَارُ الْوَطَنِ لِلنَّشْرِ

هاتف : ٠٠٩٦٦٤٧٩٢٠٤٢ (٥ خطوط)

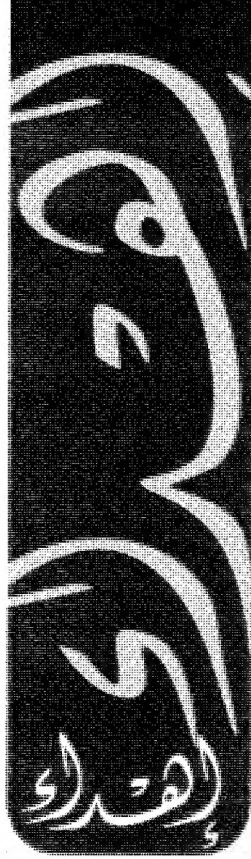
فاكس : ٠٠٩٦٦٤٧٣٩٤١

الموقع على الإنترنت :

www.madaralwatan.com

البريد الإلكتروني :

pop@madaralwatan.com



إلى والدي والدي
فيض الحب وضع العطاء
أسعدهم الله ونيلا آخرة. والمسلمين



ابنكم: أحمد

• المقدمة

الحمد لله الذي رفع السماء بقدرته وبسط الأرض بمشيئته، ومهدّها للسّلاك، وسخر الفلك، ومهدّ الملّك ودبّر الأملاك.

الحَيُّ القيومُ الذي لا تأخذه سنةٌ ولا نومٌ، الذي خلق الموت والحياةَ وقدر النجاةَ والهلاكَ.

الذي له الخلقُ والأمرُ، وبِيدِهِ الإِطلاقُ والإِمْساكُ، الذي أنشأ اللوحَ والقلمَ، وعَلَّمَ الإنسانَ ما لم يعلمْ، ووهبَ له العقلَ الكاملَ والفهمَ والإدراكَ...

والصلاةَ والسلامَ على البشيرِ النذيرِ والسراجِ المنيرِ، أعظمِ الخلقِ خشيةً لربِّهِ وتعظيمًا له، وتمجيدًا لجلالِهِ، وعبادةً وذكرًا وشكرًا ومحبةً وخوفًا ورجاءً ورغبًا ورهبًا.

واللهُ ﷻ هو أهلُ الثناءِ والمجدِ، وصاحبُ الجبروتِ والملَكوتِ والكبرياءِ والعظمةِ...

هو عالمُ السرِّ وأخفى، قيومُ السمواتِ والأرضِ، عالمُ الأسرارِ، مقيلُ العُثارِ، مدبّرُ الليلِ والنهارِ.

﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ﴾.

هو الأولُ فليس قبلَهُ شيءٌ، وهو الآخرُ فليس بعدهُ شيءٌ، وهو الظاهرُ فليس فوقَهُ شيءٌ، وهو الباطنُ فليس دونَهُ شيءٌ...

هو خيرُ المسؤولين، وأكرمُ المعطين، ورازقُ الناسِ أجمعين.
يعلمُ حوائجَ السائلين، وضمائرَ الصامتين، وأسرارَ صدورِ العالمين.
لا يزدادُ على كثرةِ السؤالِ إلَّا جودًا وكرمًا، ولا على كثرةِ الحوائجِ إلَّا
تفضلًا وإحسانًا.

هو العليُّ الكبيرُ، الوليُّ الحميدُ، العزيزُ المجيدُ، المبدئُ المعيدُ، الفعالُ لما
يريدُ، الحيُّ القيومُ، القويُّ المتينُ، العظيمُ الجليلُ، له الخلقُ والأمرُ، وبيدهُ
النفعُ والضرُّ، وله الحكمُ والتقديرُ، والملكُ والتدبيرُ، ليسَ له في صفاته شبيهةٌ
ولا نظيرُ، ولا له في آلهيته شريكٌ ولا ظهيرُ، ولا له في سلطانه وليٌّ ولا نصيرُ.

سبحانه من ملِكٍ ما أَمَنَعَهُ، وجوادٍ ما أَوْسَعَهُ، ورفيعٍ ما أَرْفَعَهُ، لا رادَّ
لمشيئته، ولا مبدِّلُ لِكَلِمَاتِهِ، قوله حُكْمٌ، وقضاؤه حَتْمٌ، وأمرُهُ رَشْدٌ، باهرُ
الآياتِ، فاطرُ السمواتِ، باريُّ السماتِ، مجيبُ الدعواتِ، مغيثُ اللهفاتِ،
مقيِلُ العثراتِ. أكبرُ من كلِّ شيءٍ، وأعظمُ من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ،
وأقدرُ من كلِّ شيءٍ، وأعلمُ من كلِّ شيءٍ، وأحكمُ من كلِّ شيءٍ.

قال ابن القيم في صفة عظمة الله ﷻ:

«يدبِّرُ أمرَ الممالكِ، ويأمرُ وينهى، ويخلقُ ويرزقُ، ويميتُ ويحيي،
ويقضي وينفِّذُ، ويُعزِّزُ ويذلُّ، ويقلِّبُ الليلَ والنهارَ، ويدَّاولُ الأيامَ بينَ الناسِ،
ويقلِّبُ الدُّولَ، فيذهبُ بدولةٍ، ويأتي بأخرى.

والرسلُ من الملائكةِ - عليهم الصلاة والسلام - بين صاعدٍ إليه بالأمرِ،
ونازلٍ من عنده به، وأوامره ومراسيمُهُ متعاقبةٌ على تعاقبِ الأوقاتِ، نافذةٌ

بحسب إرادته ومشئته، فما شاء كان كما شاء، في الوقت الذي يشاء، على الوجه الذي يشاء، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدّم ولا تأخّر، وأمره وسلطانه نافذ في السموات والأرض وأقطارها، وفي الأرض وما عليها وما تحتها، وفي البحار والجو، وفي سائر أجزاء العالم وذراته، يُقلبها ويصرفها، ويُحدث فيها ما يشاء، وقد أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً، ووسع كل شيء رحمةً وحكمةً، ووسع سمعه الأصوات، فلا تختلف عليه ولا تشبه عليه، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها، فلا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه كثرة المسائل، ولا يتبرّم بالحاح الملحين ذوي الحاجات.

وأحاط بصره بجميع المراتب، ف يرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء، فالغيب عنده شهادة، والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر؛ فالسر: ما انطوى عليه ضمير العبد، وخطر بقلبه، ولم تتحرك به شفتاه، وأخفى منه: ما لم يخطر بقلبه بعد، فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا في وقت كذا وكذا.

وله الخلق والأمر، وله الملك وله الحمد، وله الدنيا والآخرة، وله النعمة، وله الفضل، وله الثناء الحسن، وله الملك كله، وله الحمد كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، شملت قدرته كل شيء، ووسعت رحمته كل شيء، ووسعت نعمته إلى كل حي.

﴿يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩]: يغفر ذنباً، ويفرج همّاً، ويكشف كرباً، ويجبر كسيراً، ويغني فقيراً، ويعلم جاهلاً،

ويهدي ضالًّا، ويُرشِدُ حيرانًا، ويغيثُ هَفَانًا، وَيَقْضِي عَانِيًا، وَيُسَبِّحُ جَائِعًا، وَيَكْسُو عَارِيًا، ويشفي مريضًا، ويُعافي مبتلى، ويقبل تائبًا، ويجزي محسنًا، وينصرُ مظلومًا، ويقصمُ جبارًا، ويقيل عثرةً، ويستُرُّ عورةً، ويؤمِّن روعةً، ويرفعُ أقوامًا، ويضع آخرين.

لا ينام، ولا ينبغي له أن ينام، يخفضُ القسطَ ويرفعه، يُرْفَعُ إليه عملُ الليل قبلَ عملِ النهار، وعملُ النهار قبلَ عملِ الليل، حجابه النور، لو كشفه لأحرقتْ سُبحاتُ وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

يمينه مَلَأَى، لا تَغِيضُهَا نَفَقَةٌ، سَحَاءُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ الْخَلْقَ، فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ.

قلوبُ العبادِ ونواصيهم بيده، وَأَزِمَّةُ الْأُمُورِ مَعْقُودَةٌ بِقَضَائِهِ وَقَدَرِهِ، الْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ، يَقْبِضُ سَمَوَاتِهِ كُلَّهَا بِيَدِهِ، وَالْأَرْضُ بِالْيَدِ الْآخَرِ، ثُمَّ يَهْرُجُنَّ، ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الْمَلِكُ، أَنَا الَّذِي بَدَأْتُ الدُّنْيَا وَلَمْ تَكُنْ شَيْئًا، وَأَنَا الَّذِي أَعِيدُهَا كَمَا بَدَأْتُهَا.

لا يتعاطمه ذنبٌ أن يغفره، ولا حاجةٌ يُسألها أن يعطيها.

لو أن أهلَ سمواتِهِ، وأهلَ أرضِهِ، وأوَّلَ خلقِهِ وآخرَهُم، وإنْسَهُم وجَنَّتَهُم، كانوا على أَتَقَى قلبٍ رجلٍ منهم، ما زاد ذلك في ملكِهِ شَيْئًا، ولو أنَّ أوَّلَ خلقِهِ وآخرَهُم، وإنْسَهُم وجَنَّتَهُم، كانوا على أَفْجَرِ قلبٍ رجلٍ منهم، ما نقصَ ذلك من ملكِهِ شَيْئًا، ولو أنَّ أهلَ سمواتِهِ، وأهلَ أرضِهِ، وإنْسَهُم وجَنَّتَهُم، وحيَّهم وميَّتهم، كانوا على أَفْجَرِ قلبٍ رجلٍ منهم، ما نقصَ ذلك

من ملكه شيئاً، ولو أن أهل سمواته، وأهل أرضه، وإنسهم وجنهم، وحيهم وميتهم، ورطبهم ويابسهم، قاموا في صعيد واحد، فسألوه فأعطى كلًّا منهم مسألته، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة.

ولو أن أشجار الأرض كلها - من حين وجدت إلى أن تنفضي الدنيا - أقلام، والبحر وارهؤه سبعة أبحر تمده من بعده مداد، فكتب بتلك الأقلام، وذلك المداد، لفنيت الأقلام ونفذ المداد، ولم تنفذ كلمات الخالق تبارك وتعالى.

وكيف تفنى كلماته جلّ جلاله وهي لا بداية لها ولا نهاية؟! والمخلوق له بداية ونهاية، فهو أحقّ بالفناء والنفاذ، وكيف يفني المخلوق غير المخلوق؟! المخلوق؟!

هو الأوّل الذي ليس قبله شيء، والآخر الذي ليس بعده شيء، والظاهر الذي ليس فوقه شيء، والباطن الذي ليس دونه شيء.

تبارك وتعالى، أحقّ من ذكر، وأحقّ من عبد، وأحقّ من محمد، وأولى من شكر، وأنصر من ابتغي، وأراف من ملك، وأجود من سئل، وأعفى من قدر، وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم.

حكمه بعد علمه، وعفوه بعد قدرته، ومغفرته عن عزّته، ومنعه عن حكمته، وموالاه عن إحسانه ورحمته.

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ كَلَّا وَلَا سَعْيَ لِنَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عُدُّوا فِعْلِيلِهِ، أَوْ نَعَّمُوا فَيَفْضِلُهُ، وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ

هو الملك الذي لا شريك له، والفردُ فلا ندَّ له، والغنيُّ فلا ظهيرَ له، والصمدُ فلا ولدَ له، ولا صاحبةَ له، والعلِيُّ فلا شبيهَ له، ولا سميَّ له، كلُّ شيءٍ هالكٌ إلا وجهه، وكلُّ مُلكٍ زائلٌ إلا ملكه، وكلُّ ظلٍّ قالِصٌ إلا ظلُّه، وكلُّ فضلٍ منقطعٌ إلا فضله.

لن يُطاعَ إلا بفضلِهِ ورحمته، ولن يُعصى إلا بعلمِهِ وحكمته، يُطاعُ فيشكرُ، ويُعصى فيتجاوزُ ويغفرُ، كلُّ نعمةٍ منه عدلٌ، وكلُّ نعمةٍ منه فضلٌ، أقربُ شهيدٍ، وأدنى حفيظٍ، حالٌ دون النفوسِ، وأخذٌ بالنواصي، ونسخُ الآثارِ، وكتبُ الآجالِ، فالقلوبُ له مُفضِيَّةٌ، والسرُّ عنده علانيَّةٌ، والغيبُ عنده شهادةٌ، عطاؤه كلامٌ، وعذابه كلامٌ، ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] ^(١).

• أما بعد:

فإنَّ هذا الكتابَ يهدفُ إلى ترسيخِ أعظمِ قيمةٍ في حياةِ المسلمِ وهي العبوديةُ لله ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾

والعبوديةُ هي: الذلُّ والخضوعُ والانقيادُ لله ﷻ والافتقارُ التامُ إليه سبحانه، وتحقيقُ أنه لا معبودَ بحقٍ إلا الله، وهذا لا يكونُ إلا بتعظيمِ الله ﷻ المتضمنِ للخوفِ والرجاءِ والمحبةِ له تعالى وقد ذمَّ الله ﷻ من لا يعظمُهُ فقال: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾

وقال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾

(١) انظر: الوابل الصيب؛ لابن القيم (ص: ١٥)، وما بعدها.

فشأن الله أعظم من كل شيء، وعظمته الله ﷻ فوق كل تصدير وتقدير.

وقد جعلت هذا الكتاب - تعظيم الله - الأول في مكتبة اسعد مجتمعتك ليرسخ في الناس أن تعظيم الله ﷻ هو أعظم وسيلة توصل إلى سعادة الفرد والأسرة والمجتمع بل إلى سعادة البشرية كلها خصوصاً في زمن العولمة وحيث صار العالم قرية واحدة ضعف منه أثر الوسائل الخارجية لحماية ووقاية المجتمع من منع ومراقبة فصار لزاماً الاهتمام والتركيز التام على تقوية تعظيم الله في النفس بتقوية الوازع الديني ومراقبة الله في السر والعلن.

إن المعظم لله ﷻ متوازن من جميع الجوانب يحمل هم الآخرة ولا ينسى نصيبه من الدنيا، معظّم لأمر الله ونهيه في كل زمان ومكان، محقق لتوحيد الله على أكمل وجه سالم من الشرك بجميع صورته، مؤدٍ واجباته الدينية على أكمل وجه، من صلاة وزكاة وصيام وحج وغيرها من الفرائض والواجبات.

وهو كذلك من أعظم الناس تأديةً للحقوق وأعظمها: حق الوالدين، والأبناء والزوجة والأرحام والجيران والأصدقاء والأطفال والفقير وغيرهم. وكذلك فإنه يجتنب المحرمات التي نهى الله عنها من مسكرات ومخدرات وانحرافات جنسية، واعتداءات على الأنفس والأموال بالسرقة والرشوة وغيرها.

والمعظم لله ﷻ مجتنب لهذه المحرمات عبوديةً لله ﷻ خوفاً ورجاءاً ومحبة لله، ولذلك فإنه يجتنب المحرمات في سائر الأماكن داخل وطنه وخارجه، إذا

رآه الناس وإذا لم يَرَوْه، لأنه لا يراقبُ إلا الله ﷻ، فسلمَ بذلك من التناقضِ والازدواجية التي سيطرتُ على كثير من الناس.

وكذلك فإنَّ المُعظَّم لله ﷻ لا يقتصرُ على تركِ المحرماتِ الظاهرة فقط، بل يهتمُّ بتطهيرِ قلبه من المحرماتِ الباطنة كالكبر والغُلِّ والحسدِ والبغضاءِ والرياءِ والسمعةِ والغرورِ وغير ذلك.

وكذلك فإنه يهتمُّ بتحليةِ قلبه بالقيمِ والعباداتِ القلبية كالصدقِ والإخلاصِ والمحبةِ والصبرِ والتوكلِ والإنابةِ وغيرها.

والمُعظَّم لله ﷻ همُّه إقامةُ العبوديةِ لله تعالى في نفسه أولاً، وإسعادُ الآخرين بدخولهم فيها.

والمُعظَّم لله ﷻ مُعظَّمُ لجنابِ النبي ﷺ مدافعٌ عنه مُحِبٌّ له، يشرفُ بالتأسي به والانضواء تحتَ لوائه، ولذلك فإنه يقتدي به في كلِّ الأمور، ويدعو إلى سنته، ويبينُ فضائله ومحاسنه وكمالِ أخلاقه وآدابه ﷺ، وهو لا يُقدِّمُ على الكتابِ والسنةِ شيئاً من الآراءِ والأهواءِ والأقوالِ والعتاداتِ.

كما أنه ملتزمٌ بمنهجِ الوسطيةِ في عباداته وتعاملاته كُلِّها، سالمٌ من التطرفِ والغلوِّ والإرهابِ والبدعِ والضلالاتِ.

والمُعظَّم لله هو الساعي الحقيقيُّ لإعمارِ الوطنِ وتنميتهِ عبادةً لله في سائرِ المجالاتِ الاقتصاديةِ والإداريةِ والاجتماعيةِ والسياسيةِ والصحيةِ والتعليميةِ والأمنيةِ وفُقِّ الكتابِ والسنةِ، حيث يجعلُ من هذه الحياةِ مزرعةً للآخرةِ وممراً إليها.

ولذلك فإنه من أكثر الناس إتقاناً لعمله وإحساناً له. كما أنه لا ييخلُ بالخير على الناس، بل يدلُّ الناس على كلِّ خير؛ طلباً لمرضاتِ الله، ويغلُقُ كلَّ بابٍ من أبوابِ الضررِ والفسادِ والإيذاءِ وذلك؛ لأنه من أصدقِ الناس نصيحاً لمجتمعه ووطنه .

المُعْظَّمُ لله يتفاعل مع مجتمعه بأمره بالمعروف، ونهيه عن المنكر، واصلُّ لرحمه، راعٍ لجاره، مساعدٌ للمحتاج، زائرٌ للمريض، مصلحٌ بين المتخاصمين، مشاركٌ في أفراح مجتمعه.

والمُعْظَّمُ لله يعملُ بشمولية الإسلام الواسعة، ويرسخُ مبادئه في كلِّ الأمور، ويدخلُ في السَّلمِ كافة، ولا يختزلُ الدينَ في قضايا يحدُّها لنفسه، أو يحدُّها له غيره، وإنما يُعْظِمُ ما عظمه الله ورسوله، لا ما عظمته الأهواء والعادات والتقاليدُ والمجتمعُ والبيئة، وما تفرضه العولمةُ في واقعنا المعاصر. وهو من خلال ذلك يُقدِّمُ مصلحةَ الأمة والمجتمع على مصالحِ الشخصية الفردية المحدودة.

إنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ الله ﷻ يعالجُ كثيراً من مشاكلِ المجتمعِ الأمنية والاقتصادية والإدارية بأيسرِ السبلِ وأقلِّ التكاليفِ والأعباءِ على الدولة.

وكذلك فإنَّ ترسيخَ قيمةِ تعظيمِ الله في النفوسِ تعالجُ كثيراً من المشكلاتِ الاجتماعية كعقوقِ الوالدين وقطيعةِ الرحم وظلمِ المرأة والعنفِ الأسريِّ وانتهاكِ الأعراضِ وغير ذلك من الاعتداءِ على الأنفسِ والأموالِ الخاصةِ والعامَةِ وغير ذلك من المشكلاتِ، حيث لا توجدُ مشكلةٌ إلَّا ومن أعظمِ أسبابها ضعفُ تعظيمِ الله ﷻ في النفوسِ، وقد رأينا أنَّ هذه القيمةَ لما

ترسّخت في نفوس الجيل الأول في عصر النبوة وعصر الخلافة الراشدة ومن بعدهم أنتجت أمة ضربت أروع الأمثلة في الطهارة والاستقامة والأمانة وأداء الواجبات والابتعاد عن المحرمات والوصول إلى أعظم مظاهر المدنية والحضارة.

وهذا الكتاب هو تأملات في تعظيم الله ﷻ من خلال تدبر الآيات القرآنية والأحاديث النبوية في الله وأسمائه وصفاته، وما سطره العلماء الربانيون في بيان عظمة الله وغناه المطلق.

وكذلك ما كتبه الشعراء في قصائد في تعظيم الله ﷻ، وقد جمعت ما تيسر منها في هذا الكتاب وهذا العمل هو جزء من مشروع أسعد مجتمعتك. ويحدوني الأمل أن نشرك جميعاً دعاة وخطباء ومفكرون وكتاب وإعلاميون ورجال أعمال في ترسيخ قيمة تعظيم الله بكل الوسائل المتاحة المقرّوة والمسموعة والمرئية ومثل ذلك أن نطبّقها في سائر مجالات حياتنا ليققدوا بنا.

أسأل الله أن يبارك في الجهود وأن يسعد الجميع دنيا وآخرة.

د. أحمد بن عبد المنعم الزيد

أستاذ الدراسات الإسلامية المشارك
كلية التربية - جامعة الملك سعود

aalmazayad@ksu.edu.sa

● عبادة التعظيم

إن تعظيم الله ﷻ من أعظم العبادات التي غفل عنها كثير من الناس، فساءت أحوالهم، وانقلبت موازينهم، وتلاعبت بهم الشياطين والأهواء والأنفس الأمارّة بالسوء.

فالتوحيد الذي هو رأس الأمر هو الأصل في تعظيم الله ﷻ فالله ﷻ أعظم من أن يُعبدَ معه غيره قال تعالى في الحديث القدسي: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه» [مسلم].

ولما عبد قوم نوح الأصنام أنكر عليهم نوح عليه السلام وقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]. قال ابن عباس ومجاهد: أي ما لكم لا ترجون لله عظمة، وقال سعيد بن جبیر: ما لكم لا تُعظّمون الله حقَّ عظمته، وقال الكلبي: لا تخافون لله عظمة^(١).

وهدهد سليمان عليه السلام لما كان معظماً لله ﷻ استنكر أن يعبد قوم الشمس من دون الله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَدْتُ أُمَّرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [٢٣] وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيَاطِينُ أَعْمَلُهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ [٢٤] أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ [٢٥] اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿[النمل: ٢٣-٢٦].

حتى الجُمادات فإنها تستبشعُ افتراء الكذب على الله وادعاء أن له ولداً

تعظيمًا لله ﷻ وإجلالاً له: ﴿ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ۚ لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا ۚ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا ۚ أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا ۚ وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ۚ ﴾ [مريم: ٨٨-٩٢].

قال الضحاك بن مزاحم في قوله تعالى: ﴿ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْهُ ۚ ﴾ أي: يَتَشَقَّقْنَ من عظمة الله ﷻ^(١).

فعظمة الله تعالى متقرّرة لدى هذه الأجرام العظيمة، ولذلك فإنها لا تطيق هول تلك الكلمة الشنيعة وهي نسبة الولد إلى الله تعالى، ولولا حلم الله تعالى لخرّ العالم وتبددت قوائمه غضباً على من تفوّه بها.

قال محمد بن كعب: كاد أعداء الله أن يُقيموا علينا الساعة.

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله علاقة التعظيم بالوحدانية فقال: «فمن اعتقد الوحدانية في الألوهية لله سبحانه وتعالى والرسالة لعبده ورسوله، ثم لم يتبع هذا الاعتقاد موجبه من الإجلال والإكرام، الذي هو حال في القلب يظهر أثره على الجوارح، بل قارنه الاستخفاف والتسفيه والازدراء بالقول أو بالفعل كان وجود ذلك الاعتقاد كعدمه، وكان ذلك موجبا لفساد ذلك الاعتقاد ومزيلا لما فيه من المنفعة والصلاح، إذ الاعتقادات الإيمانية تُركي النفوس وتصلحها، فمتى لم توجب زكاة النفس ولا صلاحها، فما ذاك إلا لأنها لم ترسخ في القلب»^(٢).

(١) الدر المنثور (٥/٥٤٤).

(٢) الصارم المسلول (١/٣٧٥).

ومن دلائل تعظيم الله ﷻ: عبودية الكائنات لله تعالى، وسجودها لعظمته سبحانه كما قال تعالى: ﴿الَّذِينَ رَأَوْا اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ، مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالْدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨].

وتعظيم الله ﷻ هو الذي يعطي العبادة روحها وجلالها، وهو الذي يجعلها عبادة مقبولة خالصة صحيحة تامة الشروط والأركان، أمّا عبادة بلا تعظيم فإنها كالجسد بلا روح، ولذلك قال ابن القيم رحمه الله: «وروح العبادة هو الإجلال والمحبة، فإذا تخلّى أحدهما عن الآخر فسدت، فإذا اقترن بهذين الشئ على المحبوب المعظم فذلك حقيقة الحمد^(١)».

والنبي ﷺ لما سأله جبريل عن الإحسان قال: «أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»^(٢)، وهذه المراقبة في العبادة هي طريق التعظيم والإجلال لله تعالى. قال ابن رجب: «فقوله ﷺ في تفسير الإحسان: «أن تعبد الله كأنك تراه» إلخ، يشير إلى أن العبد يعبد الله على هذه الصفة، وهي استحضار قربه، وأنه بين يديه كأنه يراه، وذلك يوجب الخشية والخوف والهيبة والتعظيم»^(٣).



(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (٤٨)، ومسلم (٩).

(٣) جامع العلوم والحكم (١/١٢٦).

• تعظيم الله في أمهات العباداة

والنبي ﷺ أرشد إلى تعظيم الله ﷻ في أمهات العباداة، فالصلاة - وهي أعظم الشعائر التعبدية بعد الشهادتين كلها - قائمة على التعظيم لله ﷻ، وكان ﷺ يستفتح الصلاة بعبارات التعظيم والتمجيد والإجلال لله ﷻ. ففي السنن عن عائشة وأبي سعيد أن النبي ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وبحميدِكَ وتبارك اسمُكَ، وتعالى جدُّكَ ولا إله غيرُكَ»^(١).

وفي صحيح مسلم عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: «وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وما أنا من المُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لَا شَرِيكَ لَهُ وبذلك أُمِرْتُ وأنا من المُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، واعترفُ بذنبي فاغفرْ لي ذنوبي جميعًا إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذَّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، واهدني لأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، واصرفْ عني سيئَهَا لَا يَصْرِفُ عني سيئَهَا إِلَّا أَنْتَ، لبيك وسعديك، والخيرُ كُلُّهُ في يديكَ، والشرُّ ليس إليك، أنا بك وإليك، تباركت وتعاليت، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ»^(٢).

وفي الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصَّلَاةِ في جوف الليل قال: «اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ أَنْتَ نُورُ السَّمَوَاتِ

(١) أخرجه الترمذي (٢٢٥)، والنسائي (١٨٩).

(٢) رواه مسلم (١٢٩٠)، والترمذي (٣٣٤٤).

والأرضِ وَمَنْ فِيهِنَّ وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ قَيَّامُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، وَلَكَ الْحَمْدُ، أَنْتَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ فِيهِنَّ، أَنْتَ الْحَقُّ، وَوَعْدُكَ الْحَقُّ، وَقَوْلُكَ الْحَقُّ، وَلِقَاؤُكَ حَقٌّ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ، وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبِيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ حَقٌّ، وَالسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أُنَبِّتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، وَإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاعْفُرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، أَنْتَ إِلَهِي لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»^(١).

فهو ﷺ أعظمُ الناسِ تعظيماً لربِّه تعالى، وأحسنُهم ثناءً عليه وافتقاراً إليه ورغبةً في فضله ورهبةً من عذابه. وفتحة الكتاب كذلك من أعظم ما عَظَّمَ به الله تبارك وتعالى، ولذلك جاء في الحديث القدسي: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نَصْفَيْنِ، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله تعالى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ قال الله تعالى: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ قال: مَجَّدَنِي عَبْدِي - وَقَالَ مَرَّةً فَوْضَ إِلَيَّ عَبْدِي - فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ قال: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾^(٢) صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ» قال: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»^(٣).

(١) رواه البخاري (١٠٥٣)، ومسلم (١٢٨٨).

(٢) صحيح مسلم (ح ٥٩٨) كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة، وسنن الترمذي (٢٨٧٧)، وسنن النسائي (٩٠٠)، وأبي داود (٦٩٩)، وابن ماجه (٧٧٤)، وأحمد (٩٥٥٢).

والركوع كذلك من مواضع تعظيم الله ﷻ في الصلاة؛ لقوله ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب»^(١). وفي السنن عن حذيفة رضي الله عنه أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ» ثلاث مرَّاتٍ، وإذا سجد قال: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى» ثلاث مرَّاتٍ^(٢).

وهذا يدلُّ على أنَّ التعظيم يكون في الركوع والسجود، إلَّا أنَّه في الركوع يكون الثناء والتعظيم أكثر، أما السجود فيكون فيه التسبيح الذي هو تعظيم لله ﷻ ويكون فيه الدعاء والمسألة قال ﷺ: «أما الركوع فعظموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فَقَمِنْ أَنْ يُسْتَجَابَ لَكُمْ»^(٣).

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يُكثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي»^(٤). وعنهما رضي الله عنهما قالت: كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: «سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلَائِكَةِ وَالرُّوحِ»^(٥).

وكذلك جعل النبي ﷺ ذِكْرَ ما بعد الرفع من الركوع منصباً على تعظيم الله جلَّ وعلا، فعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمَاوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا بَيْنَهُمَا، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ

(١) مسند أحمد (١٨٠١)، ومسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٧٤٢)، والنسائي (١٠٤٥).

(٢) الترمذي (٢٦١)، وابن ماجه (٨٨٨).

(٣) مسلم (٤٧٩)، النسائي (١٠٤٥)، أحمد (١٨٠١).

(٤) البخاري (٧٦١)، مسلم (٤٨٤).

(٥) مسلم (٤٨٧)، النسائي (١١٣٤)، أبو داود (٨٧٢).

العبد، وكلُّنا لك عبدٌ، اللَّهُمَّ لا مانعَ لما أعطيتَ، ولا مُعطيَ لما منعتَ، ولا ينفعُ ذا الجَدِّ منك الجدُّ»^(١).

أما الحجُّ: فإنه كذلك من العباداتِ التي يَتَجَلَّى فيها تعظيمُ الربِّ - جلَّ جلاله - في كلِّ منسكٍ من مناسكِهِ، فإنَّ هناك كثيرًا من أفعالِ الحجِّ غيرُ معقولةٍ المعنى، غير أنَّ المعنى الذي يجمعُها جميعًا هو الطاعةُ المطلقةُ والتعظيمُ المطلقُ لله تعالى، فالطوافُ يكونُ حولَ البيتِ الذي هو من الحجارة، والحجرُ الأسودُ يُقبَلُ مع كونه حجرًا، ورَمِي الجِمارُ إنما هو حَجَرٌ يُرمى به حَجَرٌ، فما الذي جعلَ هذا الحَجَرَ يُرمى وهذا الحَجَرُ يُقبَلُ، وهذا الحَجَرُ يُطافُ حوله سوى العبوديةِ المحضةِ والتعظيمِ الخالصِ لله تعالى!

وفي التلبيةِ التي هي شعارُ الحجِّ أعظمُ عباراتِ الثناءِ والتعظيمِ لله ﷻ: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لا شريكَ لك لبيك، إِنَّ الحمدَ والنَّعمةَ لك والملكُ، لا شريكَ لك».

ذكر ابنُ القيمِ رحمه الله في معنى التلبيةِ كلامًا جميلًا نذكرُ منه ما يدلُّ على تعظيمِ الربِّ تعالى، حيثُ ذكرَ من مَعَانِيهَا: إجابةٌ لك بعدَ إجابةٍ، أو انقيادًا لك بعدَ انقيادٍ، أي انقادتُ لك، وَسَعَتْ نَفْسِي خاضعةً ذليلةً، أو حبًّا لك بعدَ حبٍّ، أو أخلَصْتُ لُبِّي وَقَلْبِي لك، فهي شعارُ التوحيدِ ملةَ إبراهيمَ الذي هو روحُ الحجِّ ومقصدهُ، بلُ روحُ العباداتِ كُلِّها والمقصودُ منها، ولهذا كانت التلبيةُ مفتاحَ هذه العبادةِ التي يُدْخَلُ فيها بها.

(١) البخاري (١٥٤٩)، مسلم (١١٨٤)، أبو داود (١٧٤٧).

وكذلك فإنَّها مشتملةٌ على الاعترافِ للهِ بالنَّعمةِ كُلِّها، ولهذا عَرَفَها باللامِ المفيدةِ للاستغراقِ ، أي النعمُ كُلُّها لك وأنت مُولِيتها والمنعمُ بها. ومشملةٌ كذلك على الاعترافِ بأنَّ المُلكَ كُلَّهُ للهِ وحده، فلا مُلكَ على الحقيقةِ لغيره.

واللهُ سبحانه يفرِّقُ في صفاته بين الملكِ والحمدِ، وسَوَّغَ هذا المعنى أنَّ اقترانَ أحدهما بالآخرِ من أعظمِ الكمالِ والملكِ. والملكُ وحده كمالٌ، والحمدُ كمالٌ، واقترانُ أحدهما بالآخرِ كمالٌ، فإذا اجتمعَ الملكُ المتضمَّنُ للقدرةِ، مع النعمةِ المتضمَّنةِ لغايةِ النفعِ والإحسانِ والرحمةِ، مع الحمدِ المتضمَّنِ لعامةِ الجلالِ والإكرامِ الداعي إلى محبَّته، كان في ذلك من العظمةِ والكمالِ والجلالِ ما هو أولى به وهو أهلهُ^(١).



(١) تهذيب سنن أبي داود (١/٢٢٤-٢٢٩) باختصار.

• حقيقة تعظيم الله تعالى

ذكر الهروي رحمه الله في (منازل السائرين) حقيقة تعظيم الله تعالى فقال: «تعظيم الحق سبحانه هو ألا يجعل دونه سبباً، ولا يرى عليه حقاً، أو ينازع له اختياراً».

وهذا من دُرر كلامه رحمه الله، وقد شرّحه الإمام ابن القيم فقال: «هذه الدرجة تتضمن تعظيم الحاكم سبحانه صاحب الخلق والأمر... وذكر من تعظيمه ثلاثة أشياء:

أحداها: أن لا تجعل دونه سبباً، أي لا تجعل للوصلة إليه سبباً غيره، بل هو الذي يوصل عبده إليه، فلا يوصل إلى الله إلا الله، ولا يقرب إليه سواه، ولا يدين إليه غيره، ولا يتوصل إلى رضاه إلا به، فما دلّ على الله إلا الله، ولا هدى إليه سواه، ولا أدنى إليه غيره، فإنه سبحانه هو الذي جعل السبب سبباً، فالسبب وسببته وإيصاله كله خلقه وفعله.

الثاني: أن لا يرى عليه حقاً، أي لا ترى لأحد من الخلق لا لك ولا لغيرك حقاً على الله، بل الحق لله على خلقه وفي أثر إسرائيل: أن داود عليه السلام قال: يا رب بحق آبائي عليك. فأوحى الله إليه: يا داود! أي حق لأبائك علي؟ ألسنت أنا الذي هديتهم ومننت عليهم واصطفيتهم ولي الحق عليهم.

وأما حقوق العبيد على الله تعالى؛ من إثابة لمطيعهم، وتوبته على تائبهم، وإجابته لسائلهم، فتلك حقوق أحقها الله سبحانه على نفسه بحكم وعده وإحسانه، لا أنها حقوق أحقوها هم عليه، فالحق في الحقيقة لله على عبده.

وَحَقُّ الْعَبْدِ عَلَيْهِ هُوَ مَا اقْتَضَاهُ جُودُهُ وَبِرُّهُ وَإِحْسَانُهُ إِلَيْهِ بِمَحْضِ جُودِهِ وَكَرَمِهِ، هَذَا قَوْلُ أَهْلِ التَّوْفِيقِ وَالْبَصَائِرِ.

الثالث: وأما قوله: ولا يَنَازِعُ لَهُ اخْتِيَارًا، أي إذا رَأَيْتَ اللَّهَ ﷻ قد اخْتَارَ لَكَ، أو لغيرِكَ شيئًا؛ إما بأمرِهِ ودينِهِ، وإما بِقَضَائِهِ وَقدرِهِ، فلا تَنَازِعَ اخْتِيَارَهُ، بل اَرْضَ بِاخْتِيَارِ مَا اخْتَارَهُ لَكَ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ تَعْظِيمِهِ سُبْحَانَهُ. وَلَا يَرُدُّ عَلَيْهِ قَدْرُهُ عَلَيْهِ مِنَ الْمَعَاصِي، فَإِنَّهُ سُبْحَانَهُ وَإِنْ قَدَّرَهَا لَكِنَّهُ لَمْ يَخْتَرْهَا لَهُ، فَمَنَازَعْتُهَا غَيْرُ اخْتِيَارِهِ مِنْ عِبْدِهِ، وَذَلِكَ مِنْ تَمَامِ تَعْظِيمِ الْعَبْدِ لَهُ سُبْحَانَهُ»^(١).

وَالْمُؤْمِنُ - مِنْ تَعْظِيمِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى - يَرَى الْخَيْرَ فِي كُلِّ مَا يَأْتِي بِهِ اللَّهُ ﷻ، وَيَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرِيدُ بِهِ الْخَيْرَ وَالْيُسْرَ وَالْفَلَاحَ الَّذِي قَدْ يَأْتِي فِي ثَوْبِ الْبَلَاءِ وَالشَّدَةِ وَالضِّيقِ، وَلِذَلِكَ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنْ أَمَرَهُ كُلُّهُ خَيْرٌ، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ، إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكَانَ خَيْرًا لَهُ»^(٢).

إِنْ غَيْرَ الْمُؤْمِنِ لَا يَصِيبُهُ مِنْ هَذَا الْخَيْرِ شَيْءٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يُعَظِّمُ اللَّهَ تَعَالَى وَلَا يَرْضَى بِقَضَائِهِ، وَيَرَى لِنَفْسِهِ الْحَقَّ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى، كَمَا قَالَ صَاحِبُ الْجَنَّتَيْنِ: ﴿وَلَيْنَ رُودَتْ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا﴾ [الكهف: ٣٦].

أَمَّا الْمُؤْمِنُ الْمُعَظَّمُ لِرَبِّهِ - تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فَإِنَّهُ يَرْضَى بِمَا قَدَّرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَيَصْبِرُ عَلَى الْبَلَاءِ، وَيَسْأَلُ رَبَّهُ أَنْ يَرْفَعَ عَنْهُ هَذَا الْبَلَاءَ وَأَنْ يَثْبِتَهُ عَلَى الْحَقِّ،

(١) مدارج السالكين (٢/٥٠١).

(٢) أخرجه مسلم (٥٣١٨).

كما أنه يعودُ باللائمةِ في نزولِ هذا البلاءِ على نفسه، ويعلمُ أنه مستحقُّ له، وأنَّ اللهَ ﷻ لم يظلمه، وإنما ابتلاهُ بذنوبِهِ تنبيهاً وإيقاظاً حتى يتداركَ أمرَهُ، ويُصلَحَ شأنَهُ، كلُّ ذلكِ لأنه لا يرى لنفسِهِ حقاً على الله تعالى كما قال الناظمُ وأحسنُ:

مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ	كَلَّا وَلَا سَعْيٍ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ عُدُّبُوا فَبَعْدَ لَهُ أَوْ نَعَّمُوا	فَبِفَضْلِهِ وَهُوَ الْكَرِيمُ الْوَاسِعُ



• من معاني اسم الله (العظيم)

من أسماؤه تعالى: (العظيم) قال تعالى: ﴿وَلَا يُوَدُّهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، وقال: ﴿إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ﴾ [الحاقة: ٣٣].

قال الزَّجَّاجُ: العظيمُ: المُعَظَّمُ في صفةِ الله تعالى، يفيدُ عِظَمَ الشَّانِ والسلطانِ، وليس المرادُ به وصفه بعظم الأجزاء؛ لأن ذلك من صفاتِ المخلوقين تعالى الله عن ذلك علوًّا^(١).

قال الشيخُ السعديُّ رَحِمَهُ اللهُ: «العظيمُ الجامعُ لجميعِ صفاتِ العظمة والكبرياءِ، والمجدِّ والبهاءِ الذي تحبُّه القلوبُ، وتعظَّمُه الأرواحُ، ويعرفُ العارفونَ أنَّ عظمةَ كلِّ شيءٍ، وإن جَلَّتْ في الصفةِ، فإنها مُضْمَحَلَةٌ في جانبِ عظمةِ العليِّ العظيمِ.

واللهُ تعالى عظيمٌ له كلُّ وصفٍ ومعنىٍ يوجبُ التعظيمَ، فلا يقدرُ مخلوقٌ أن يُثَنِّيَ عليه كما ينبغي له، ولا يُحْصِي ثَنَاءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه، وفوقَ ما يُثَنِّي عليه عباده.

• واعلمْ أنَّ معاني التعظيمِ الثابتةَ لله وحده نوعانِ:

أحدهما: أنه موصوفٌ بكلِّ صفةٍ كمالٍ، وله من ذلك الكمالِ أكملُهُ، وأعظمُهُ وأوسعُهُ، فله العلمُ المحيطُ، والقدرةُ النافذةُ والكبرياءُ والعظمةُ، ومن عظمته أنَّ السمواتِ والأرضَ في كفِّ الرحمنِ، أصغرُ من الخردلةِ، كما قال ابنُ عباسٍ وغيرُهُ، وقال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا

(١) تفسير أسماء الله الحسنَى للزجاج (ص: ٤٦).

قَبَضَتْهُ. يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ ﴿[الزمر: ٦٧]، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِنْ زَالَتَا إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٤١]، وقال تعالى وهو العليُّ العظيم: ﴿تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ﴾ الآية [الشورى: ٥].

وفي الصحيح عنه ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا عَذَبْتُهُ»^(١)، فله تعالى الكبرياءُ والعظمةُ، والوصفان اللذان لا يُقدَّرُ قدرُهُما ولا يُبلَّغُ كُنْهُهُما.

النوع الثاني من معاني عظمته تعالى: أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُّ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَعِظَّمَ كَمَا يَعِظَّمُ اللَّهُ؛ فَيَسْتَحِقُّ - جَلَّ جَلَالُهُ - مِنْ عِبَادِهِ أَنْ يَعِظَّمُوهُ بِقُلُوبِهِمْ، وَأَلْسِنَتِهِمْ، وَجَوَارِحِهِمْ؛ وَذَلِكَ بِبَذْلِ الْجُهْدِ فِي مَعْرِفَتِهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَالدَّلِّ لَهُ، وَالانْكِسَارِ لَهُ، وَالْخُضُوعِ لِكِبْرِيَائِهِ، وَالْخَوْفِ مِنْهُ، وَإِعْمَالِ اللِّسَانِ بِالثَّنَاءِ عَلَيْهِ، وَقِيَامِ الْجَوَارِحِ بِشُكْرِهِ وَعِبُودِيَّتِهِ. وَمِنْ تَعْظِيمِهِ: أَنْ يُتَّقَى حَقُّ تَقَاتِهِ؛ فَيُطَاعَ فَلَا يُعْصَى، وَيَذَكَّرَ فَلَا يُنْسَى، وَيُشْكَرُ فَلَا يُكْفَرُ.

وَمِنْ تَعْظِيمِهِ: تَعْظِيمُ مَا حَرَّمَهُ وَشَرَعَهُ مِنْ زَمَانٍ وَمَكَانٍ وَأَعْمَالٍ: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمِ شَعِيرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظَّمِ حُرْمَتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ [الحج: ٣٠].

وَمِنْ تَعْظِيمِهِ: أَنْ لَا يُعْتَرَضَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا خَلَقَهُ أَوْ شَرَعَهُ^(٢).

(١) رواه أبو داود (٣٥٦٧)، وابن ماجه (٤١٦٤).

(٢) الحق الواضح المبين (ص: ٢٧-٢٨).

وعظمةُ الله سبحانه وتعالى لا تكيفُ ولا تحدُّ، ولا تمثُلُ بشيءٍ، ويجبُ على العبادِ أن يعلمُوا أنه سبحانه عظيمٌ كما وصفَ نفسه بذلك، ووصفه به رسوله ﷺ بلا كيفيةٍ ولا تحديدٍ، وقد وردَ عن النبي ﷺ أنه قال: «تفكروا في آلاءِ الله ولا تفكروا في الله»، وفي لفظ: «تفكروا في خلقِ الله ولا تفكروا في الله».



● من شواهد العظمة

هذا الكون مليءٌ بالشواهد التي تدلُّ على عظمة الخالق ﷻ، وكل شاهدٍ من هذه الشواهد يوصلُ إلى الذي يليه، حتى يصل الأمرُ إلى الشاهد الأكبر، وهو شهودُ جلالِ الربِّ - تبارك وتعالى - وعظمته، وقديماً قال الأعرابيُّ: «البغرةُ تدلُّ على البعير، ومسيرُ الأقدامِ يدلُّ على المسير، فسماءُ ذاتُ أبراجٍ، وأرضُ ذاتُ فجاجٍ، وبحارُ ذاتُ أمواجٍ، أفلا يدلُّ ذلك على اللطيفِ الخبيرِ».

ولنتأمل معاً رحلةَ الشواهدِ التي يحكيها لنا الإمامُ ابنُ القيم رحمته وهي رحلةُ التأملِ والتفكيرِ والنظرِ بعينِ البصيرةِ والمعاينةِ لكلِّ ما حولنا في هذه الدنيا، ولكلِّ ما سيكونُ في الآخرةِ من مشاهدٍ وأحوالٍ، وصولاً إلى دارِ المتقينِ الجنةِ، ودارِ الكافرينِ النارِ، ثمَّ مشاهدُ عذابِ أهلِ النارِ، وأعظمُهُ حَجْبُهُمْ عن الله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين: ١٥]، ونعيمِ أهلِ الجنةِ وأعظمُهُ رؤيةُ الربِّ العظيمِ في يومِ المزيدي: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاصِرَةٌ﴾ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، ثم الانتقالُ بعد ذلك إلى مشاهدِ صفاتِ هذا الإلهِ العظيمِ والربِّ الكريمِ، فيكونُ هذا أعظمَ المشاهدِ في قلبِ المؤمنِ. قال الإمامُ ابنُ القيم^(١):

● ١ شاهد الدنيا:

فأولُ شواهدِ السائرِ إلى الله والدارِ الآخرةِ: أن يقومَ به شاهدٌ من الدنيا وحقارتها، وقلةُ وفائها، وكثرةُ جفائها، وخسةُ شركائها، وسرعةُ انقضائها.

(١) مدارج السالكين (٣/٢٥٠).

ويرى أهلها وعشاقها صرعى حولها، قد بدعت بهم^(١)، وعذبتهم بأنواع العذاب، وأذاقتهم أمر الشراب، أضحكهم قليلاً، وأبكتهم طويلاً. سقتهم كؤوس سُمَّها، بعد كؤوس خمرها. فسكروا بحبّها. وماتوا بهجرها.

٢٠ شاهد الآخرة:

فإذا قام بالعبد هذا الشاهد منها: ترحل قلبه عنها، وسافر في طلب الدار الآخرة وحينئذ يقوم بقلبه شاهد من الآخرة ودوامها، وأنها هي الحيوان حقاً. فأهلها لا يرتحلون منها، ولا يظعنون عنها، بل هي دار القرار، ومحط الرحال، ومنتهى السير، وأن الدنيا بالنسبة إليها - كما قال النبي ﷺ: «ما الدنيا في الآخرة إلا كما يجعل أحدكم إصبعه في اليم، فلينظر بم ترجع؟»^(٢)، وقال بعض التابعين: ما الدنيا في الآخرة إلا أقل من ذرة واحدة في جبال الدنيا.

٣٠ شاهد النار:

ثم يقوم بقلبه شاهد من النار، وتوقدها واضطرامها، وبُعْد قعرها، وشدة حرّها، وعظيم عذاب أهلها. فيشاهدهم وقد سيقوا إليها سود الوجوه، زرق العيون، والسلاسل والأغلال في أعناقهم. فلما انتهوا إليها: فتحت في وجوههم أبوابها. فشاهدوا ذلك المنظر الفظيع، وقد تقطعت قلوبهم حسرة وأسفاً ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا﴾ [الكهف: ٥٣]، فأراهم شاهد الإيمان، وهم إليها يدفعون. وأتى

(١) بدعت بهم: خذلهم.

(٢) مسلم (٢٨٥٨)، الترمذي (٢٣٢٣)، ابن ماجه (٤١٠٨).

النداء من قِبَلِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿وَقَفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤]، ثم قِيلَ لَهُمْ ﴿هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرُ هَذَا أَمْ أَنْتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ أَصَلُّوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٤-١٦]، فِيرَاهِمُ شَاهِدُ الْإِيمَانِ. وَهُمْ فِي الْحَمِيمِ، عَلَى وَجْهِهِمْ يُسْحَبُونَ. وَفِي النَّارِ كَالْحَطَبِ يُسْجَرُونَ ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]، فَبِئْسَ اللَّحَافُ وَبِئْسَ الْفِرَاشُ.

وإن استغاثوا من شِدَّةِ الْعَطَشِ ﴿يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]، فَإِذَا شَرِبُوهُ قَطَعَ أَمْعَاءُهُمْ فِي أَجْوَافِهِمْ، وَصَهَرَ مَا فِي بَطُونِهِمْ. شَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ، وَطَعَامُهُمُ الزُّقُومُ ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلَا يُخَفَّفَ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا كَذَلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَافِرٍ﴾ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَدَقَاتٍ غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿فاطر: ٣٦-٣٧﴾.

فَإِذَا قَامَ بِقَلْبِ الْعَبْدِ هَذَا الشَّاهِدُ: انْخَلَعَ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْمَعَاصِي، وَاتَّبَعَ الشَّهَوَاتِ. وَلَبَسَ ثِيَابَ الْخَوْفِ وَالْحَذَرِ، وَأَخْصَبَ قَلْبُهُ مِنْ مَطَرِ أَجْفَانِهِ، وَهَانَ عَلَيْهِ كُلُّ مُصِيبَةٍ تَصِيبُهُ فِي غَيْرِ دِينِهِ وَقَلْبِهِ.

وَعَلَى حَسَبِ قُوَّةِ هَذَا الشَّاهِدِ يَكُونُ بَعْدُهُ مِنَ الْمَعَاصِي وَالْمُخَالَفَاتِ. فَيَذِيبُ هَذَا الشَّاهِدُ مِنْ قَلْبِهِ الْفَضَالَاتِ، وَالْمَوَادَّ الْمَهْلَكَةَ، وَيَنْضِجُهَا ثُمَّ يَخْرِجُهَا. فَيَجِدُ الْقَلْبُ لَذَّةَ الْعَافِيَةِ وَسُرُورَهَا.

٤٠ شاهد الجنة:

فيقومُ به بعد ذلك: شاهدٌ من الجنة، وما أعدَّ اللهُ لأهلِها فيها، مما لا عينٌ رأت، ولا أُذنٌ سمعت، ولا خطرَ على قلبِ بشرٍ، فضلاً عما وصفه اللهُ لعبادهِ على لسانِ رسوله من النعيمِ المفصّلِ، الكفيلِ بأعلى أنواعِ اللذّةِ، من المطاعمِ والمشاربِ، والملابسِ والصورِ، والبهجةِ والسرورِ. فيقومُ بقلبه شاهدٌ دارٍ قد جعلَ اللهُ النعيمَ المقيمَ الدائمَ بحذافيره فيها.

تربتها المسكُ، وحبساؤها الدرُّ، وبنائوها لبنُ الذهبِ والفضةِ، وقصبُ اللؤلؤِ، وشرابها أحلى من العسلِ، وأطيبُ رائحةً من المسكِ، وأبردُ من الكافورِ، وألذُّ من الزنجبيلِ، ونساؤها لو برزَ وجهُ إحداهنَّ في هذه الدنيا، لغلَبَ على ضوءِ الشمسِ، ولباسُهم الحريرُ من السندسِ والإستبرقِ، وخدمُهم ولدانُ كاللؤلؤِ المنشورِ، وفاكهَتُهم دائمةٌ، لا مقطوعةٌ ولا ممنوعةٌ، وفُرُشٌ مرفوعةٌ. وغذاؤُهم لحمٌ طيرٍ مما يشتهونَ، وشرابُهم عليه خمرٌ لا فيها غَوْلٌ ولا هم عنها يُنزفونَ، وخُضْرَتُهم فاكهةٌ مما يتخيرونَ، وشاهدُهم حورٌ عينٌ كأمثالِ اللؤلؤِ المكنونِ، فهم على الأرائكِ مُتكوئونَ، وفي تلكِ الرياضِ يُجْبرونَ، وفيها ما تشتهي الأنفسُ وتلذُّ الأعينُ، وهم فيها خالدونَ.

٥٠ شاهد يوم المزيّد:

فإذا انضمَّ إلى هذا الشاهدِ: شاهدُ يومِ المزيّدِ، والنظرُ إلى وجهِ الرّبِّ جلَّ جلالُهُ، وسماعُ كلامِهِ منه بلا واسطةٍ. كما قال النبي ﷺ: «بينما أهلُ الجنةِ في نعيمِهِم، إذ سطعَ لهم نورٌ. فرفعُوا رؤوسَهُم. فإذا الرّبُّ تعالى قد أَشْرَفَ عليهم من فوقِهِم. وقال: يا أهلَ الجنةِ، سلامٌ عليكم - ثم قرأ قوله تعالى:

﴿ سَلِّمْ قَوْلًا مِّن رَّبِّ رَجِيمٍ ﴾ [يس: ٥٨] - ثم يتوارى عنهم. وتبقى رحمته وبركته عليهم في ديارهم^(١).

فإذا انضمَّ هذا الشاهد إلى الشواهد التي قبله: فهناك سيرُ القلب إلى ربِّه أسرع من سير الرياح في مهاجتها، فلا يلتفت في طريقه يمينًا ولا شمالًا.

⑥ شاهد جلال الرب وعظمته:

هذا، وفوق ذلك: شاهد آخر تضمحلُّ فيه هذه الشواهد، ويغيبُ به العبدُ عنها كلُّها. وهو شاهد جلال الرب تعالى، وجماله وكماله، وعزّه وسلطانه، وقيوميته وعلوه فوق عرشه، وتكلمه بكتبه وكلمات تكوينه، وخطابه لملائكته وأنبيائه.

فإذا شاهده، شاهد بقلبه قيومًا قاهرًا فوق عبادِهِ، مستويًا على عرشه، منفردًا بتدبير مملكته، أمرًا ناهيًا، مرسلًا رسله، ومُنزِلًا كتبه. يَرْضَى وَيَغْضَبُ، وَيُثِيبُ وَيُعَاقِبُ. وَيُعْطِي وَيَمْنَعُ، وَيُعْزُّ وَيُذِلُّ. وَيُحِبُّ وَيَغْضَبُ. ويرحم إذا استرحم، ويغفر إذا استغفر، ويُعْطِي إذا سُئِلَ، وَيُجِيبُ إذا دُعِيَ، وَيَقِيلُ إذا استُقِيلَ.

أكبر من كلِّ شيءٍ، وأعظم من كلِّ شيءٍ، وأعزُّ من كلِّ شيءٍ، وأقدر من كلِّ شيءٍ، وأعلم من كلِّ شيءٍ، وأحكم من كلِّ شيءٍ.

فلو كانت قُوَى الخلائق كلُّهم على واحدٍ منهم، ثم كانوا كلُّهم على تلك القُوَّة، ثم نُسبت تلك القُوَى إلى قُوَّة الله تعالى، لكانت دون قُوَّة البعوضة بالنسبة إلى قُوَّة الأسد.

(١) ابن ماجه (١٨٤)، باب (١٣) فيها أنكرت الجهمية.

ولو قُدِّرَ جمالُ الربِّ تعالى، لكان دونَ سراجٍ ضعيفٍ بالنسبةِ إلى عينِ الشمسِ.

ولو كانَ علمُ الأولينَ والآخرينَ على رجلٍ منهم، ثم كانَ كلُّ الخلقِ على تلكَ الصفةِ، ثم نُسِبَ إلى علمِ الربِّ تعالى، لكانَ ذلكَ بالنسبةِ إلى علمِ الربِّ كنقرةِ عُصفورٍ في بحرٍ.

وهكذا سائرُ صفاته، كسمعه وبصره، وسائرِ نعوتِ كماله. فإنه يسمعُ ضجيجَ الأصواتِ باختلافِ اللُّغاتِ، على تفننِ الحاجاتِ. فلا يشغله سمعُ عن سمعٍ. ولا تُغلطُه المسائلُ. ولا يتبرمُ بإلحاحِ الملحين.

سواءً عنده من أسرِّ القولِ ومن جهرَ به، فالسرُّ عنده علانيةٌ، والغيبُ عنده شهادةٌ.

يرى ديبَ النملةِ السوداءً، على الصَّخرةِ الصَّماءِ، في الليلةِ الظلماءِ. ويرى نياطَ عروقِها، ومجاري القُوتِ في أعضائها.

يضعُ السماواتِ على إصبعٍ من أصابعِ يده، والأرضَ على إصبعٍ، والجبالَ على إصبعٍ، والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ على إصبعٍ. ويقبضُ سماواته بإحدى يديه، والأرضينَ باليدِ الأخرى. فالسماواتُ السبعُ في كفِّه كخردلةٍ في كفِّ العبدِ.

ولو أنَّ الخلقَ كلَّهم من أولهم إلى آخرهم قاموا صفًّا واحدًا، ما أحاطوا بالله ﷻ. لو كشفَ الحجابَ عن وجهه لأحرقتْ سُبُحاته ما انتهى إليه بصره من خلقه.

فإذا قام بقلب العبد هذا الشاهد: اضمحلت فيه الشواهد المتقدمة، من غير أن تعدم. بل تصير الغلبة والقهر لهذا الشاهد، وتندرج فيه الشواهد كلها. ومن هذا شاهده: فله سلوك وسير خاص، ليس لغيره ممن هو عن هذا في غفلة، أو معرفة مجملية.

فصاحب هذا الشاهد: سائر إلى الله في يقظته ومنامه، وحركته وسكونه وفطره وصيامه، له شأن وللناس شأن، هو في وادٍ والناس في وادٍ.

7• شاهد التوحيد:

فإذا طلعت شمس التوحيد، وبأشرت جوابها الأرواح، ونورها البصائر، تجلت بها ظلمات النفس والطبع، وتحركت بها الأرواح في طلب من ليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فسافر القلب في بيداء الأمر، ونزل منازل العبودية، منزلاً منزلاً، فهو يتقل من عبادة إلى عبادة، مُقيم على معبود واحد.

فلا تزال شواهد الصفات قائمة بقلبه، توقظه إذا رقد، وتذكره إذا غفل، وتحذوه إذا سار، وتقيمه إذا قعد.

إن قام بقلبه شاهد من الربوبية والقيومية، رأى أن الأمر كله لله. ليس لأحد معه من الأمر شيء ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ غَيْرِ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَأَنْتُمْ تُؤْفَكُونَ﴾ [فاطر: ٢-٣]. ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [يونس: ١٠٧]،

﴿ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَتُ ضُرُّوهُ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هِيَ مُمْسِكَةٌ رَحْمَتَهُ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴾ [الزمر: ٣٨]، ﴿ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٤) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ (٨٥) ﴿ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّعْيِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴾ (٨٦) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نُنْقِطُ ﴾ (٨٧) ﴿ قُلْ مَنْ يَدْعُ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَا يَجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ (٨٨) ﴿ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ ﴾ [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

إن قام بقلبه شاهدٌ من الإلهية: رأى في ذلك الشاهد الأمر والنهي، والنبوات، والكتب والشرائع، والمحبة والرضى، والكراهة والبغض، والثواب والعقاب، وشاهد الأمر نازلاً ممن هو مستوٍ على عرشه، وأعمال العباد صاعدةً إليه، ومعرّضةً عليه. يجزي بالإحسان منها في هذه الدار، وفي العقبى نضرةً وسروراً، ويقدم إلى ما لم يكن عن أمره وشرعه منها فيجعلهُ هباءً منثوراً.

وإن قام بقلبه شاهدٌ من الرحمة: رأى الوجود كله قائماً بهذه الصفة، قد وسع من هي صفتُهُ كلَّ شيءٍ رحمةً وعلماً، وانتهت رحمته إلى حيث انتهى علمه، فاستوى على عرشه برحمته، لتسع كلَّ شيءٍ، كما وسع عرشه كلَّ شيءٍ. وإن قام بقلبه شاهدُ العِزة والكبرياء، والعظمة والجبروت: فله شأن آخر.

وهكذا جميعُ شواهد الصفات، فما ذكرنا إنها هو أدنى تنبيهٍ عليها. فالكشف والعيان والمشاهدة لا تتجاوزُ الشواهد البتة.

● أإله مع الله؟

قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(١): «لا ريب أن الله رب العالمين، رب السموات والأرضين وما بينهما ورب العرش العظيم، رب المشرق والمغرب لا إله إلا هو فاتخذه وكيلاً، ربكم ورب آبائكم الأولين، رب الناس ملك الناس إله الناس، وهو خالق كل شيء وهو على كل شيء وكيل».

خلق الزوجين الذكر والأنثى، من نطفة إذا تمنى، وهو رب كل شيء ومليكه، وهو مالك الملك؛ يؤتي الملك من يشاء، وينزع الملك ممن يشاء، ويعز من يشاء، ويذل من يشاء، بيده الخير وهو على كل شيء قدير.

له ما في السموات وما في الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، الرحمن على العرش استوى، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ﴿إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

قلوب العباد ونواصيهم بيده، وما من قلب إلا وهو بين إصبعين من أصابع الرحمن، إن شاء أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه.

وهو الذي أضحك وأبكى، وأغنى وأقنى، وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته، ويُنزل من السماء ماءً فيحيي به الأرض بعد موتها، ويُبث فيها من كل دابة. وهو ﴿الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ

يَشْرَحَ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ، يُجْعَلْ صَدْرُهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصْعَقُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿[الأنعام: ١٢٥]﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿[القصص: ٧٠]﴾.

وهو الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم، وهو القائم بالقسط، القائم على كل نفس بما كسبت، الخالق البارئ المصور. ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦]، ما شاء الله لا قوة إلا بالله، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولا حول ولا قوة إلا بالله، ولا ملجأ منه إلا إليه.

فهذه المعاني وما أشبهها من معاني ربوبيته ومملكه، وخلقه ورزقه، وهدايته ونصره، وإحسانه وبرّه، وتدبيره وصنعه، ثم ما يتصل بذلك من أنه بكل شيء عليم، وعلى كل شيء قدير، وأنه سميع بصير، لا يشغله سمع عن سمع، ولا تغلظه المسائل، ولا يتبرم بإلحاح الملحين، يُبصر ديب النملة السوداء، في الليلة الظلماء، على الصخرة الصماء.

فهذا كله حق، وهو محض توحيد الربوبية؛ وهو مع هذا قد أعطى كل شيء خلقه ثم هدى، وأحسن كل شيء خلقه، وبدأ خلق الإنسان من طين.

وهذا صنع الله الذي أتقن كل شيء، والخير كله بيديه، وهو أرحم الراحمين، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها، كما أقسم على ذلك النبي ﷺ فقال: «والله الله أرحم بعباده من هذه الوالدة بولدها»^(١) إلى نحو هذه المعاني،

التي تقتضي شمولَ حكمته وإتقانه وإحسانه خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَسِعَةَ رَحْمَتِهِ
وعظمتها وأنها سبقت غضبه كُلُّ هَذَا حَقٌّ^(١).

فَاللَّهُ ﷻ هُوَ مَالِكُ الْمَلِكِ الَّذِي ﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا
فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [سبأ: ٣]،
وإذا نظر العبدُ في تدبيرِ الله تعالى لهذا الكونِ كاد عقله يطيشُ من هذه القدرة
الباهرة، والقوة القاهرة، والرحمة الظاهرة، والإتقان والإحسان والحكمة في
كُلِّ شَيْءٍ.



• الطريق إلى تعظيم الله تعالى

إن تعظيم الله تعالى لا يكون إلا بعد معرفة الله ﷻ بأسمائه وصفاته وأفعاله ونعوت جلاله، قال تعالى: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ﴾ [محمد: ١٩]، فلا بد من العلم والمعرفة، فهي النور الذي يضيء لك طريق التعظيم والإجلال.

فالله ﷻ عظيم في ذاته، عظيم في أسمائه، عظيم في صفاته، عظيم في ملكه وسلطانه، عظيم في خلقه وأمره، عظيم في دينه وشرعه، عظيم في علمه وكلماته قال تعالى: ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مَدَادًا لَكَلِمَتِي رَبِّي لَنَفَذَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَذَ كَلِمَتِي رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩]، وقال: ﴿وَلَوْ أَنَّ فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمْدُهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفَذْتُ كَلِمَتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [لقمان: ٢٧]، هذا علم الله تعالى فماذا عن قدرته؟ قال تعالى بعد هذه الآية: ﴿مَا خَلَقَكُمْ وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٢٨) أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (٢٩) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ (٣٠) أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَنْعَمَتِ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ مِنْ آيَاتِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾ [لقمان: ٢٨-٣١].

إنها العظمة المطلقة والقدرة المطلقة والعلو المطلق، والجلال المطلق، والقهر المطلق: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

قال الإمام ابن القيم في ارتباط التعظيم بالمعرفة: «وهذه المنزلة - أي منزلة تعظيم الله ﷻ - تابعة للمعرفة، فعلى قدر المعرفة يكون تعظيم الرب تعالى في القلب، وأعرف الناس به أشدهم له تعظيماً وإجلالاً، وقد ذم الله تعالى من لم يعظمه حقَّ عظمته، ولا عرفه حقَّ معرفته، ولا وصفه حقَّ وصفه، فقال تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]»^(١).

وقال أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني في صفة العظمة: «العظمة صفة من صفات الله، لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يُعظم بها بعضهم بعضاً، فمن الناس من يُعظم لمال، ومنهم من يُعظم لفضل، ومنهم من يُعظم لعلم، ومنهم من يُعظم لسلطان، ومنهم من يُعظم لجاه، وكل واحد من الخلق إنما يعظم لمعنى دون معنى، والله ﷻ يعظم في الأحوال كلها، فينبغي لمن عرف حقَّ عظمة الله أن لا يتكلم بكلمة يكرهها الله، ولا يرتكب معصية لا يرضاها الله، إذ هو القائم على كل نفس بما كسبت»^(٢)، يشير بذلك إلى أن المعصية تُضعف من تعظيم العبد لربه، وقد تذهب التعظيم من قلبه بالكلية.



(١) مدارج السالكين (٢/٤٩٥).

(٢) الحجة في بيان المحجة (١/١٤١، ١٤٢).

• تعظيم الأمر والنهي

وهذا يدلُّ على أن أول مراتب التعظيم هي تعظيم الأمر والنهي، وقد ذكر ذلك ابن القيم فقال: «تعظيم الأمر والنهي هو ناشئ عن تعظيم الأمر الناهي فإن الله تعالى ذم من لا يعظمه ولا يعظم أمره ونهيه، قال ﷺ: ﴿مَالِكُؤَلَا نَرْجُوَنَّ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قالوا في تفسيرها: ما لكم لا تخافون الله تعالى عظمة.

وما أحسن ما قاله شيخ الإسلام في تعظيم الأمر والنهي: «هو ألا يُعَارِضًا بترخصٍ جافٍ، ولا يُعَرِّضًا لتشديدٍ غالٍ ولا يُحْمَلًا على علةٍ توهن الانقياد».

ومعنى كلامه: أن أول مراتب تعظيم الحق ﷻ: تعظيم أمره ونهيه، وذلك لأن المؤمن يعرفُ ربه ﷻ برساليته التي أرسل بها رسول الله ﷺ إلى كافة الناس، ومقتضاها: الانقياد لأمره ونهيه، وإنما يكون ذلك بتعظيم أمر الله ﷻ واتباعه، وتعظيم نهيه واجتنابه، فيكون تعظيم المؤمن لأمر الله تعالى ونهيه واجتنابه دألاً على تعظيمه لصاحب الأمر والنهي، ويكون بحسب هذا التعظيم من الأبرار المشهود لهم بالإيمان والتصديق وصحة العقيدة، والبراءة من النفاق الأكبر. فإن الرجل قد يتعاطى فعل الأمر لنظر الخلق وطلب المنزلة والجاه عندهم، ويتقي المناهي خشية سقوطه من أعينهم، وخشية العقوبات الدنيوية من الحدود التي ربَّها الشارعُ على المناهي، فهذا ليس فعله وتركه صادرًا عن تعظيم الأمر والنهي، ولا عن تعظيم الأمر الناهي^(١).

(١) الوابل الصيب (ص: ١٧-١٨).

● ● كيف نعرف الله؟^(١)

الرَّبُّ تعالى يدْعُو عباده في القرآن إلى معرفته من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته.

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها.

فتلك آياته المشهودة، وهذه آياته المسموعة المعقولة.

فالنوع الأول: كقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفَلَاحِ وَالْغَلَاكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾ [البقرة: ١٦٤]، إلى آخرها. وقوله: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠].. وهو كثير في القرآن.

والثاني: كقوله: ﴿أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْفُرْقَانَ﴾ [النساء: ٨٢]. وقوله: ﴿أَفَلَمْ يَذَكِّرُوا الْقَوْلَ﴾ [المؤمنون: ٦٨]، وقوله: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَذَكِّرُوا بِهِ﴾ [ص: ٢٩].. وهو كثير أيضًا.

فأمَّا المفعولات، فإنها دالة على الأفعال، والأفعال دالة على الصفات؛ فإنَّ المفعول يدلُّ على فاعل فعله، وذلك يستلزم وجوده وقدرته ومشيتته وعلمه لاستحالة صدور الفعل الاختياري من معدوم أو موجود لا قدرة له ولا حياة ولا علم ولا إرادة.

ثم ما في المفعولات من التخصُّصات المتنوعة دالٌّ على إرادة الفاعل،

(١) الفوائد لابن القيم (ص: ٤٠-٤٢).

- وَأَنَّ فَعْلَهُ لَيْسَ بِالطَّبْعِ بَحِثٌ يَكُونُ وَاحِدًا غَيْرَ مُتَكَرِّرٍ.
- وما فيها من المصالح والحكم والغايات المحمودّة دالٌّ على حكمته تعالى.
 - وما فيها من النفع والإحسان والخير دالٌّ على رحمته.
 - وما فيها من البطش والانتقام والعقوبة دالٌّ على غضبه.
 - وما فيها من الإكرام والتقريب والعناية دالٌّ على محبته.
 - وما فيها من الإهانة والإبعاد والخذلان دالٌّ على بُغْضِهِ وَمَقْتِهِ.
 - وما فيها من ابتداء الشيء في غاية النقص والضعف ثم سَوْقِهِ إِلَى تَمَامِهِ ونهايته، دالٌّ على وقوع المعاد.
 - وما فيها من أحوال النبات والحيوان وتصرف المياه، دليلٌ على إمكان المعاد.
 - وما فيها من ظهور آثار الرحمة والنعمة على خلقه، دليلٌ على صحة النبوءات.
 - وما فيها من الكمالات التي لو عَدِمَتْهَا كَانَتْ نَاقِصَةً، دليلٌ على أَنَّ معطي تلك الكمالات أحقُّ بها.
- فمفعولاته من أدلِّ شيءٍ على صفاته وصِدْقِ ما أَخْبَرَتْ بِهِ رُسُلُهُ عَنْهُ؛
فالمصنوعاتُ شاهدةٌ تُصَدِّقُ الآياتِ المسموعاتِ، منبهةٌ على الاستدلالِ
بِالآياتِ المصنوعاتِ. قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ
حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣]، أي أَنَّ الْقُرْآنَ حَقٌّ، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ لَا بَدَّ أَنْ

يُرِيهِمْ مِنْ آيَاتِهِ الْمَشْهُودَةِ مَا يَبَيِّنُ لَهُمْ أَنَّ آيَاتِهِ الْمَتْلُوءَةَ حَقٌّ. ثُمَّ أَخْبَرَ بِكَفَايَةِ شَهَادَتِهِ عَلَى صَحَّةِ خَيْرِهِ بِمَا أَقَامَ مِنَ الدَّلَائِلِ وَالْبَرَاهِينِ عَلَى صَدَقِ رَسُولِهِ. فَأَيَّاتُهُ شَاهِدَةٌ بِصَدَقِهِ، وَهُوَ شَاهِدٌ بِصَدَقِ رَسُولِهِ بِآيَاتِهِ. فَهُوَ الشَّاهِدُ وَالْمَشْهُودُ لَهُ، وَهُوَ الدَّلِيلُ وَالْمَدْلُولُ عَلَيْهِ. فَهُوَ الدَّلِيلُ بِنَفْسِهِ عَلَى نَفْسِهِ كَمَا قَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: كَيْفَ أَطْلُبُ الدَّلِيلَ عَلَى مَنْ هُوَ دَلِيلٌ لِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ؟ فَأَيُّ دَلِيلٍ طَلَبْتَهُ عَلَيْهِ فَوْجُودُهُ أَظْهَرُ مِنْهُ. وَلِهَذَا قَالَ الرَّسُولُ لِقَوْمِهِمْ: ﴿أَفَى اللَّهِ شَكٌّ؟﴾ [إبراهيم: ١٠]؛ فَهُوَ أَعْرَفُ مِنْ كُلِّ مَعْرُوفٍ، وَأَيُّنُ مِنْ كُلِّ دَلِيلٍ. فَالْأَشْيَاءُ عُرِفَتْ بِهِ فِي الْحَقِيقَةِ، وَإِنْ كَانَ عُرِفَ بِهَا فِي النَّظَرِ، وَالِاسْتِدْلَالِ بِأَفْعَالِهِ وَأَحْكَامِهِ عَلَيْهِ.



• معرفة جمال الله ﷻ^(١)

من أعزّ أنواع المعرفة: معرفةُ الربِّ سبحانه بالجمال، وهي معرفةُ خواصِّ الخلق، وكلُّهم عَرَفَهُ بصفةٍ من صفاته، وأتمُّهم معرفةً من عَرَفَهُ بكماله وجلاله وجماله سبحانه، ليسَ كمثله شيءٌ في سائرِ صفاته، ولو فَرَضْتَ الخلقُ كلُّهم على أجملهم صورةً، وكلُّهم على تلك الصورة، ونَسَبْتَ جمالهم الظاهرَ والباطنَ إلى جمالِ الربِّ سبحانه لكانَ أقلَّ من نسبةِ سراجٍ ضعيفٍ إلى قرصِ الشمس، ويكفي في جماله أَنَّهُ لو كَشَفَ الحجابَ عن وجهه لأَحْرَقَتْ سُبُحاته^(٢) ما انتهى إليه بصره من خلقه. ويكفي في جماله أَنَّ كُلَّ جمالٍ ظاهرٍ وباطنٍ في الدنيا والآخرةِ فَمِنْ آثارِ صنعته، فما الظنُّ بَمَنْ صدرَ عنه هذا الجمال؟!!

ويكفي في جماله: أَنَّهُ لَهُ العِزَّةُ جميعاً، والقوَّةُ جميعاً، والجودُ كُلُّهُ، والإحسانُ كُلُّهُ، والعلمُ كُلُّهُ، والفضلُ كُلُّهُ، ولِنُورِ وجهه أَشْرَقَتِ الظلماتُ، كما قَالَ النبي ﷺ في دعاءِ الطائفِ: «أَعُوذُ بِنُورِ وجهِكَ الذي أَشْرَقَتْ لَهُ الظلماتُ وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»^(٣).

وقال عبدُ اللهِ بنُ مسعودٍ: ليسَ عندَ ربِّكم ليلٌ ولا نهارٌ، نورُ السمواتِ والأرضِ من نورِ وجهه، فهو سبحانه نورُ السمواتِ والأرضِ، ويومَ القيامةِ إذا جاء لفصلِ القضاءِ تُشْرِقُ الأرضُ بنوره.

(١) الفوائد (ص: ٢٥٨).

(٢) (سُبُحاتٌ) وجهُ الله تعالى بضميتين: جلالته.

(٣) رواه الطبراني في (الكبير) عن عبد الله بن جعفر. وهو ضعيف. انظر: تخریج فقه السيرة (١٣١).

ومن أسمائه الحسنی (الجميل). وفي الصحيح عنه عليه السلام: «إن الله جميلٌ يحبُّ الجمال»^(١).

وجماله سبحانه على أربع مراتب: جمال الذات، وجمال الصفات، وجمال الأفعال، وجمال الأسماء. فأسماءه كلها حسنى، وصفاته كلها صفات كمال، وأفعاله كلها حكمة ومصلحة وعدلٌ ورحمة. وأمّا جمال الذات، وما هو عليه، فأمرٌ لا يُدركه سواه، ولا يعلمه غيره، وليس عند المخلوقين منه إلا تعريفات تعرّف بها إلى مَنْ أكرمه من عباده، فإنّ ذلك الجمال مصونٌ عن الأغيار محجوبٌ بستر الرداء والإزار، كما قال رسوله عليه السلام فيما يُحكى عنه: «الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري»^(٢). ولما كانت الكبرياء أعظم وأوسع كانت أحقّ باسم الرداء؛ فإنه سبحانه الكبير المتعال، فهو سبحانه العليُّ العظيم.

قال ابن عباس: حجب الذات بالصفات، وحجب الصفات بالأفعال، فما ظنك بجمال حجب بأوصاف الكمال، وسُتر بنعوت العظمة والجلال؟! ومن هذا المعنى يفهم بعض معاني جمال ذاته؛ فإنّ العبد يترقى من معرفة الأفعال إلى معرفة الصفات، ومن معرفة الصفات إلى معرفة الذات. فإذا شاهد شيئاً من جمال الأفعال، استدلّ به على جمال الصفات، ثم استدلّ بجمال الصفات على جمال الذات.

(١) رواه مسلم (١٤٧)، والترمذي (١٩٩٩).

(٢) مسلم (٦٢٠)، وأبو داود (٣٥٦٧).

ومن ههنا يتبين أَنَّهُ سبحانه لَهُ الحمدُ كُلُّهُ، وَأَنَّ أَحَدًا من خَلْقِهِ لا يُحْصِي ثناءً عليه، بل هو كما أَتَى على نَفْسِهِ، وَأَنَّهُ يستحقُّ أَنْ يُعْبَدَ لذاتِهِ، وَيُحَبُّ لذاتِهِ، وَيُشْكَرَ لذاتِهِ، وَأَنَّهُ سبحانه يُحِبُّ نَفْسَهُ وَيُثْنِي على نَفْسِهِ ويحمدُ نَفْسَهُ، وَأَنَّ مُحِبَّتَهُ لِنَفْسِهِ وحمده لِنَفْسِهِ وثناءه على نَفْسِهِ وتوحيده لِنَفْسِهِ، هو في الحقيقة الحمدُ والثناءُ والحبُّ والتوحيدُ؛ فهو سبحانه كما أَتَى على نَفْسِهِ، وفوق ما يُثْنِي به عليه خَلْقُهُ.

وهو سبحانه كما يُحِبُّ ذاته يحبُّ صفاته وأفعاله، فكلُّ أفعاله حسنٌ محبوبٌ، وإن كَانَ في مفعولاتِهِ ما يُبْغِضُهُ ويكرهُهُ، فليس في أفعاله ما هو مكروهٌ مسخوطٌ، وليس في الوجودِ ما يُحِبُّ لذاتِهِ وَيُحْمَدُ لذاتِهِ إِلَّا هو سبحانه. وكل ما يُحِبُّ سواه، فَإِنْ كَانَتْ مُحِبَّتُهُ تابعةً لمحبتِهِ سبحانه بحيثُ يُحِبُّ لأجلِهِ، فمحبتُهُ صحيحةٌ، وإلا فهي حبةٌ باطلةٌ. وهذا هو حقيقةُ الإلهية؛ فَإِنَّ الإلهَ الحقَّ هو الذي يُحِبُّ لذاتِهِ وَيُحْمَدُ لذاتِهِ. فكيفَ إذا انضافَ إلى ذلك إحسانُهُ وإنعامُهُ وحلمُهُ وتجاوُزُهُ وعفوُهُ وبرُّهُ ورحمتهُ؟

فعلى العبدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لا إلهَ إِلَّا اللهُ، فيحبهُ ويحمدهُ لذاتِهِ وكمالِهِ، وَأَنْ يَعْلَمَ أَنَّهُ لا مُحْسِنَ على الحقيقةِ بأصنافِ النعمِ الظاهرةِ والباطنةِ إِلَّا هو، فيحبهُ لإحسانِهِ وإنعامِهِ، ويحمدهُ على ذلك؛ فيحبهُ من الوجهينِ جميعًا.

وكما أَنَّهُ ليسَ كمثلهُ شيءٌ، فليسَ كمحبَّتِهِ حبةٌ. والمحبةُ مع الخضوعِ هي العبوديةُ التي خُلِقَ الخلقُ لأجلِها؛ فَإِنَّهَا غايةُ الحبِّ بغايةِ الدَّلِّ، ولا يصلحُ ذلكَ إِلَّا له سبحانه. والإشراكُ به في هذا، هو الشركُ الذي لا يَغْفِرُهُ اللهُ، ولا يقبلُ لصاحِبِهِ عملاً.

وحمده يتضمنُ أصليْن: الإخبارُ بمحامده وصفاتِ كماله، والمحبةُ له عليها. فَمَنْ أَخْبَرَ بِمَحَاسِنِ غَيْرِهِ مِنْ غَيْرِ حُبِّهِ لَهُ لَمْ يَكُنْ حَامِداً. وَمَنْ أَحَبَّهُ مِنْ غَيْرِ إِخْبَارٍ بِمَحَاسِنِهِ لَمْ يَكُنْ حَامِداً حَتَّى يَجْمَعَ الْأَمْرَيْنِ.

وهو سبحانه يحمدُ نفسه بنفسه، ويحمدُ نفسه بها يُجْزِيهِ عَلَى أَلْسِنَةِ الْحَامِدِينَ لَهُ مِنْ مَلَائِكَتِهِ وَأَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ وَعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ فَهُوَ الْحَامِدُ لِنَفْسِهِ بِهَذَا وَهَذَا؛ فَإِنَّ حَمْدَهُمْ لَهُ بِمَشِيَّتِهِ وَإِذْنِهِ وَتَكْوِينِهِ؛ فَإِنَّهُ هُوَ الَّذِي جَعَلَ الْحَامِدَ حَامِداً، وَالْمُسْلِمَ مُسْلِماً، وَالْمُصَلِّيَّ مُصَلِّياً، وَالتَّائِبَ تَائِباً؛ فَمِنْهُ ابْتَدَأَتِ النِّعَمُ وَإِلَيْهِ انْتَهَتْ، فَابْتَدَأَتْ بِحَمْدِهِ وَانْتَهَتْ إِلَى حَمْدِهِ.

وهو الذي أَلْهَمَ عَبْدَهُ التَّوْبَةَ، وَفَرَحَ بِهَا أَعْظَمَ فَرَحٍ، وَهِيَ مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ. وَأَلْهَمَ عَبْدَهُ الطَّاعَةَ، وَأَعَانَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ أَثَابَهُ عَلَيْهَا، وَهِيَ مِنْ فَضْلِهِ وَجُودِهِ.

وهو سبحانه غَنِيٌّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ بِكُلِّ وَجْهِ، وَمَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِكُلِّ وَجْهِ، وَالْعَبْدُ مُفْتَقرٌ إِلَيْهِ لِذَاتِهِ فِي الْأَسْبَابِ وَالْغَايَاتِ؛ فَإِنَّ مَا لَا يَكُونُ بِهِ لَا يَكُونُ، وَمَا لَا يَكُونُ لَهُ لَا يَنْفَعُ.

• أعرفُ الناسَ بالله^(١)

من الناسِ من يعرفُ اللهَ بالجوْدِ والإفضالِ والإحسانِ، ومنهم من يعرفُهُ بالعفوِ والحلمِ والتجاوزِ، ومنهم من يعرفُهُ بالبطشِ والانتقامِ، ومنهم من يعرفُهُ بالعلمِ والحكمةِ، ومنهم من يعرفُهُ بالعِزَّةَ والكبرياءِ، ومنهم من يعرفُهُ بالرحمةِ والبرِّ واللطفِ، ومنهم من يعرفُهُ بالقهرِ والملِكِ، ومنهم من يعرفُهُ بإجابةِ دعوتِهِ وإغاثةِ لهفَتِهِ وقضاءِ حاجَتِهِ.

وأعظمُ هؤلاءِ معرفةً: من عَرَفَهُ من كلامِهِ؛ فإنَّه يعرفُ ربًّا قد اجتمعتْ له صفاتُ الكمالِ ونعوتُ الجلالِ، منزَّةٌ عن المثالِ، بريءٌ من النقائصِ والعيوبِ، له كُلُّ اسمٍ حسنٍ وكُلُّ وصفٍ كمالٍ، فعَالٌ لما يريدُ، فوقَ كُلِّ شيءٍ، ومعَ كُلِّ شيءٍ، وقادرٌ على كُلِّ شيءٍ، ومقيمٌ لكلِّ شيءٍ، أمرٌ ناهٍ، متكلمٌ بكلماتِهِ الدنيئةِ والكونيةِ، أكبرُ من كُلِّ شيءٍ، وأجلُّ من كُلِّ شيءٍ، أرحمُ الراحمينَ، وأقدرُ القادرينَ، وأحكمُ الحاكمينَ. فالقرآنُ أنزَلَ لتعريفِ عباده به، وبصرطِهِ الموصلِ إليه، وبحالِ السالكينَ بعد الوصولِ إليه.



• الحمد من طرق تعظيم الله تعالى

ومن الوسائل التي تُفضي إلى تعظيم الله تعالى وإجلاله: كثرة حمده ﷻ والثناء عليه سبحانه وشكره على نعمه. وقد روى البخاري عن أبي أمامة أن النبي ﷺ كان إذا رَفَعَ مائدته قال: «الحمد لله حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، غير مكفيٍّ، ولا مودّعٍ، ولا مستغنى عنه».

فإن الله تعالى لا يستطيع أحد أن يكافيه على إنعامه أبداً، لأن شكره سبحانه هو نعمة من نعمه كما قيل:

إذا كان سُكري نعمة الله نعمةً	عليّ له في مثلها يجبُ الشكرُ
فكيف وقوعُ الشكرِ إلا بفضلِهِ	وإن طالَتِ الأيامُ واتَّصلَ العمرُ
إذا مسَّ بالسَّراءِ عمَّ سرورها	وإن مسَّ بالضرَّاءِ أعقبها الأجرُ
فما منهما إلا له فيه نعمةٌ	تضيّقُ بها الأوهامُ والسُّرُّ والجهرُ

فالمعظمُ لربه ﷻ يعترفُ بقلبه أنه لو أنفقَ جميعَ عمره في قيامِ الليلِ وصيامِ النهارِ ولم يَزَلْ لسانه رطباً بذكرِ الله، فإنه لا يستطيعُ تأديةَ شكرِ نعمةٍ واحدةٍ من نعمِ الله عليه. ومع ذلك فإنه يجبُ على العبدِ أن يُلَهِّجَ بحمدِ الله تعالى وشكره والثناء عليه وأن يقدمَ ذلك بين يدي دُعائه وسؤاله.

فإنَّ الحمدَ يتضمَّنُ مدحَ المحمودِ بصفاتِ كماله، ونعوتِ جلاله، مع محبَّته والرِّضا عنه، والخضوعِ له. فلا يكونُ حامداً من جحدَ صفاتِ المحمودِ، ولا من أعرَضَ عن محبَّته والخضوعِ له. وكلِّما كانت صفاتُ كمالِ المحمودِ أكثرَ كان حمده أكملَ، وكلِّما نقصَ من صفاتِ كماله نقصَ من حمده

بَحْسِبِهَا. وَلِهَذَا كَانَ الْحَمْدُ كُلُّهُ لِلَّهِ حَمْدًا لَا يَحْصِيهِ سِوَاهُ، لِكَمَالِ صِفَاتِهِ وَكَثْرَتِهَا. وَلِأَجْلِ هَذَا لَا يُحْصِي أَحَدٌ مِنْ خَلْقِهِ ثَنَاءً عَلَيْهِ، لِمَا لَهُ مِنْ صِفَاتِ الْكَمَالِ، وَنَعَوَاتِ الْجَلَالِ الَّتِي لَا يَحْصِيهَا سِوَاهُ.

وَمَعْلُومٌ بِالْفِطَرِ وَالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ: أَنَّ فَاقَدَ صِفَاتِ الْكَمَالِ لَا يَكُونُ إِلَهًا، وَلَا مَدْبَرًا، وَلَا رَبًّا، بَلْ هُوَ مَذْمُومٌ، مُعِيبٌ نَاقِصٌ، لَيْسَ لَهُ الْحَمْدُ، لَا فِي الْأَوَّلَى وَلَا فِي الْآخِرَةِ. وَإِنَّمَا الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلَى وَالْآخِرَةِ لِمَنْ لَهُ صِفَاتُ الْكَمَالِ، وَنَعَوَاتُ الْجَلَالِ، الَّتِي لِأَجْلِهَا اسْتَحَقَّ الْحَمْدَ.

وكَذَلِكَ حَمْدُهُ لِنَفْسِهِ عَلَى عَدَمِ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ الْمُتَضَمِّنِ لِكَمَالِ صَمَدِيَّتِهِ وَغِنَاهُ وَمَلَكِهِ، وَتَعْبِيدِ كُلِّ شَيْءٍ لَهُ. فَاتَّخَذَ الْوَلَدَ يُنَافِي ذَلِكَ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَنَهُ هُوَ الْغَنِيُّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ [يونس: ٦٨].

وَحَمْدُ نَفْسِهِ عَلَى عَدَمِ الشَّرِيكِ، الْمُتَضَمِّنِ تَفَرُّدَهُ بِالرَّبُوبِيَّةِ وَالْإِلَهِيَّةِ، وَتَوْحِيدِهِ بِصِفَاتِ الْكَمَالِ الَّتِي لَا يَوْصَفُ بِهَا غَيْرُهُ، فَيَكُونُ شَرِيكًا لَهُ. فَلَوْ عَدِمَهَا لَكَانَ كُلُّ مَوْجُودٍ أَكْمَلُ مِنْهُ. لِأَنَّ الْمَوْجُودَ أَكْمَلُ مِنَ الْمَعْدُومِ. وَلِهَذَا لَا يَحْمَدُ نَفْسَهُ سُبْحَانَهُ بَعْدَ، إِلَّا إِذَا كَانَ مُتَضَمِّنًا لِثُبُوتِ كَمَالِهِ. كَمَا حَمَدَ نَفْسَهُ بِكَوْنِهِ لَا يَمُوتُ لِتَضَمُّنِهِ كَمَالَ حَيَاتِهِ.

وَحَمْدَ نَفْسِهِ بِكَوْنِهِ لَا تَأْخُذُهُ سَنَةٌ وَلَا نَوْمٌ، لِتَضَمُّنِ ذَلِكَ كَمَالِ قِيَوْمِيَّتِهِ. وَحَمْدَ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا يَعْرُبُ عَنْ عِلْمِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ، لِكَمَالِ عِلْمِهِ وَإِحَاطَتِهِ.

وَحَمْدَ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا يَظْلِمُ أَحَدًا، لِكَمَالِ عَدْلِهِ وَإِحْسَانِهِ.

وَحَمْدَ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ لَا تَدْرُكُهُ الْأَبْصَارُ، لِكَمَالِ عَظَمَتِهِ، يُرَى وَلَا يُدْرَكُ، كَمَا أَنَّهُ يُعْلَمُ وَلَا يُحَاطُ بِهِ عِلْمًا. فَمَجْرَدُ نَفْيِ الرُّؤْيَةِ لَيْسَ بِكَمَالٍ. لِأَنَّ الْعَدَمَ لَا يُرَى. فَلَيْسَ فِي كَوْنِ الشَّيْءِ لَا يُرَى كَمَالٌ أَلْبَتَّةَ. وَإِنَّمَا الْكَمَالُ فِي كَوْنِهِ لَا يُحَاطُ بِهِ رُؤْيَةً وَلَا إِدْرَاكًا، لِعَظَمَتِهِ فِي نَفْسِهِ، وَتَعَلُّيهِ عَنِ إِدْرَاكِ الْمَخْلُوقِ لَهُ. وَكَذَلِكَ حَمْدَ نَفْسِهِ بَعْدَ الْغَفْلَةِ وَالنِّسْيَانِ، لِكَمَالِ عِلْمِهِ.

فَكُلُّ سَلْبٍ فِي الْقُرْآنِ حَمْدَ اللَّهِ بِهِ نَفْسُهُ فَلَـمُضَادَّتِهِ لثَبُوتِ ضِدِّهِ، وَلِتَضَمُّنِهِ كَمَالَ ثَبُوتِ ضِدِّهِ.

فَعَلِمْتُ أَنَّ حَقِيقَةَ الْحَمْدِ تَابِعَةٌ لثَبُوتِ أَوْصَافِ الْكَمَالِ، وَأَنَّ نَفْيَهَا نَفْيُ حَمْدِهِ، وَنَفْيُ الْحَمْدِ مُسْتَلْزِمٌ لثَبُوتِ ضِدِّهِ^(١).



• التفكير من طرق تعظيم الله تعالى

فمن تعظيم الله تبارك وتعالى: التفكير في آياته وآلائه وبديع صنعه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ۝﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

قال ابن كثير رحمه الله: «ومعنى الآية أن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي هذه في ارتفاعها واتساعها، وهذه في انخفاضها وكثافتها واتضاعها، وما فيها من الآيات المشاهدة العظيمة من كواكب وسيارات، وثوابت وبحار وجبال وقفار وأشجار ونبات، وزروع وثمار، وحيوان ومعادن، ومنافع مختلفة الألوان والروائح والطعوم والخواص، ﴿وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ﴾ أي تعاقبهما وتعارضهما الطول والقصر، فتارة يطول هذا ويقصر هذا، ثم يعتدلان ثم يأخذ هذا من هذا فيطول الذي كان قصيرا، ويقصر الذي كان طويلا. وكل ذلك تقدير العزيز العليم، ولهذا قال تعالى: ﴿لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ أي العقول التامة الذكية التي تدرك الأشياء بحقائقها على جليّاتها، وليسوا كالصم البكم الذين لا يعقلون، الذين قال الله فيهم: ﴿وَكَأَن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ۝﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ثم وصف تعالى أولي الألباب، فقال: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾. كما ثبت في صحيح البخاري عن عمران بن حصين: أن الرسول

قال: «صَلِّ قائماً، فإن لم تستطع فقاعداً، فإن لم تستطع فعلى جَنْبٍ»^(١)
أي لا يقطعون ذكره في جميع أحوالهم بسرائرهم وضمايرهم وألستهم،
﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ أي يفهمون ما فيها من الحكم
الدالة على عظمة الخالق وقدرته وعلمه وحكمته واختياره ورحمته.

وقال الشيخ أبو سليمان الداراني: إني لأخرج من منزلي فما يقع بصري
على شيء إلا رأيتُ لله عليّ فيه نعمةً ولي فيه عبرةٌ. رواه ابنُ أبي الدنيا في كتابِ
التوكل والاعتبار.

وعن الحسن البصري أنه قال: تفكّر ساعة، خيرٌ من قيام ليلة. وقال
الفضيل: قال الحسن: الفكرة مرآة تريك حسناتك وسيئاتك.

وقال سفيان بن عيينة: الفكرة نورٌ يدخل قلبك. وربّما تمثّل بهذا البيت:
إذا المرءُ كانت له فِكْرَةٌ ففي كلِّ شيءٍ له عِبْرَةٌ

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «طوبى لمن كان قلبه تذكّراً، وصمته تفكّراً،
ونظره عِبْرًا».

قال لقمان الحكيم: «إن طول الوحدة ألهم للفكرة، وطول الفكرة دليلٌ
على طريق باب الجنة».

وقال وهب بن منبه: «ما طالت فكرة امرئٍ إلا فهم، ولا فهم امرؤٌ
قطُّ إلا عِلْمٌ، ولا عِلْمٌ امرؤٌ قطُّ إلا عَمَلٌ». وقال عمر بن عبد العزيز:
«الكلام بذكر الله تعالى حسنٌ، والفكرة في نعم الله أفضل العبادَةِ».

(١) رواه البخاري (١٠٥٠)، وأبو داود (٨١٥).

وقال مغيث الأسود: «زوروا القبور كل يوم تفكركم، وشاهدوا الموقف بقلوبكم، وانظروا إلى المنصرف بالفريقين إلى الجنة أو النار، وأشعروا قلوبكم وأبدانكم ذكر النار ومقامعها وأطباقها».

وعن ابن عباس أنه قال: «ركعتان مقتصدتان في تفكير، خير من قيام ليلة والقلب ساه».

وقال الحسن البصري: «يا ابن آدم، كل في ثلث بطنك، واشرب في ثلثه، ودع ثلثه الآخر تتنفس للفكرة».

وقال بعض الحكماء: «من نظر إلى الدنيا بغير العبرة، انطمس من بصر قلبه بقدر تلك الغفلة».

وقال بشر بن الحارث الخافي: «لو تفكر الناس في عظمة الله تعالى لما عصوه».

وقال الحسن عن عامر بن عبد قيس، قال: «سمعت غير واحد ولا اثنين ولا ثلاثة من أصحاب النبي ﷺ يقولون: إن ضياء الإيمان أو نور الإيمان التفكر».

وعن عيسى عليه السلام أنه قال: «يا ابن آدم الضعيف اتق الله حيثما كنت، وكن في الدنيا ضيفاً، واتخذ المساجد بيتاً، وعلم عينك البكاء، وجسدك الصبر، وقلبك الفكر، ولا تهتم برزق غد».

وعن أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، أنه بكى يوماً بين أصحابه، فسئل عن ذلك، فقال: «فكرت في الدنيا ولذاتها وشهواتها، فاعتبرت منها

بها، ما تكادُ شهواتُها تنقضي، حتى تكدرَها مَراتبُها، ولئن لم يكن فيها عبرةٌ لمن اعتبر إنَّ فيها مواعظَ لمن اذَّكرَ».

وقال ابنُ أبي الدنيا: «أشدني الحسينُ بنُ عبد الرحمن:

نزهةُ المؤمنِ الفكرَ	لذةُ المؤمنِ العِبرَ
نحمدُ اللهَ وحده	نحنُ كلُّ على حَطر
رُبَّ لاهٍ وعمُرُه	قد تقضى وما شَعَر
رُبَّ عيشٍ قد كان فو	ق المنى مونقَ الزَّهر
في خريبرٍ من العُيو	نِ وظلٍ من الشَّجر
وسرورٍ من النِّبا	تِ وطيبٍ من الثَّمَر
غيرتُه وأهلُه	سرعةُ الدَّهرِ بالغيرِ
نحمدُ اللهَ وحده	إن في ذا المَعْتَبَر
إنَّ في ذا العِبرةُ	للَّيْبِ إن اعتبر

وقد ذم الله تعالى من لا يعتبرُ بمخلوقاتِه الدالةِ على ذاتِه وصفاتِه وشرعِه وقدرِه وآياتِه، فقال: ﴿وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [يوسف: ١٠٥-١٠٦]، ومدح عباده المؤمنين: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيكَمَا وَقَعُوا وَأَعْلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ قائلين: ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا﴾ أي ما خلقتَ هذا الخلق عبثًا، بل بالحقِّ لِتَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا

بِهَا عَمِلُوا، وَتَجَزَّى الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى، ثُمَّ نَزَّهَهُ عَنِ الْعِبْثِ وَخَلَقَ
الْبَاطِلَ، فَقَالُوا: ﴿سُبْحَنَكَ﴾ أَيُّ عَنْ أَنْ تَخْلُقَ شَيْئًا بَاطِلًا ﴿فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾
أَيُّ يَا مَنْ خَلَقَ الْخَلْقَ بِالْحَقِّ وَالْعَدْلِ، يَا مَنْ هُوَ مَنَزَّةٌ عَنِ النِّقَاصِ وَالْعَيْبِ
وَالْعِبْثِ. قِنَا مِنْ عَذَابِ النَّارِ بِحَوْلِكَ وَقُوَّتِكَ وَفِيضِنَا لِأَعْمَالٍ تَرْضَى بِهَا عَنَا.
وَوَفَّقَنَا لِعَمَلٍ صَالِحٍ تَهْدِينَا بِهِ إِلَى جَنَّاتِ النِّعَمِ، وَتَجِيرُنَا بِهِ مِنْ عَذَابِكَ
الْأَلِيمِ^(١).

■ ■ ■

(١) تفسير ابن كثير (١/٥٧٠-٥٧٢) باختصار.

• وفي أنفسكم أفلا تبصرون

تفكّر في نفسك أيها الإنسان.. أين كنت؟ وكيف جئت؟ ومم خلقت؟ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ۝١١ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَّكِينٍ ۝١٢ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ۝١٤ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ۝١٥ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ تُبْعَثُونَ ۝﴾ [المؤمنون: ١٢-١٦].

فالإنسان إذا تفكّر بعقله في نفسه رآها مدبرةً وعلى أحوالٍ شتى مُصَرَّفةً.. كان نطفةً، ثم علقّةً، ثم مضغةً، ثم لحماً وعظماً.. فيعلم - بهذا الفكر - أنه لم ينتقل من حالٍ النقص إلى حال الكمال، لأنّه لا يقدر على أن يحدث لنفسه في الحال الأفضل التي هي كمال عقله وبلوغ أشده عُضْوًا من الأعضاء، ولا يمكنه أن يزيد في جوارحه جارحةً، فيدله ذلك على أنه في حال نقصه وأوانٍ ضعفه على فعل ذلك أعجز.

وقد يرى نفسه شاباً ثم كهلاً، ثم شيخاً وهو لم ينقل نفسه من حال الشباب والقوة إلى حال الشيخوخة والهرم، ولا اختاره لنفسه، ولا في وسعه أن يزايل حال المشيب ويراجع قوة الشباب.

فيعلم بذلك أنه ليس هو الذي فعل تلك الأفعال بنفسه، وأن له صانعاً صنعه، وناقلاً نقله من حالٍ إلى حالٍ، ولولا ذلك لم تبدل أحواله بلا ناقل ولا مدبر.

وقال بعض الحكماء: إن كلَّ شيءٍ في العالم الكبير له نظيرٌ في العالم الصغير الذي هو بدنُ الإنسان ولذلك قال تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذريات: ٢١].

- والسمعُ والبصرُ منها بمنزلةِ الشمسِ والقمرِ في إدراكِ المدركاتِ بها.
- وأعضاؤه تصيرُ عند البلى ترابًا من جنسِ الأرضِ.
- وفيه من جنسِ الماءِ العرقُ وسائرُ رطوباتِ البدنِ.
- ومن جنسِ الهواءِ فيه الروحُ والنفسُ.
- ومن جنسِ النارِ فيه المرأةُ الصفراءُ.
- وعروقه بمنزلةِ الأنهارِ في الأرضِ.
- وكَبِدُهُ بمنزلةِ العيونِ التي تستمدُّ منها الأنهارُ؛ لأنَّ العروقَ تستمدُّ من الكبدِ.
- ومثانئهُ بمنزلةِ البحرِ؛ لانصبابِ ما في أوعيةِ البدنِ إليها، كما تنصبُّ الأنهارُ إلى البحرِ.
- وعظامُهُ بمنزلةِ الجبالِ التي هي أوتادُ الأرضِ.
- وأعضاؤه كالأشجارِ، فكما أنَّ لكلَّ شجرةٍ ورقًا وثمرًا، فلكلِّ عضوٍ و فعلٌ أو أثرٌ.
- والشعرُ على البدنِ بمنزلةِ النباتِ والحشيشِ على الأرضِ.

- ثُمَّ إِنَّ الْإِنْسَانَ يَحْكِي بِلِسَانِهِ كُلَّ صَوْتِ حَيَوَانٍ، وَيَحَاكِي بِأَعْضَائِهِ صَنَعَ كُلِّ حَيَوَانٍ.

فهو العالمُ الصغيرُ مع العالمِ الكبيرِ، مخلوقٌ مُحدثٌ لصانعٍ واحدٍ لا إلهَ إلا هو^(١).

قال قتادة في قوله تعالى: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ قال: «من تفكَّر في نفسه عِلِمَ أَنَّهُ خُلِقَ لِعِبَادَةِ اللَّهِ»، وقال ابنُ الزبير ومجاهد: «المراد: سبيلُ الخلائق والبول».

وقال السائبُ بنُ شريك: «يأكلُ ويشربُ من مكانٍ واحدٍ ويُخرجُ من مكانين».

ولو شَرِبَ لَبَنًا مُحَضًّا لَخَرَجَ مِنْهُ الْمَاءُ وَمِنْهُ الْغَائِطُ.

وقال ابنُ زيد: «المعنى أَنَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ وَجَعَلَ لَكُمْ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْتِدَةَ ﴿ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْشَرُونَ﴾ [الروم: ٢٠]».

وقال السدي: ﴿وَفِي أَنْفُسِكُمْ﴾ أي: «في حياتِكُمْ وموتِكُمْ وفيما يدخلُ ويُخرجُ من طعامِكُمْ».

وقال الحسن: «في الهَرَمِ بَعْدَ الشَّبَابِ، وَالضَّعْفِ بَعْدَ الْقُوَّةِ، وَالشَّيْبِ بَعْدَ السَّوَادِ».

وقيلَ المعنى: وفي خَلْقِ أَنْفُسِكُمْ مِنْ نَظْفَةٍ وَعَلَقَةٍ وَمُضْغَةٍ وَلَحْمٍ وَعَظْمٍ إِلَى نَفْخِ الرُّوحِ، وَفِي اخْتِلَافِ الْأَلْسِنَةِ وَالْأَلْوَانِ وَالصُّوَرِ إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٢/٢٠٢).

الآياتِ الباطنةِ والظاهرةِ، وحسبك بالقلوبِ وما ركزَ فيها من العقولِ، وما خُصَّتْ به من أنواعِ المعاني والفنونِ، وبالألسنِ والنطقِ ومخارجِ الحروفِ، والأبصارِ والأطرافِ، وسائرِ الجوارحِ، وتأتيها لما خلقتَ له، وما سوى في الأعضاءِ من المفاصلِ للانعطافِ والشَّني ﴿فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ﴾ [المؤمنون: ١٤]، وقوله: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ يعني بَصَرَ القلبِ، ليعرفُوا كمالِ قدرةِ الخالقِ^(١).

أراد رجلٌ أن يحاججَ الإمامَ عليّاً عليه السلامَ فوقَفَ وقال: «يا علي! إني سائلُك.. فقال الإمام: سلْ تفقّها ولا تسألَ تعتُّا. فقال الرجلُ: أنتَ حَمَلْتَنِي على ذلك ثم قال: هل رأيتَ ربَّكَ يا علي؟ قال: ما كنتُ أعبدُ ربّاً لم أره! فقال الرجلُ: كيف رأيتَه؟ قال: لم ترهُ العيونُ بمشاهدةِ العيانِ، ولكن رأتهُ القلوبُ بحقيقةِ الإيمانِ، ربي واحدٌ لا شريكَ له، أحدٌ لا ثانيَ له، فردٌّ لا مثلَ له، لا يحويه مكانٌ، ولا يداوُلُهُ زمانٌ، لا يُدْرِكُ بالحواسِّ، ولا يُقاسُ بالقياسِ»^(٢).

قال عليّ عليه السلامَ:

وداؤُك فيكَ وما تبصرُ وداؤُك منك وما تشعرُ
وتزعمُ أنَّك جرمٌ صغيرٌ وفيك انطوى العالمُ الأكبرُ

فمن تأمل في ذاته، وتفكَّر في صفاته ظهرت له عظمةُ باريه، وآياتُ مُبديه..

(١) انظر: المصدر السابق (٤٠/١٧).

(٢) تفسير روح البيان (١٢٨/٩).

فسبحانه من ربِّ لا يُضَاهِي، ومنانٍ لا يُحْصَى كرمُهُ ولا يَنْتَاهِي، ونحن في تيارٍ بحرٍ جودهٍ سابحون، وعن إقامةٍ مراسِمِ شُكْرِهِ قاصرون. وما أحسنَ قولَ بعضِ العارفينَ: أنه تعالى يملكُ عبادًا غيرَكَ، وأنتَ ليسَ لك ربٌّ سواه ثم إنكَ تتساهلُ في خدمتِهِ، والقيامِ بوظائفِ طاعَتِهِ، كأنَّ لك ربًّا بل أربابًا غيرَه، وهو سبحانه يعتني بتربيتِكَ حتى كأنه لا عبدَ له سواكَ، فسبحانه ما أتمَّ تربيتَه، وأعظمَ رحمته^(١).

إليك إله الخلق أرفعُ رغبتِي	وإن كنتُ يا ذا المنِّ والجودِ مجرمًا
ولما قسا قلبي وضّقتُ مذاهبي	جعلتُ الرّجا مني لعفوكُ سلّمًا
نعاظمني ذنبي فلما قرنتُهُ	بعفوكُ ربِّي كان عفوكُ أعظمًا
وما زلتُ ذا عفٍ عن الذنبِ لم تزلْ	تُجودُ وتعفو مِنّةً وتكرّمًا
ولولاكُ لم يصمذُ إبليسُ عابدٌ	فكيفَ وقد أغوى صفيكُ آدمًا
فيا ليتَ شعري هل أصيرُ لجنّةٍ	فأهنا وأما للسعيرِ فأندما
وإني لآتي الذنبَ أعرفُ قدره	وأعلمُ أن الله يعفو ويرحمًا
فإن تعفُ عني تعفُ عن متمرّدٍ	ظُلُومِ غُشُومٍ لا يزايلُ مأثما
وإن تنقِمَ مني فليستُ بآيسٍ	ولو أدخلتُ نفسي بجُرمي جهنّمًا



(١) (روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني) لأبي الفضل محمود الألوسي.

• عناية الله بالإنسان

جاء في بعض الآثار: يا ابن آدم! أنى تعجزني وقد خلقتك من نطفة، ثم من علقه، ثم من مضغة، ثم نفختُ فيك الروح، وجعلتُ لك مُتَكاً عن يمينك، ومُتَكاً عن شمالك. فالذي عن يمينك الكبد، والذي عن شمالك الطحال، وجعلتُ وجهك إلى ظهر أمك حتى لا تفزع من الرَّحِم، وغشيتُ وجهك بغشاء حتى لا تؤذيك رائحة الطعام، ورزقتك وأنت في بطن أمك. حتى إذا جاء وقتُ خروجك إلى الدنيا، أمرتُ الملكَ الموكلَ، فأخرجك إلى الأرض، ليس لك يدٌ تبطش، ولا رجلٌ تسعى بها، ولا سنٌ يقطع. وأنبتُ لك في صدرِ أمك عرقين رقيقين يُغذيانك بلبنٍ سائغ، باردٍ في الصيف، دافئٍ في الشتاء. وقذفتُ محبتك في قلب والدتك، فلا يأكلان حتى تأكل، ولا يشربان حتى تشرب، ولا يرقدان حتى ترقد، حتى إذا اشتدَّ عودك، وقويَ جسمك بارزتني بالمعاصي، ولم تستحِ مني! ومع ذلك إن تبتَ إليّ قبلتك، وإن سألتني أعطيتك، وإن استغفرتني غفرتُ لك، وأنا الرحمن الرحيم.

﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ ۝ ٧٧ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُعْجِي الْعِظَمَ وَهِيَ رَمِيمٌ ۝ ٧٨ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٧-٧٩].

عن بسر بن جحاش القرشي أن النبي ﷺ بزق يوماً في كفه، فوضع عليها أصبعه، ثم قال: «قال الله: ابن آدم! أنى تُعجزني، وقد خلقتك من مثل هذه.. حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين، وللأرض منك وئيدٌ،

فَجَمَعَتْ وَمَنَعَتْ.. حَتَّى إِذَا بَلَغَتِ الرَّاقِيَّ قُلْتُ: أَتَصَدَّقُ، وَأَنْتَى أَوَانُ
الْصَّدَقَةِ» [رواه أحمد].

قال ابنُ الجوزي: « وَجَمِيعُ الْمَوْجُودَاتِ مِنْ آثَارِ قُدْرَتِهِ.. وَأَعْجَبُ آثَارِ
الْأَدَمِيِّ، فَإِنَّكَ إِذَا تَفَكَّرْتَ فِي نَفْسِكَ كَفَى، وَإِذَا نَظَرْتَ فِي خَلْقِكَ شَفَى!
أَلَيْسَ قَدْ فَعَلَ فِي قَطْرَةٍ مِنْ مَاءٍ مَا لَوْ انْقَضَتِ الْأَعْمَارُ فِي شَرْحِ حِكْمَتِهِ مَا
وَفَّتْ؟! »

كَانَتِ النُّقْطَةُ مَغْمُوسَةً فِي دَمِ الْحَيْضِ وَمِقْيَاسُ الْقُدْرَةِ يَشُقُّ السَّمْعَ
وَالْبَصَرَ!

خَلَقَ مِنْهَا ثَلَاثِينَ وَسْتِينَ عَظْمًا، وَخَمْسِينَ وَتِسْعًا وَعِشْرِينَ عَظْلَةً، كُلُّ
مِنْ ذَلِكَ تَحْتَهُ حِكْمَةٌ.

فَالْعَيْنُ سَبْعُ طَبَقَاتٍ، وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرِينَ عَظْلَةً لِتَحْرِيكِ حَدَقَةِ الْعَيْنِ
وَأَجْفَانِهَا، لَوْ نُقِصَتْ مِنْهَا وَاحِدَةٌ لَاجْتَلَّ الْأَمْرُ.

وَأَظْهَرَ فِي سَوَادِ الْعَيْنِ عَلَى صِغَرِهِ صُورَةَ السَّمَاءِ مَعَ اتْسَاعِهَا.

وَخَالَفَ بَيْنَ أَشْكَالِ الْحَنَاجِرِ فِي الْأَصْوَاتِ.

وَسَخَّرَ الْمَعْدَةَ لِإِنضَاجِ الْغِذَاءِ.

وَالْكَبِدَ لِإِحَالَتِهِ إِلَى الدَّمِ.

وَالطَّحَالَ لَجَذْبِ السُّودَاءِ.

وَالْمَرَارَةَ تَنَاوُلُ الصُّفْرَاءِ كُلِّهَا.

والعروق كالخدم للكبد، تنفذ منها الدماء إلى أطراف البدن.
فيا أيها الغافل! ما عندك خبرٌ منك، فما تعرفُ من نفسك إلا أن تجوع
فتأكل وتشبع فتنام، وتغضب فتخاصم، فبماذا تميزت على البهائم؟!

■ ■ ■

• انظر حولك.. تأملات في الكون والآفاق

ارفعْ بَصَرَ فِكْرِكَ إلى عجائبِ السمواتِ، فتَلَمَّحْ الشمسَ في كُلِّ يومٍ في منزلٍ، فإذا انخَفَضَتْ بَرَدَ الهَوَاءُ وجاءَ الشتاءُ، وإذا ارتَفَعَتْ قَوِيَ الحَرُّ، وإذا كانت بين المنزلتين اعتَدَلَ الزمانُ.

ثم اخْفِضْ بَصَرَكَ إلى الأرضِ، ترى فِجَاجَها مَذَلَّةً للتسخيرِ، ﴿فَأَمْسُوا فِي مَنَاجِبِهَا﴾ [الملك: ١٥]، وتفكَّروا في شُرِّها بعد جَدِّها بكأسِ القطرِ.

وتَلَمَّحْ خُرُوجَ النباتِ يَرْفُلُ في ألوانِ الحُلُلِ على اختلافِ الصورِ والطعومِ والأرايحِ.

وانظرْ كيفَ نَزَلَ القِطْرُ إلى عِرْقِ الشَّجَرِ، ثم عادَ ينجذبُ إلى فروعِها، ويجري في تجاويفِها بعروقٍ لا تفتقرُ إلى كُفَّةٍ.

فلا حظَّ للغافلِ في ذلكَ إِلَّا سَماعُ الرعدِ بأذنيه، ورؤيةُ النباتِ والمطرِ بعينه.. كلاً! لو فُتِحَ بَصَرُ البصيرةِ، لَقَرَأَ على كُلِّ قطرةٍ خطًّا بالقلمِ الإلهيِّ: أَتَها رِزْقُ فلانٍ في وقتٍ كذا!!

ثم انظرْ إلى المعادنِ لحاجاتِ الفقيرِ إلى المصالحِ، فمنها مودعٌ كالرصاصِ والحديدِ، ومنها مصنوعٌ بسببِ غيرِه كالأرضِ السبخةِ، يُجمَعُ فيها ماءُ المطرِ فيصيرُ مِلْحًا.

وانظرْ إلى انقسامِ الحيواناتِ ما بين طائرٍ وماشٍ وإلهامها ما يُصلِحُها.

وانظرْ إلى بُعْدِ ما بين السماءِ والأرضِ، كيفَ مَلَأَ ذلكَ الفراغَ هواءٌ؛ لتستنشقَ منه الأرواحُ، وتَسَبَّحَ الطيرُ في تيارِه إذا طارتْ.

وانظر بفكرك إلى سعة البحر وتسخير الفلك فيه، وما فيه من دابة.
قال يحيى بن أبي كثير: خلق الله ألف أمة، فأُسْكِنَ ستمائة في البحر،
وأربعمائة في البر.

واعجباً لك! لو رأيت خطأ مستحسن الرِّقم، لأدركك الدهش من
حكمة الكاتب، وأنت ترى رقوم القدرة ولا تعرف الخالق، فإن لم تعرفه
بتلك الصنعة، فتعجب كيف أعمى بصيرتك مع رؤية بصرك! ^(١).

فسبحانك يا ربنا.. يا من سبحت له الكائنات.. وسجد له الصخر
والنبات.. وتكدكت لخشيته الجبال الراسيات..

وسحر الربيع الشهي العطير	ويهتف حمداً جمال الصباح
وهمس النسيم ولحن المطر	وسحر السماء الشحي الوديع
يسبحه الظل تحت الشجر	تسبحه نغمات الطيور
يسبح دوماً أريج الزهر	يسبحه النبع بين المروج
وسحر المساء وضوء القمر	يسبحه النور بين الغصون

قال الإمام ابن الجوزي: عرض لي في طريق الحج خوف من العرب،
فسرنا على طريق خير، فرأيت من الجبال الهائلة والطرق العجيبة ما
أذهلني.. وزادت عظمة الخالق ﷻ في صدري، فصار يعرض لي عند ذكر
تلك الطرق نوع تعظيم لا أجده عند ذكر غيرها.

(١) انظر: التبصرة لابن الجوزي (٥٩/ - ٦١).

فصحتُ بالنفسِ: ويحك! اعبري إلى البحر، وانظري إليه وإلى عجائبه
بعين الفكر، تُشاهدي أهوالاً هي أعظم من هذه.. ثُمَّ اخرجي عن الكون،
والتفتي إليه، فإنك تريه بالإضافة إلى السموات والأفلاك كذرة في فلاة..

ثم جولي في الأفلاك.. وطوفي حول العرش.. وتلمّحي ما في الجنان
والنيران.. ثُمَّ اخرجي عن الكل والتفتي إليه.. فإنك تشاهدين العالم في
قبضة القادر الذي لا تقف قدرته عند حد.. ثم التفتي إليك.. فتلمّحي
بدايتك ونهايتك.. وتفكرّي فيما قبل البداية وليس إلاّ العدم.. وفيما بعد البلى
وليس إلاّ التراب!!

كيف يأنس بهذا الوجود من نظر بعين فكره المبدأ والمنتهى؟ وكيف
تغفل القلوب عن ذكر هذا الإله العظيم؟

بالله لو صحت النفوس عن سُكر هواها لذابت من خوفه.. أو لغابت
في حبه.. غير أنّ الحسّ غلب.. فعظمت قدرة الخالق عند رؤية جبل.. وإن
الفتنة لو تلمّحت المعاني لدلت القدرة عليه أوفى من دليل الجبل. فسبحان
من شغل أكثر الخلق بما هم فيه عما خلّقوا له.. سبحانه» [صيد الخاطر].

الفجرُ بدّده الضحى وعلى الضحى شدّ الأصيلُ
والليلُ يدنو زحفه فكأنّها انهمرت سُيولُ
أرخت على الدنيا دجاء فعمّ في الدنيا الذُّهولُ
الصمتُ لوّن هذه الدنيا وغطّاها حُمولُ
والريحُ أعيائها السرى والبدرُ من ضعفٍ خجولُ

ونظرتُ مَنْ يَحْمِي الأَنَامَ وعَزَّ في الناسِ السَّبِيلُ!
ونظرتُ مَنْ لِلنَّجْمِ يُمَسِّكُهُ فَلَا يَخْشَى أَقُولُ!!
ونظرتُ ثُمَّ نظرتُ ثُمَّ رأيتُ كَمْ حَارَتْ عُقُولُ
وَنَظَرْتُ ثُمَّ نَظَرْتُ يَا سُبْحَانَ رَبِّي مَا أَقُولُ
وَضَحَ الدَّلِيلُ وَغَابَ عَنَّا أَنَّهُ وَضَحَ الدَّلِيلُ
وَلَرَّبَّمَا تَحْوِي يَدَيَّ وَأَنَا بِمَا تَحْوِي جَهْلُ!!

ذكر الحافظُ ابنُ رجبٍ عن بعضِ السلفِ أنه قرأ في بعض الكتب
المنزلة: «يقولُ اللهُ ﷻ: يَوْمَلُ غَيْرِي للشَّدَائِدِ.. والشَّدَائِدُ بِيَدِي.. وأنا الحَيُّ
الْقَيُومُ.. وَيُرْجَى غَيْرِي.. وَيُطْرَقُ بَابُهُ بالبُكَرَاتِ! وبِيَدِي مَفَاتِيحُ الْخَزَائِنِ..
وبَابِي مَفْتُوحٌ لِمَنْ دَعَانِي!!

مَنْ ذَا الَّذِي أَمَلَنِي لِنَائِيهِ فَقَطَعْتُ بِهِ..؟!
أَوْ مَنْ ذَا الَّذِي رَجَانِي لِعَظِيمٍ فَقَطَعْتُ رَجَاءَهُ!!..
وَمَنْ ذَا الَّذِي طَرَقَ بَابِي فَلَمْ أَفْتَحْ لَهُ؟!
أَنَا غَايَةُ الْآمَالِ.. فَكَيْفَ تَنْقَطِعُ الْآمَالُ دُونِي؟!
أَبْخِيلُ أَنَا؟ فَيَخْلُنِي عَبْدِي!!
أَلَيْسَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ وَالْكَرَمُ وَالْفَضْلُ كُلُّهُ لِي؟!
فَمَا يَمْنَعُ الْمُؤْمِلِينَ أَنْ يُؤْمِلُونِي؟!

لو جمعتُ أهلَ السمواتِ وأهلَ الأرضِ.. ثم أعطيتُ كلَّ واحدٍ منهم
ما أعطيتُ الجميعَ.. وبلغتُ كلَّ واحدٍ منهم أمله.. لم يُنْقِصْ ذلك من مُلكي
ذرةً.. وكيف يُنْقِصُ مُلكُ أنا قِيَمُهُ؟!

فيا بؤساً للقَانِطِينَ من رَحْمَتِي!!

ويا بؤساً لمن عَصَانِي.. وتوثَّبَ على مُحَارِمِي!!



• تعظيمُ الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته

لا شكَّ أنَّ من أعظم أسباب تعظيم الله ﷻ: تدبُّر معاني أسمائه الحسنَى وما تدلُّ عليه من صفاتٍ وما توجِّبه من آثارٍ عظيمةٍ، ولذلك نَبَّه الله ﷻ على التأمل والتدبُّر في تلك الآثار، فقال في صفة «الرحمة»: ﴿فَانْظُرْ إِلَىٰ آثَرِ رَحْمَةِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

فإذا جهَلَ الإنسانُ معاني تلك الأسماء الحسنَى، وجَهَلَ ما تدلُّ عليه من صفاتٍ، كيفَ له أن يَعْرِفَ آثارَ هذه الأسماء وَيَنْتَفِعَ بها فقد قال سبحانه: ﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠].

• والدعاء هنا يَتَضَمَّنُ نوعين:

أولاً: دعاءُ المسألة والطلب: وذلك بأن تُقَدِّمَ بين يَدَيِ دعائك من أسماء الله ما يكون مناسباً للمطلوب، كما قال ابن القيم: يُسأل في كلِّ مطلوبٍ بما يكون مقتضياً لذلك المطلوب، فيكون السائل متوسِّلاً إليه بذلك الاسم، ومن تأمَّل أدعية الرسل وجدَّها مطابقةً لهذا.

ثانياً: دعاءُ الثناء والعبادة: وذلك بأن تُمَجِّدَهُ وتُثْنِيَ عليه بأسمائه الحسنَى، وأن تَتَعَبَّدَ لله تعالى بمقتضى هذه الأسماء.

ولا شك أن الجهل بمعاني هذه الأسماء الحسنَى يمنعُ من الانتفاع بها في هذا الباب.

وقد أكثر الإمام ابن القيم وأطاب في ذكر معاني أسماء الله الحسنَى، وتبعه في ذلك الشيخ عبد الرحمن بن سعدي رحمهما الله^(١)، وكان مما قالوا:



(١) انظر ص: ١٣٠ من هذا الكتاب.

• نظرات في الأسماء والصفات وآثارها

قال ابن القيم عن هذا المشهد: «وهو من أجل المشاهد.
والمطلع على هذا المشهد: معرفة تعلق الوجود خلقاً وأمرًا بالأسماء
الحسنى، والصفات العلى، وارتباطه بها. وإن كان العالم - بما فيه - من بعض
آثارها ومقتضياتها.

وهذا من أجل المعارف وأشرفها، وكل اسم من أسمائه سبحانه له صفة
خاصة.

فإن أسماءه أوصاف مدح وكمال.

وكل صفة لها مقتضى وفعل: إما لازم وإما متعدي، ولذلك الفعل تعلق
بمفعول هو من لوازمه. وهذا في خلقه وأمره، وثوابه وعقابه. كل ذلك آثار
الأسماء الحسنى وموجباتها.

ومن المحال تعطيل أسمائه عن أوصافها ومعانيها، وتعطيل الأوصاف
عما تقتضيه وتستدعيه من الأفعال، وتعطيل الأفعال عن المفعولات، كما أنه
يستحيل تعطيل مفعوله عن أفعاله، وأفعاله عن صفاته، وصفاته عن أسمائه.
وتعطيل أسمائه وأوصافه عن ذاته.

وإذا كانت أوصافه صفات كمال، وأفعاله حكماً ومصالح، وأسماءه
حسنى: ففرض تعطيلها عن موجباتها مستحيل في حقه.

ولهذا ينكر سبحانه على من عطّله عن أمره ونهيه، وثوابه وعقابه، وأنه

بذلك نسبهُ إلى ما لا يليقُ به وإلى ما يتنزَّه عنه، وأنَّ ذلك حُكْمٌ سيِّئٌ من حُكَمٍ به عليه، وأنَّ من نسبهُ إلى ذلك فما قدرهُ حقَّ قدره، ولا عظَّمهُ حقَّ تعظيمه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٩١]، وقال تعالى في حقِّ مُنْكَرِي المعادِ والثوابِ والعقابِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ يَمِينِهِ﴾ [الزمر: ٦٧]، وقال في حقِّ من جَوَّزَ عليه التسويةَ بينَ المختلفينَ، كالأبرارِ والفجارِ، والمؤمنينَ والكفارِ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ [الجاثية: ٢١]، فأخبر أنَّ هذا حُكْمٌ سيِّئٌ لا يليقُ به، تأباهُ أسماؤه وصفاته. وقال سبحانه: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ (١١٥) فتعلَّى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿[المؤمنون: ١١٥-١١٦]، عن هذا الظنِّ والحسبانِ، الذي تأباهُ أسماؤه وصفاته.

ونظائرُ هذا في القرآنِ كثيرةٌ. يَنفِي فيها عن نفسه خلافَ موجبِ أسماؤه وصفاته. إذ ذلك مستلزمٌ تعطيلها عن كمالها ومقتضياتها.

فاسمُهُ (الحميدُ، المجيدُ) يمنعُ تركَ الإنسانِ سُدىً مُهملاً معطلاً، لا يُؤمَّرُ ولا يُنهى. ولا يثابُّ ولا يعاقبُ.

وكذلك اسمُهُ (الحكيمُ) يَأْبَى ذلكَ. وكذلك اسمُهُ (الملكُ) واسمُهُ (الحيُّ) يمنعُ أن يكونَ معطلاً من الفعلِ. بل حقيقةُ (الحياةِ) الفعلُ. فكلُّ حيٍّ فعَّالٌ.

وكونه سبحانه (خالقاً قيوماً) من موجباتِ حياته ومقتضياتها.

واسمُهُ (السميعُ البصيرُ) يوجبُ مسموعاً ومرئياً.

واسمُهُ (الخالقُ) يقتضي مخلوقاً. وكذلك (الرزاقُ).

واسمُهُ (المَلِكُ) يقتضي مملكةً وتصرفاً وتديراً، وإعطاءً ومنعاً، وإحساناً وعدلاً، وثواباً وعقاباً.

واسمُهُ (البرُّ المحسنُ، المعطي، المنانُ) ونحوها تقتضي آثارها وموجباتها.

إذا عُرِفَ هذا. فمن أسمائه سبحانه (الغفارُ، التَّوَّابُ، العَفُوُّ) فلا بدَّ لهذه الأسماءِ من متعلقاتٍ، ولا بدَّ من جنائية تُغْفَرُ، وتوبة تُقْبَلُ، وجرائم يُعْفَى عنها.

ولا بدَّ لاسمِهِ (الحكيم) من متعلِّقٍ يظهرُ فيه حِكْمُهُ، إذ اقتضاء هذه الأسماءِ لآثارها كإقتضاء اسمِ (الخالقِ، الرزاقِ، المعطي، المانع) للمخلوق والمرزوق والمعطي والمنوع. وهذه الأسماءُ كلها حسنى.

والربُّ تعالى يحبُّ ذاته وأوصافه وأسماءه. فهو عَفُوٌّ يُحِبُّ العَفْوَ، ويحبُّ المغفرةَ، ويحبُّ التوبةَ، ويفرحُ بتوبة عبده حينَ يتوبُ إليه أعظمَ فَرَحٍ يَخْطُرُ بالبالِ.

وكان تقديرُ ما يغْفِرُهُ ويعْفُو عن فاعله، ويحلمُ عنه، ويتوبُ عليه ويسامحه: من موجبِ أسمائه وصفاته، وحُصولُ ما يحبه ويرضاه من ذلك. وما يحمده به نفسه، ويحمده به أهلُ سمواته وأهلُ أرضه: ما هو من موجباتِ كماله ومقتضى حمده.

وهو سبحانه: (الحميدُ المجيدُ) وحمده ومجده يقتضيانِ آثارَهُمَا.

ومن آثارِهِمَا: مغفرةُ الزَّلَّاتِ، وإِقَالَةُ العَثَرَاتِ، والعَفْوُ عن السيئاتِ،
والمساححةُ على الجنایاتِ، مع كمالِ القدرةِ على استيفاءِ الحقِّ، والعلمُ منه
سبحانه بالجنایةِ ومقدارِ عقوبَتِها، فحِلْمُهُ بعدَ علمِهِ، وعَفْوُهُ بعدَ قدرَتِهِ،
ومَغْفِرَتُهُ عن كمالِ عَزَّتِهِ وحكْمَتِهِ، كما قال المسيح عليه السلام: ﴿إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ
عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، أي فمغفرتك عن
كمالِ قدرتك وحكمتك، لستَ كمن يغفرُ عَجْزًا، ويسامحُ جَهْلًا بقدرِ الحقِّ،
بل أنتَ عليمٌ بحَقِّكَ، قادرٌ على استيفائه، حكيمٌ في الأخذِ به.

فمن تأملَ سريانَ آثارِ الأَسْمَاءِ والصفاتِ في العالمِ، وفي الأمرِ، تَبَيَّنَ له أن
مصدرَ قضاءِ هذه الجنایاتِ من العبيدِ، وتقديرِها: هو من كمالِ الأَسْمَاءِ
والصفاتِ والأفعالِ. وغاياتُها أيضًا: مقتضى حمده ومجده، كما هو مقتضى
ربوبيته وإلهيته.

فله في كُلِّ ما قَضَاهُ وَقَدَّرَهُ الحِكمةُ البالغةُ، والآياتُ الباهرةُ، والتعرفاتُ
إلى عبادِهِ بأَسْمَائِهِ وصفاتِهِ، واستدعاءُ محبتِهِمْ له، وذكرِهِمْ له، وشكرِهِمْ له،
وتعبدِهِمْ له بأَسْمَائِهِ الحُسْنَى. إذ كُلُّ اسمٍ فله تعبدٌ مختصٌّ به، علمًا ومعرفةً
وحالًا.

وأكملُ الناسِ عُبُودِيَّةً: المتعبدُ بجميعِ الأَسْمَاءِ والصفاتِ التي يطلعُ
عليها البشرُ، فلا تحبُّهُ عبوديةُ اسمٍ عن عبوديةِ اسمٍ آخرَ، كمن يَحْبُّهُ التعبدُ
باسمِ (القديرِ) عن التعبدِ باسمِ (الخليمِ الرحيمِ) أو يحبُّهُ عبوديةُ اسمِهِ
(المُعْطِي) عن عبوديةِ اسمِهِ (الْمَنَّاعِ) أو عبوديةِ اسمِهِ (الرَّحِيمِ والعَفْوُ
والغُفُورِ) عن اسمِهِ (الْمُنْتَقِمِ) أو التعبدُ بأَسْمَاءِ (التَوَدُّدِ، والْبِرِّ، واللُّطْفِ،

والإحسان) عن أسماء (العدل، والجبروت، والعظمة، والكبرياء) ونحو ذلك.
وهذه طريقة الكُمَّل من السائرين إلى الله. وهي طريقةٌ مشتقةٌ من قلبِ
القرآن. قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠]،
والدعاءُ بها يتناولُ دعاءَ المسألة، ودعاءَ الشاء، ودعاءَ التعبد.

وهو سبحانه يدعو عباده إلى أن يعرفوه بأسمائه وصفاته، ويُننوا عليه
بها، ويأخذوا بحظهم من عبوديتها.
وهو سبحانه يحبُّ موجبَ أسمائه وصفاته.

فهو (عليمٌ) يحبُّ كلَّ عليم (جوادٌ) يحبُّ كلَّ جوادٍ (وترٌ) يحبُّ الوترَ
(جميلٌ) يحبُّ الجمالَ (عَفُوٌّ) يحبُّ العَفْوَ وأَهْلَهُ (حَمِيٌّ) يحبُّ الحياءَ وأَهْلَهُ (بَرٌّ)
يحبُّ الأبرارَ (شَكُورٌ) يحبُّ الشاكرينَ (صَبُورٌ) يحبُّ الصابرينَ (حَلِيمٌ) يحبُّ
أَهْلَ الْحِلْمِ.

فلمحيته سبحانه للتوبة والمغفرة، والعفو والصفح: خلق من يغفرُ له،
ويتوبُ عليه، ويعفو عنه، وقدَّرَ عليه ما يقتضي وقوعَ المكروه والمبغوضِ له،
ليترتبَ عليه المحبوبُ له المرضي له، فتوسطه كتوسطِ الأسبابِ المكروهةِ
المفضيةِ إلى المحبوبِ.

فربما كان مكروهه العبادِ إلى محبوبها سببٌ ما مثله سببٌ

• والأسبابُ. مع مسبباتها. أربعةُ أنواع:

محبوبٌ يُفْضِي إلى محبوبٍ.

ومكروهٌ يُفْضِي إلى محبوبٍ.

وهذان النوعان عليهما مدارُ أقضيته وأقداره سبحانه بالنسبة إلى ما يحبه وما يكرهه.

والثالث: مكروهٌ يفضي إلى مكروهٍ.

والرابع: محبوبٌ يفضي إلى مكروهٍ.

وهذان النوعان ممتنعان في حقِّ سبحانه، إذ الغايات المطلوبة من قضائِهِ وقدرِهِ - الذي ما خلقَ ما خلقَ، ولا قضَى ما قضَى إلا لأجلِ حُصولِها - لا تكونُ إلا محبوبةً للربِّ مرضيةً له. والأسبابُ الموصلةُ إليها مُنقسمةٌ إلى محبوبٍ له ومكروهٍ له.

فالطاعاتُ والتوحيدُ: أسبابٌ محبوبةٌ له، مُوصلةٌ إلى الإحسانِ، والثوابُ المحبوبُ له أيضًا.

والشركُ والمعاصي: أسبابٌ مسخوطةٌ له، مُوصلةٌ إلى العدلِ المحبوبِ له، وإن كانَ الفضلُ أحبَّ إليه من العدلِ. فاجتماعُ العدلِ والفضلِ أحبُّ إليه من انفرادِ أحدهما عن الآخرِ، لما فيهما من كمالِ الملِكِ والحمدِ، وتنوعِ الثناءِ، وكمالِ القدرةِ.

فإن قيل: كان يمكنُ حصولُ هذا المحبوبِ من غيرِ توسُّطِ المكروهِ.

قيل: هذا سؤالٌ باطلٌ، لأنَّ وجودَ الملزومِ بدونِ لازمه ممتنعٌ. والذي يقدَّرُ في الذهنِ وجودُهُ شيءٌ آخرَ غيرُ هذا المطلوبِ المحبوبِ للربِّ. وحكمُ الذهنِ عليه بأنه محبوبٌ للربِّ حكمٌ بلا علمٍ، بل قد يكونُ مبغوضًا للربِّ تعالى لمنافاته حِكمتَه، فإذا حَكَمَ الذهنُ عليه بأنه محبوبٌ له. كان نسبةً له إلى

ما لا يليقُ به. ويتعالى عنه.

فليُعْطِ اللَّيْبُ هذا المَوْضِعَ حَقَّهُ من التَّأَمُّلِ. فإنه مَزَلَّةٌ أَقْدَامٍ، ومُضَلَّةٌ أَفْهَامٍ. ولو أَمْسَكَ عن الكلامِ من لا يَعْلَمُ لَقَلَّ الخِلافُ.

وهذا المشهدُ أَجَلٌ من أن يَحِيطَ به كِتَابٌ أو يَسْتَوْعِبَهُ خُطَابٌ، وإنما أَشَرْنَا إِلَيْهِ أَدْنَى إِشَارَةٍ تُطْلَعُ على ما وراءِها. واللهُ المَوْفِقُ والمَعِينُ^(١).



• تعظيم الله تعالى في القرآن

ومن وسائل تعظيم الله تعالى: تدبر القرآن وتحديق النظر في سوره وآياته، فالقرآن كله ينطق بالتعظيم والتمجيد والإجلال لرب العالمين، حتى قال أحد الباحثين الغربيين ليس هناك كتاب حوى من التعظيم والثناء والحمد والتقديس لله تعالى مثل ما حواه القرآن، وهذا يثبت أنه من عند الله تعالى؛ لأنه لو كان من افتراء محمد لجعل محمد لنفسه شيئاً من هذا التعظيم الإلهي وهو ما لا نجدُه أبداً في القرآن.

فانظر كيف يحمّد الله تعالى نفسه: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ١]، ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١]، وانظر كيف أثبت لنفسه كمال العلم: ﴿وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ﴾ [الأنعام: ٣]، وانظر كيف أثبت لنفسه القدرة التامة والقهر التام: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ يَضْرِبَ فَلَاحَاشَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [١٧] ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٧-١٨].

ومع ذلك فهو يثبت لنفسه الرحمة: ﴿كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَنْ عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا ابْجَهَلَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [الأنعام: ٥٤]، وهكذا لا نجد آية من القرآن إلا وهي تدل على عظمة الله تعالى بلفظها ومعناها، ولذلك فقد وصف الله تعالى هذا الكتاب بالعظمة فقال: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]. وقال سبحانه:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾
[الحشر: ٢١].

فإذا كان هذا حال الجبل الصَّخِرِ الأصمِّ إذا أنزل عليه القرآن فكيف بحال الإنسان الضعيف؟!

وقد وصف الله تعالى أهل الإيمان بالخشية والرقّة والقشعريرة عند سماع القرآن كما في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُّتَشَبِّهًا مِّثَابِي نَقَشِرُ مِنْهُ جُلُودٌ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقال تعالى: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلًا﴾ (١٠٦) قُلْ ءَامِنُوا بِهِ ؕ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴿ [الإسراء: ١٠٦-١٠٩]، وما ذلك إلا لما سَمِعُوهُ وشاهدُوهُ في آياتِ الله تعالى المتلوة من شواهدِ العظمة والقدرة والكبرياء والجلال.

• • وما قدرُوا اللهَ حقَّ قدره

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

هذا ذمٌ للمشرِكِينَ الَّذِينَ لَمْ يَخْلِصُوا الْعِبَادَةَ لِلَّهِ فَعَبَدُوا مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَى وَذَلِكَ لِجَهْلِهِمْ بِعَظَمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَمَا يَسْتَحِقُّهُ مِنَ الْعِبَادَةِ وَالتَّعْظِيمِ. وَهَذِهِ الْآيَةُ تَشْمَلُ كُلَّ مَنْ عَبَدَ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ فَهُؤُلَاءِ جَمِيعًا مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ.

قَالَ ابْنُ كَثِيرٍ فِي تَفْسِيرِهِ: «يَقُولُ تَعَالَى: وَمَا قَدَرَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ، حِينَ عَبَدُوا مَعَهُ غَيْرَهُ، وَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي لَا أَعْظَمَ مِنْهُ، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، الْمَالِكُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَكُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ وَقُدْرَتِهِ. وَقَالَ السُّدِّيُّ: مَا عَظَّمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ: لَوْ قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ مَا كَذَّبُوهُ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ هُمُ الْكَافِرُ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِقُدْرَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْهِمْ، فَمَنْ آمَنَ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ فَقَدْ قَدَرَ اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِذَلِكَ فَلَمْ يَقْدِرِ اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ»^(١).

(١) تفسير ابن كثير (١١٣/٧).

وقال السعدي في تفسيره: « يقول تعالى: وما قدر هؤلاء المشركون ربهم حق قدره، ولا عظموه حق تعظيمه، بل فعلوا ما يناقض ذلك، من إشراكهم به مَنْ هو ناقص في أوصافه وأفعاله، فأوصافه ناقصة من كل وجه، وأفعاله ليس عنده نفع ولا ضرر، ولا عطاء ولا منع، ولا يملك من الأمر شيئاً.

فَسَوُّوا هذا المخلوق الناقص بالخالق الرب العظيم، الذي من عظمته الباهرة، وقدرته القاهرة، أن جميع الأرض يوم القيامة قبضة للرحمن، وأن السماوات - على سعتها وعظمتها - مطويات بيمينه، فلا عظمه حق عظمته من سوى به غيره، ولا أظلم منه.

﴿سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي: تنزهه وتعظيمه عن شركهم به»^(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية: «والله سبحانه بعث الرسل وأنزل الكتب؛ بأن يكون هو المعبود وحده لا شريك له وإنما يعبدُ بما أمر به على ألسن رسله.

وأصل عبادته: معرفته بما وصف به نفسه في كتابه وما وصفه به رسله؛ ولهذا كان مذهب السلف أنهم يصفون الله بما وصف به نفسه وما وصفه به رسله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل والذين ينكرون بعض ذلك ما قدرُوا الله حق قدره وما عرفوه حق معرفته ولا وصفوه حق صفته ولا عبدوه حق عبادته.

والله سبحانه قد ذكر هذه الكلمة ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ في ثلاث

مواضع؛ لثبت عظمته في نفسه وما يستحقه من الصفات، وليثبت وحدانيته وأنه لا يستحق العبادة إلا هو؛ وليثبت ما أنزله على رسله فقال في الزمر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ [الزمر: ٦٧] الآية، وقال في الحج: ﴿ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ (٧٣) ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ [الحج: ٧٣-٧٤]، وقال في الأنعام: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِثْلَ﴾ [الأنعام: ٩١].

وفي المواضع الثلاثة ذم الذين ما قدروه حق قدره من الكفار، فدل ذلك على أنه يجب على المؤمن أن يقدر الله حق قدره، كما يجب عليه أن يتقيه حق تقاته، وأن يجاهد فيه حق جهاده قال تعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨]، وقال: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، والمصدر هنا مضاف إلى مفعول والفاعل مراد أي: حق جهاده الذي أمركم به وحق تقاته التي أمركم بها، واقدروه قدره الذي بينه لكم وأمركم به، فصدقوا الرسول فيما أخبر وأطيعوه فيما أوجب وأمر.

وأما ما يخرج عن طاقة البشر، فذلك لا يُدْمُ أحدٌ على تركه قالت عائشة: فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن الحريصة على اللهو. ودلت الآية على أن له قدرًا عظيمًا؛ لا سبيلًا قوله: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ﴾ وفي تفسير ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: من آمن بأن الله على كل شيء قدير، فقد قدر الله حق قدره.

وقد ثبت في الصحيحين من حديث ابن مسعود أن النبي ﷺ قرأ هذه

الآية لما ذكر له بعض اليهود أن الله يحمل السموات على أصبع والأرضين على أصبع والجبال على أصبع والشجر والثرى على أصبع وسائر الخلق على أصبع؛ فضحك رسول الله ﷺ تعجباً وتصديقاً لقول الحبر وقرأ هذه الآية.

وعن ابن عباس قال: مرَّ يهوديٌّ بالنبِيِّ ﷺ فقال: يا أبا القاسم ما تقول إذا وضع الله السماء على ذِه؟ والأرض على ذِه والجبال والماء على ذِه وسائر الخلق على ذِه؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ بِيَمِينِهِ﴾ * رواه الإمام أحمد بن حنبلٍ والترمذيُّ من حديث أبي الضحى عن ابن عباسٍ وقال غريبٌ حسنٌ صحيحٌ.

وهذا يقتضي أن عظمتَه أعظمُ ممَّا وصفَ ذلك الحبرُ فإنَّ الذي في الآية أبلغُ كما في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقبضُ الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض».

وفي الصحيحين عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهنَّ بيده اليمنى. ثم يقول: أين الملوك؟ أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟». ورواه مسلمٌ أبسطَ من هذا وذكر فيه أنه يأخذ الأرض بيده الأخرى.

وقد روى ابنُ أبي حاتم: حدثنا أبي ثنا عمرو بن رافع ثنا يعقوب بن عبد الله عن جعفر عن سعيد بن جبيرة قال: تكلمت اليهود في صفة الرب - تبارك وتعالى - فقالوا ما لم يعلموا ولم يروا فأنزل الله على نبيه: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّتٌ

بِإِمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٨٧﴾ فجعل صفته التي وصفوه بها شركاً. وقال: حدثنا أبي ثنا أبو نعيم ثنا الحكم يعني أبا معاذ عن الحسن قال: عَمَدَتِ الْيَهُودُ فَنَظَرُوا فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمَلَائِكَةِ فَلَمَّا فَرَعُوا أَخَذُوا يَقْدُرُونَهُ فَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى نَبِيِّهِ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ وهذا يدل على أنه أعظم مما وصفوه وأنهم لم يقدروه حق قدره.

وقوله: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ فكل من جعل مخلوقاً مثلاً للخالق في شيء من الأشياء فأحبه مثل ما يحب الخالق أو وصفه بمثل ما يوصف به الخالق فهو مشرك سوى بين الله وبين المخلوق في شيء من الأشياء فعَدَلَ بربه.

والرب تعالى لا كُفُوَ لَهُ وَلَا سَمِيَّ لَهُ وَلَا مِثْلَ لَهُ وَمَنْ جَعَلَهُ مِثْلَ الْمَعْدُومِ وَالْمَمْتَنِعِ فَهُوَ شَرٌّ مِنْ هَؤُلَاءِ فَإِنَّهُ مَعْطَلٌ مِثْلٌ وَالْمَعْطَلُ شَرٌّ مِنَ الْمَشْرُكِ.

والله تَنَى قصة فرعون في القرآن في غير موضع؛ لاحتياج الناس إلى الاعتبار بها فإنه حَصَلَ لَهُ مِنَ الْمَلِكِ وَدَعَا رَبُّوبِيَّةَ وَالْإِلَهِيَّةَ وَالْعُلُوَّ مَا لَمْ يَحْصُلْ مِثْلُهُ لِأَحَدٍ مِنَ الْمَعْطَلِينَ وَكَانَتْ عَاقِبَتُهُ إِلَى مَا ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى وَلَيْسَ لِلَّهِ صِفَةٌ يَمِثِّلُهُ فِيهَا غَيْرُهُ؛ فلهذا لم يَجْزُ أَنْ يُسْتَعْمَلَ فِي حَقِّهِ قِيَاسُ التَّمْثِيلِ وَلَا قِيَاسُ الشُّمُولِ الَّذِي تَسْتَوِي أَفْرَادُهُ فَإِنَّ ذَلِكَ شَرُّ؛ إِذْ سُوِّيَ فِيهِ بِالْمَخْلُوقِ؛ بَلْ قِيَاسُ الْأُولَى.

فإنه سبحانه له المثل الأعلى في السموات والأرض فهو أحق من غيره بصفات الكمال وأحق من غيره بالتزويه عن صفات النقص^(١).

ويدعو ابن القيم رحمه الله إلى التأمل في القرآن بهدف الوصول إلى تعظيم الله تعالى ومحبته وإفراده بالعبادة والطاعة، قال رحمه الله: «تأمل خطاب القرآن تجد ملكاً له الملك كله، وله الحمد كله، أزمّة الأمور كلها بيده، ومصدرها منه، ومردّها إليه، لا تخفى عليه خافية في أقطار مملكته، عليماً بما في نفوس عبده، مُطَّلِعاً على أسرارهم وعلاينتهم، منفرداً بتدبير المملكة، يسمع، ويرى، يعطي، ويمنع، ويثيب، ويعاقب، ويكرم، ويهين، ويخلق، ويرزق، ويُميت، ويُحيي، ويقدر، ويقضي، ويدبر. الأمور نازلة من عنده دقيقتها وجليلها، وصاعدة إليه لا تتحرك في ذرة إلا بإذنه، ولا تسقط ورقة إلا بعلمه.

فتأمل كيف تجده يثني على نفسه، ويمجد نفسه، ويحمد نفسه، وينصح عباده، ويذمهم على ما فيه سعادتهم وفلاحهم ويرغبهم فيه، ويحذّرهم مما فيه هلاكهم. ويتعرّض إليهم بأسمائه وصفاته، ويتحبّب إليهم بنعمه وآلائه. فيذكرهم بنعمه عليهم، ويأمرهم بما يستوجبون به تمامها، ويحذّرهم من نقيمه، ويذكرهم بما أعدّ لهم من الكرامة إن أطاعوه، وما أعدّ لهم من العقوبة إن عصوه. ويخبرهم بصنعه في أوليائه وأعدائه، وكيف كانت عاقبة هؤلاء وهؤلاء. ويثني على أوليائه بصلاح أعمالهم، وأحسن أوصافهم، ويذم أعداءه بسّي أعمالهم، وقبيح صفاتهم.

ويضرب الأمثال، وينوع الأدلة والبراهين، ويجيب عن شبه أعدائه أحسن الأجوبة، ويصدّق الصادق، ويكذب الكاذب، ويقول الحق، ويهدي السبيل.

ويدعو إلى دار السلام، ويذكر أوصافها وحسنها ونعيمها، ويحذّر من دار البوار، ويذكر عذابها وقبحها وآلامها، ويذكر عباده فقرهم إليه، وشدة

حَاجَّتِهِمْ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ وَجْهِ، وَأَنْهُمْ لَا غِنَى لَهُمْ عَنْهُ طَرَفَةً عَيْنٍ، وَيَذْكُرُ غِنَاهُ عَنْهُمْ وَعَنْ جَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ، وَأَنَّهُ الْغَنِيُّ بِنَفْسِهِ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَكُلُّ مَا سِوَاهُ فَقِيرٌ إِلَيْهِ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ لَا يَنَالُ أَحَدُ ذَرَّةٍ مِنَ الْخَيْرِ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَلَا ذَرَّةً مِنَ الشَّرِّ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا بِعَذْلِهِ وَحِكْمَتِهِ.

وَيَشْهَدُ مِنْ خُطَايِهِ عِتَابُهُ لِأَحِبَّائِهِ أَلْطَفَ عِتَابٍ، وَأَنَّهُ مَعَ ذَلِكَ مُقِيلٌ عَثَرَاتِهِمْ، وَغَافِرُ زَلَاتِهِمْ، وَمُقِيمٌ أَعْذَارِهِمْ، وَمُصْلِحٌ فُسَادِهِمْ، وَالِدَافِعُ عَنْهُمْ، وَالْمُحَامِي عَنْهُمْ، وَالنَّاصِرُ لَهُمْ، وَالْكَفِيلُ بِمَصَالِحِهِمْ، وَالْمُنْجِي لَهُمْ مِنْ كُلِّ كَرْبٍ، وَالْمَوْفِيُّ لَهُمْ بِوَعْدِهِ، وَأَنَّهُ وَلِيُّهُمْ الَّذِي لَا وَلِيَ لَهُمْ سِوَاهُ، فَهُوَ مَوْلَاهُمْ الْحَقُّ، وَنَصِيرُهُمْ عَلَى عَدُوِّهِمْ؛ فَنَعَمْ الْمَوْلَى وَنَعَمْ النَّصِيرُ.

فَإِذَا شَهِدَتْ الْقُلُوبُ مِنَ الْقُرْآنِ مَلَكًا عَظِيمًا، رَحِيمًا، جَوَادًا، جَمِيلًا، هَذَا شَأْنُهُ؛ فَكَيْفَ لَا تَحُبُّهُ، وَتُنَافِسُ فِي الْقُرْبِ مِنْهُ، وَتَنْفِقُ أَنْفَاسَهَا فِي التَّوَدُّدِ إِلَيْهِ، وَيَكُونُ أَحَبَّ إِلَيْهَا مِنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، وَرِضَاهُ أَثَرُ عِنْدَهَا مِنْ رِضَا كُلِّ مَا سِوَاهُ؟! وَكَيْفَ لَا تَلْهَجُ بِذِكْرِهِ، وَيَصِيرُ حُبُّهُ، وَالشُّوقُ إِلَيْهِ، وَالْأَنْسُ بِهِ، هُوَ غِذَاؤُهَا وَقُوَّتُهَا وَدَوَاؤُهَا؛ بَحِيثٌ إِنْ فَقَدَتْ ذَلِكَ فَسَدَتْ وَهَلَكَتْ وَلَمْ تَنْتَفِعْ بِحَيَاتِهَا؟!



• تجلياتُ الله تعالى في القرآن^(١)

القرآنُ كلامُ الله، وقد تجلَّى الله فيه لعباده بصفاته، فتارةً يتجلَّى في جلابِ الهيبة والعظمة والجلال؛ فتخضعُ الأعناقُ، وتتكسرُ النفوسُ، وتخضعُ الأصواتُ، ويزوبُ الكبرُ كما يذوبُ الملحُ في الماء. وتارةً يتجلَّى في صفاتِ الجمالِ والكمالِ، وهو كمالُ الأسماءِ، وجمالُ الصفاتِ، وجمالُ الأفعالِ الدالُّ على كمالِ الذاتِ؛ فيستنفذُ حُبُّه من قلبِ العبدِ قوَّةَ الحبِّ كُلِّها، بحسبِ ما عَرَفَهُ من صفاتِ جماله ونعوتِ كماله، فيصبحُ فؤادُ عبده فارغاً إلا من محبَّته، فإذا أرادَ منه الغيرُ أن يُعلّقَ تلكَ المحبةَ به أبى قلبه وأحشاؤه ذلكَ كلَّ الإباءِ، كما قيلَ:

يُرَادُ مِنَ الْقَلْبِ نِسْيَانُكُمْ وَتَأْبَى الطَّبَاعُ عَلَى النَّاقِلِ

فتبقى المحبةُ له طبعاً لا تكلفاً..

وإذا تجلَّى بصفاتِ الرحمةِ والبرِّ واللُّطفِ والإحسانِ، انبعثت قوَّةُ الرجاءِ من العبدِ، وانبسطَ أمله، وقويَ طمعه، وسارَ إلى ربِّه، وحادي الرجاءِ يحدو ركابَ سيره. وكلَّما قويَ الرجاءُ، جدَّ في العملِ، كما أنَّ الباذرَ كلَّما قويَ طمعه في المغلِّ^(٢) غلقَ أرضه بالبذرِ، وإذا ضَعُفَ رجاءُه قَصَرَ في البذرِ.

وإذا تجلَّى بصفاتِ العدلِ والانتقامِ والغضبِ والسَّخطِ والعقوبةِ، انقمعت^(٣) النفسُ الأمَّارةُ، وبطلتْ أو ضعفتْ قواها من الشهوةِ والغضبِ،

(١) الفوائد (ص: ١٠٥-١٠٨).

(٢) المغلُّ: هنا بمعنى ناتج الأرض.

(٣) قمعه وأقمعه: أي قهره وأذله (فانقمع).

واللهو، واللعب، والحرص على المحرمات، وانقبضت أَعِنَّة^(١) رعوناتها^(٢)؛ فأحصرت المطية حظها من الخوف والخشية والحذر.

وإذا تجلّى بصفات الأمر والنهي والعهد والوصية وإرسال الرسل وإنزال الكتب وشرع الشرائع، انبعث منها قوة الامتثال والتنفيذ لأوامره، والتبليغ لها، والتواصي بها، وذكرها، وتذكرها، والتصديق بالخير، والامتثال للطلب، والاجتناب للنهي.

وإذا تجلّى بصفات السمع والبصر والعلم، انبعث من العبد قوة الحياء؛ فيستحي من ربه أن يراه على ما يكره، أو يسمع منه ما يكره، أو يخفي في سريره ما يمقته عليه؛ فتبقى حركاته وأقواله وخواطره موزونة بميزان الشرع، غير مهملة ولا مرسلّة تحت حكم الطبيعة والهوى.

وإذا تجلّى بصفات الكفاية والحسب، والقيام بمصالح العباد، وسوق أرزاقهم إليهم، ودفع المصائب عنهم، ونصره لأوليائه، وحمايته لهم، ومعيته الخاصة لهم، انبعث من العبد قوة التوكل عليه، والتفويض إليه، والرضا به وبكل ما علم العبد بكفاية الله وحسن اختياره لعبده وثقته به ورضاه بما يفعله به ويختاره له.

وإذا تجلّى بصفات العز والكبرياء، أعطت نفسه المطمئنة ما وصلت إليه من الذلّ لعظمته، والانكسار لعزّته، والخضوع لكبريائه، وخشوع القلب

(١) أَعِنَّة: جمع (عنان)، وهو سير اللجام الذي يمسك.

(٢) الرُّعُونَة: الحمق والاسترخاء.

والجوارح له؛ فتعلوه السكينة والوقار في قلبه ولسانه وجوارحه وسمته^(١)،
ويذهب طيشه وقوته وحدته.

وجماع ذلك: أنه سبحانه يتعرف إلى العبد بصفات إلهيته تارة، وبصفات
ربوبيته تارة؛ فيوجب له شهود صفات الآلية المحبة الخاصة، والشوق إلى
لقائه، والأنس والفرح به، والسرور بخدمته، والمنافسة في قربه، والتودد إليه
بطاعته، واللّهج بذكره، والفرار من الخلق إليه، ويصير هو وحده همه دون ما
سواه. ويوجب له شهود صفات الربوبية التوكل عليه، والافتقار إليه،
والاستعانة به، والذل والخضوع والانكسار له.

وكمال ذلك أن يشهد ربوبيته في إلهيته، وأهليته في ربوبيته، وحمده في
ملكه، وعزه في عفوه، وحكمته في قضائه وقدره، ونعمته في بلائه، وعطاءه
في منعه، وبره ولطفه وإحسانه ورحمته في قيوميته، وعدله في انتقامه، وجوده
وكرمه في مغفرته وسرته وتجاوزه. ويشهد حكمته ونعمته في أمره ونهيه،
وعزه في رضاه وغضبه، وحلمه في إمهاله، وكرمه في إقباله، وغناه في
إعراضه.



(١) سميته: هيئته.

• تعظيم النبي ﷺ لربه

إذا كان التعظيم ثمرةً من ثمرات المعرفة فقد كان النبي ﷺ أعرف الخلق بربه، وكيف لا يكون كذلك وهو الذي اصطفاه ربه وعلمه ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، ومن تدبر في عبادة النبي ﷺ وذكره ودعائه ولجؤه إلى ربه علم أنه أعظم من عظم الله تعالى، فقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت له عائشة رضي الله عنها: تفعل ذلك وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر!! فقال ﷺ: «أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا»^(١).

ومن تعظيم النبي ﷺ لربه أنه كان يسد جميع الأبواب التي تفضي إلى الغلو فيه وإخراجه عن حدود العبودية والرسالة التي أنزله الله تعالى إياها، فكان ﷺ يقول: «لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، إنما أنا عبده، فقولوا: عبد الله ورسوله»^(٢).

وعن محمد بن جبير بن مطعم عن أبيه قال: أتى رسول الله ﷺ أعرابي فقال: يا رسول الله! جهدت الأنفس، وضاعت العيال، وهكت الأموال، وهلك الأنعام، فاستسقى الله لنا، فإننا نستشفع بك على الله، ونستشفع بالله عليك. فقال رسول الله ﷺ: «ويحك! أتدري ما تقول؟»، وسبح رسول الله ﷺ، فما زال يسبح حتى عرف ذلك في وجه أصحابه، ثم قال: «إنه لا

(١) البخاري (١١٣٠)، مسلم (٢٨١٩)، الترمذي (٤١٢).

(٢) البخاري (٣٤٤٥)، مسلم (١٦٩١)، أحمد (١٥٥).

يُسْتَشْفَعُ بِاللَّهِ عَلَى أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ، شَأْنُ اللَّهِ أَعْظَمُ مِنْ ذَلِكَ»^(١).

وعن ابن عباسٍ قال: قال رجلٌ للنبيِّ ﷺ: ما شاء الله وشئت، فقال ﷺ: «أَجَعَلْتَنِي لِلَّهِ نَدًّا؛ لَا بَلْ مَا شَاءَ اللَّهُ وَحْدَهُ»^(٢).

وعن عبد الله بن الشخير قال: انطلقتُ في وفدٍ بني عامرٍ إلى رسولِ الله ﷺ فقلنا: أنت سيدنا. فقال: «السَّيِّدُ اللَّهُ» فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طَوْلاً. فقال ﷺ: «قُولُوا بِقَوْلِكُمْ أَوْ بَعْضِ قَوْلِكُمْ، وَلَا يَسْتَجِرِّيَنَّكُمْ الشَّيْطَانُ»^(٣).

قال في (النهاية): «أَيُّ لَا يَسْتَغْلِبَنَّكُمْ فَيَتَّخِذَكُمْ جَرِيًّا، أَيُّ رَسُولًا وَوَكِيلاً، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا مَدْحُوهُ، فَكَّرَهُ لَهُمُ الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدْحِ، فَنَهَايَهُمْ عَنْهُ»^(٤).

وقوله ﷺ: «السَّيِّدُ اللَّهُ» أَيُّ السُّؤْدُدُ عَلَى الْحَقِيقَةِ إِنَّمَا هُوَ اللَّهُ ﷻ؛ لِأَنَّهُ الْمُتَصِفُ بِذَلِكَ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَهُوَ الَّذِي الْخَلَقُ خَلَقُهُ، وَالْمَلِكُ مُلْكُهُ، وَهُوَ الْمُتَفَضِّلُ بِكُلِّ النَّعَمِ، وَهُوَ الْمُتَصَرِّفُ فِي الْخَلْقِ كَيْفَ شَاءَ، وَهُوَ صَاحِبُ السُّؤْدُدِ عَلَى الْحَقِيقَةِ، وَأَمَّا غَيْرُهُ مِمَّنْ حَصَلَ سُّؤْدُدًا، فَإِنَّمَا هُوَ سُّؤْدُدٌ نَاقِصٌ وَغَيْرُ كَامِلٍ، وَلِهَذَا فَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَخْبَرَ عَنْ نَفْسِهِ بِأَنَّهُ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ ﷺ، وَهُوَ سَيِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ - صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ - وَلَكِنَّ

(١) رواه أبو داود (٤١٠١) بسند فيه ضعف.

(٢) رواه أحمد (١٧٤٢).

(٣) رواه أبو داود (٤١٧٢)، وأحمد (١٥٧٢٦).

(٤) النهاية (٧٣٩/١) ط: الشاملة.

السُّودَدُ الذي يليقُ بالإنسانِ، للرسولِ ﷺ منه الحُطُّ الأكبرُ والنصيبُ الأوفرُ، وأما السُّودُدُ الكاملُ على الحقيقةِ فهو اللهُ ﷻ... فالرسولُ ﷺ لحمايته جنابُ التوحيدِ، ولحرصه على ألا يحصلَ غلوٌّ يُؤدِّي إلى محذورٍ أرشدَ - عليه الصلاةُ والسلامُ - ويَن أن السيدَ هو اللهُ وأن السُّودَدَ الحقيقيَّ إنما هو اللهُ ﷻ^(١).

وكان النبيُّ ﷺ يعظُمُ اللهَ تعالى من خلالِ تدبرِ آياتِ القرآنِ، وكان ﷺ يخشى من نزولِ العذابِ على هذه الأمةِ ففي صحيح البخاريِّ من حديثِ جابر بن عبد الله ﷺ قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَى أَنْ يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّنْ فَوْقِكُمْ﴾ قال رسولُ الله ﷺ: «أعوذُ بوجهك». قال: ﴿أَوْ مِنْ تَحْتِ أَرْجُلِكَ﴾ قال النبيُّ ﷺ: «أعوذُ بوجهك» قال: ﴿أَوْ يَلْسَكُمُ شَيْعًا وَيُذِيقَ بَعْضُكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسولُ الله ﷺ: «هذا أهونُ أو هذا أيسرُ»^(٢).

وكان ﷺ إذا رأى غيماً عُرِفَ في وجهه، قالت عائشة: يا رسولَ الله! الناسُ إذا رأوا الغيمَ فرحوا، رجاءُ أن يكونَ فيه المطرُ، وأراك إذا رأيتَ غيماً عُرِفَ في وجهك الكراهيةُ! فقال: «يا عائشة! وما يؤمِّنني أن يكونَ فيه عذابٌ؟ قد عَذَّبَ قومٌ بالريحِ، وقد رأى قومُ العذابَ فقالوا: ﴿هَذَا عَارِضٌ مُّمْطَرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»^(٣).

وكان ﷺ من تعظيمه لربه يتأثرُ بالآياتِ التي يخوفُ الله بها عباده فعن عبد الله بن عمرٍ وﷺ قال: انكسفتِ الشمسُ يوماً على عهدِ رسولِ الله ﷺ،

(١) انظر شرح سنن أبي داود للشيخ عبد المحسن العباد (٤٤٦/٢٧)، ط. الموسوعة الشاملة.

(٢) رواه البخاري (٤٢٦٢)، والترمذي (٢٩٩١).

(٣) رواه البخاري (٤٤٥٤)، ومسلم (١٤٩٧).

فقام رسولُ الله ﷺ يصلي ، فلم يكذ أن يسجد ثم سجد ، فلم يكذ أن يرفع رأسه ، فجعل ينفخ ويبكي ويقول: «ربِّ ألم تعذني ألا تعذبهم وأنا فيهم؟ ربِّ ألم تعذني ألا تعذبهم وهم يستغفرون؟ ونحن نستغفرك»، فلما صلى ركعتين انجلت الشمس، فقام فحمد الله تعالى وأثنى عليه ثم قال: «إنَّ الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحدٍ ولا لحياته، فإذا انكسفا، فافزعوا إلى ذكر الله»^(١).

وقد ذكرنا شيئاً من تعظيم النبي ﷺ لربه في أمهات العباد كالصلاة والحج وذكر الله تعالى.



• أحاديث نبويّة في تعظيم الله ﷻ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «يُدُّ الله مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا»^(١) نَفَقَةً، سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ»، وقال: «أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَإِنَّهُ لَمْ يُغَضِّ مَا فِي يَدِهِ»، وقال: «وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَبِيَدِهِ الْأُخْرَى الْمِيزَانُ يَخْفُضُ وَيَرْفَعُ»^(٢) [متفق عليه].

وكان النبي ﷺ يأمرُ بتعظيمِ الله ﷻ في الصلاة، فقال: «أَمَّا الرُّكُوعُ فَعِظَّمُوا فِيهِ الرَّبَّ»^(٣).

عن عبدِ الله بنِ عمرَ رضي الله عنه قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يَطْوِي اللهُ ﷻ السَّمَوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُنَّ بِيَدِهِ الْيَمْنَى ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟ ثُمَّ يَطْوِي الْأَرْضِينَ بِشِمَالِهِ ثُمَّ يَقُولُ: أَنَا الْمَلِكُ، أَيْنَ الْجَبَّارُونَ؟ أَيْنَ الْمُتَكَبِّرُونَ؟»^(٤).

وعن النبي ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ لَا يَنَامُ، وَلَا يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَنَامَ، يَخْفُضُ الْقِسْطَ وَيَرْفَعُهُ، يُرْفَعُ إِلَيْهِ عَمَلُ النَّهَارِ قَبْلَ عَمَلِ اللَّيْلِ، وَعَمَلُ اللَّيْلِ قَبْلَ عَمَلِ النَّهَارِ، حِجَابُهُ النُّورُ، لَوْ كَشَفَهُ لَأَحْرَقَتْ سُبُحَاتِ وَجْهِهِ، مَا انْتَهَى إِلَيْهِ بَصَرُهُ مِنْ خَلْقِهِ»^(٥).

(١) يغيضها: يتقصها.

(٢) رواه البخاري (٦٨٤)، ومسلم (٩٩٣).

(٣) رواه مسلم (٤٧٩)، وأبو داود (٨٧٦).

(٤) رواه مسلم (٢٧٨٨).

(٥) رواه مسلم حديث رقم (٤٤٥).

وعن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: جاء خبرٌ إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد! أو يا أبا القاسم! إن الله تعالى يُمَسِّكُ السمواتِ يومَ القيامةِ على إصبعٍ، والأرضينَ على إصبعٍ، والجبالَ والشجرَ على إصبعٍ، والماءَ والثرى على إصبعٍ، وسائرَ الخلقِ على إصبعٍ ثم يَهْزُنُ فيقول: أنا الملكُ، أنا الملكُ، فَضَحِكَ رسولُ الله ﷺ تعجبًا مما قال الخبرُ، تصديقًا له ثم قرأ: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ^(١).

وقال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقول: إِنَّ الْعِزَّ إِزَارِي، والكبرياءَ ردائي، فمن نازَعَنِي فِيهَا عَذَّبْتُهُ» ^(٢).

وقال ﷺ: «مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ اللهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تَرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيَمَنَ مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ أَشَأَمَ ^(٣) مِنْهُ، فَلَا يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَا يَرَى إِلَّا النَّارَ تَلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ، وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ، وَلَوْ بِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ» ^(٤).

وقال ﷺ: «إِنْ أَحَدَكُمْ يُجْمَعُ خَلْقُهُ فِي بَطْنِ أُمِّهِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا نَظْفَةً، ثُمَّ يَكُونُ عِلْقَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَكُونُ مَضْغَةً مِثْلَ ذَلِكَ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ إِلَيْهِ مَلَكًا، وَيَوْمَرُ بِأَرْبَعِ كَلِمَاتٍ، وَيُقَالُ لَهُ: اكْتُبْ عِلْمَهُ، وَرِزْقَهُ، وَأَجَلَهُ، وَشَقِيٌّ أَمْ

(١) متفق عليه البخاري (٧٥١٣)، ومسلم (٢٧٨٦).

(٢) رواه البخاري في الأدب المفرد (٥٥٢)، وقال الألباني: صحيح.

(٣) أي: جهة شماله.

(٤) البخاري (٧٥١٢)، ومسلم (١٠١٦).

سعيدٌ، ثم ينفخ فيه الروح، فإنَّ الرجلَ منكم ليعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، حتى لا يكونُ بينهُ وبينها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ النارِ، فيدخلُ النارَ. وإنَّ الرجلَ ليعملُ بعملِ أهلِ النارِ، حتى ما يكونُ بينهُ وبينها إلَّا ذراعٌ، فيسبقُ عليه الكتابُ، فيعملُ بعملِ أهلِ الجنةِ، فيدخلُ الجنةَ»^(١).

عن أبي ذرٍّ الغفاري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وآله فيما يرويه عن ربه ﷻ أنه قال: «يا عبادي إني حرَّمتُ الظُّلَمَ عَلَى نَفْسِي وجعلتُهُ بينكم مُحَرَّمًا فلا تظالموا.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعَمُونِي أَطْعِمْكُمْ.

يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسِكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ.

يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضُرِّي فَتَضُرُونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَتَقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا.

يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا.

(١) البخاري (٦٥٩٤)، ومسلم (٢٦٤٣)، والترمذي (٢١٣٧).

يَا عِبَادِي، لو أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ، قاموا في صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فسألوني فأعطيت كل واحدٍ مسأله، ما نقص ذلك مما عندي إِلَّا كما ينقصُ المحيط إذا أُدخِلَ البحر.

يَا عِبَادِي، إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أُوْفِيكُمْ بِهَا، فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ، وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ [رواه مسلم].

قوله: «إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً».

قال ابن دقيق العيد: «قال بعض العلماء: معناه لا ينبغي لي ولا يجوز عليّ كما قال تعالى: ﴿وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ [مريم: ٩٢]، فالظلم محال في حق الله تعالى. قال بعضهم في هذا الحديث: لا يسوغ لأحد أن يسأل الله تعالى أن يحكم له على خصمه إِلَّا بالحق بقوله سبحانه: «إني حرمت الظلم على نفسي»، فهو سبحانه لا يظلم عباده، فكيف يظن ظانُّ أنه يظلم عبادةً لغيره؟ وكذلك قال: «فَلَا تَظَالَمُوا» المعنى: المظلوم يقتضٍ له من الظالم، وحذفت إحدى التاءين تخفيفاً أصله: فلا تتظالموا.

وقوله: «كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ، ... وكُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ ... وكلكم جائعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ...».

تنبيه على فقرنا وعجزنا عن جلب منافعنا ودفع مضارنا، إِلَّا أن يعيننا الله سبحانه على ذلك، وهو يرجع إلى معنى: لا حول ولا قوة إِلَّا بالله. وليعلم العبدُ أَنَّهُ إذا رأى آثار هذه النعمة عليه، أن ذلك من عند الله، ويتعين عليه شكر الله تعالى، وكلما ازداد من ذلك يزيد في الحمد والشكر لله تعالى.

وقوله: «فاستهدوني أهدكم» أي اطلبوا مني الهداية أهدكم والجملة في ذلك أن يعلم العبد أنه طلب الهداية من مولاه فهداه ولو هداه قبل أن يسأله لم يبعد أن يقول: إنها أوتيته على علم عندي. وكذلك «كلكم جائع» إلى آخره يعني أنه خلق الخلق كلهم ذوي فقر إلى الطعام فكل طاعم كان جائعا حتى يطعمه الله بسوق الرزق إليه وتصحيح الآلات التي هيأها له فلا يظن ذو الثروة أن الرزق الذي في يده وقد رفعه إلى فيه أطعمه إياه أحد غير الله تعالى وفيه أيضا أدب للفقراء كأنه قال: لا تطلبوا الطعام من غيري فإن هؤلاء الذين تطلبون منهم أنا الذي أطعمهم «فاستطعموني أطعمكم»، وكذلك ما بعده.

وقوله: «إنكم تخطئون بالليل والنهار».

في هذا الكلام من التوبيخ ما يستحي منه كل مؤمن وكذلك أن الله خلق الليل ليطاع فيه ويعبد بالإخلاص حيث تسلم الأعمال فيها غالبا من الرياء والنفاق أفلا يستحي المؤمن أن لا ينفق الليل والنهار [في الطاعة] فإنه خلق مشهودا من الناس فينبغي من كل فطن أن يطيع الله فيه أيضا ولا يتظاهر بين الناس بالمخالفة وكيف يحسن بالمؤمن أن يخطئ سرا أو جهرا لأنه سبحانه وتعالى قد قال بعد ذلك: «وأنا أغفر الذنوب جميعا» فذكر الذنوب بالألف واللام التي للتعريف وأكدها بقوله: «جميعا» وإنما قال ذلك قبل أمره إيانا بالاستغفار لئلا يقنط أحد من رحمة الله لعظم ذنب ارتكبه.

قوله: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم» إلى آخره ..

فيه ما يدل على أن تقوى المتقين رحمة لهم وأنها لا تزيد في ملكه شيئا.

وأما قوله: «لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجَنَّتُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ». إلى آخره ففيه تنبيه الخلق على أن يعظموا المسألة ويوسعوا الطلب، ولا يقتصر سائل ولا يختصر طالب؛ فإن ما عند الله لا ينقص، وخزائنه لا تنفذ، فلا يظن ظان أن ما عند الله يغيبه الإنفاق كما قال عليه السلام في الحديث الآخر: «يَدُ اللَّهِ مَلَأَى لَا يَغِيضُهَا نَفَقَةٌ سَحَاءَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْفَقَ مِنْذُ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَإِنَّهُ لَمْ يَغْضُ مَا فِي يَمِينِهِ» وسر ذلك أن قدرته صالحة للإيجاد دائماً لا يجوز عليها عجز ولا قصور والممكنات لا تنحصر ولا تنتهي.

وقوله: «إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمَخِيطُ إِذَا أَدْخَلَ الْبَحْرَ».

هذا مثل قصد به التقريب إلى الأفهام بما نشاهده، والمعنى: أن ذلك لا ينقص مما عنده شيئاً والمخيط - بكسر الميم وإسكان الخاء وفتح الياء -: هو الإبرة.

وقوله: «إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أَحْصِيهَا لَكُمْ، ثُمَّ أَوْفِيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدِ اللَّهَ».

يعني لا يسند طاعته وعبادته من عمله لنفسه بل يسندها إلى التوفيق ويحمد الله على ذلك.

وقوله: «وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ».

لم يقل ومن وجد شراً يعني: ومن وجد غير الأفضل.

«فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ» أكد ذلك بالنون تحذيراً أن يخطر في قلب عامل أن اللوم تستحقه غير نفسه، والله أعلم^(١).

(١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد (ص: ٨٠).

• تعظيم الصحابة والسلف الصالح لله ﷺ

وقال ابن رجب أيضًا: «وكان خلفاء الرسل وأتباعهم من أمراء العدل وأتباعهم وقضايتهم لا يدعون إلى تعظيم نفوسهم البتة، بل إلى تعظيم الله وحده، وإفراده بالعبودية والإلهية، ومنهم من كان لا يريد الولاية إلا للاستعانة بها على الدعوة إلى الله وحده.

وكانت الرسل وأتباعهم يصبرون على الأذى في الدعوة إلى الله ويتحملون في تنفيذ أوامر الله من الخلق غاية المشقة وهم صابرون بل راضون بذلك، كما كان عبد الملك بن عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه يقول لأبيه في خلافته: «إذا حرص على تنفيذ الحق وإقامة العدل يا أبت لوددت أني غلّت بي وبك القدور في الله ﷻ».

وقال بعض الصالحين: وددت أن جسمي قرّض بالمقاريض، وأن هذا الخلق كلهم أطاعوا الله ﷻ ومعنى هذا أن صاحب ذلك القول قد يكون لحظ نصح الخلق والشفقة عليهم من عذاب الله، وأحب أن يقيهم من عذاب الله بأذى نفسه، وقد يكون لحظ جلال الله وعظمته وما يستحقه من الإجلال والإكرام والطاعة والمحبة، فودّ أن الخلق كلهم قاموا بذلك، وإن حصل له في نفسه غاية الضرر^(١).



(١) شرح حديث: «ما ذئبان جائعان..» (ص: ١٩).

● حقيقة التعظيم:

عن ابن السكّال قال: أوصاني أخي داودُ بوصيةً قال: انظر، أن لا يراك الله حيث نهاك، وأن لا يفقدك حيث أمرك؛ واستح في قربك منك، وقدرته عليك^(١).

وقال رجلٌ لوهيب بن الورد: عِظْني، قال: اتق أن يكون الله أهون الناظرين إليك^(٢).

● قل عليّ رقيب:

عن أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى قال:

إذا ما خلوت الدهر يوماً فلا تقل	خلوت ولكن قل عليّ رقيب
ولا تحسبن الله يغفل ما مضى	وأن الذي يخفى عليه يغيب
لهونا عن الأيام حتى تتابعت	ذنوبٌ على أثارهنّ ذنوبٌ
فيا ليت الله يغفر ما مضى	وياذن لي في توبة فاتوب

● حب القرآن:

عن سفيان بن عيينة قال: لا تبلغوا ذروة هذا الأمر، إلا حتى لا يكون شيء أحب إليكم من الله؛ ومن أحب القرآن، فقد أحب الله؛ افقهوا ما يقال لكم^(٣).

(١) الحلية (٣٥٨/٧).

(٢) الحلية (١٤٢/٨).

(٣) الحلية (٢٧٨/٧).

● ● لذة المحبة:

قال إبراهيم بن أدهم: لو عَلِمَ الناسُ لَذَّةَ حُبِّ الله: لَقَلَّتْ مطاعُهم، ومشارِبُهم، وحرصُهم، وذلك أَنَّ الملائكةَ أَحَبُّوا اللهَ، فاستغنَوْا بذكره عن غيره^(١).

● ● جنة الدنيا:

عن أبي الدرداء رضي الله عنه أنه قال: لولا ثلاثٌ خِلالٍ، لأحببتُ أن لا أبقي في الدنيا؛ قيل: وما هنَّ؟ فقال: لولا وضوعٌ وجهي للسجودِ لخالقي في اختلافِ الليلِ والنهارِ، يكونُ تقدمةً لحياتي، وظمأُ الهواجِرِ، ومقاعدةُ أقوامٍ ينتقونَ الكلامَ كما تُنتقى الفاكهةُ.

قال أبو نعيم: وتأمُّ التقوى: أن يتقيَ الله تعالى العبدُ، حتى يتقيه في مثل مثقالِ ذرةٍ، حتى يتركَ بعضَ ما يرى أَنَّهُ حلالٌ خشيةً أن يكونَ حرامًا، يكونُ حاجزًا بينه وبين الحرام؛ إن الله تعالى قد بيَّنَ لعباده الذي هو يُصيرُهم إليه؛ قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴿ [الزلزلة: ٧-٨]. فلا تحقرَنَّ شيئًا من الشرِّ أن تتقيه، ولا شيئًا من الخير أن تفعله^(٢).

(١) الحلية (١٠/٨١).

(٢) الحلية (١/٢١٢).

• تفكيرُ الحسين:

عن الحسن قال: تَفَكَّرْ ساعة، خيرٌ من قيام ليلة^(١).

• أفضلُ العبادة:

عن عمر بن عبد العزيز قال: الكلامُ بذكرِ الله حسنٌ، والفكرةُ في نعمِ الله أفضلُ عبادةٍ^(٢).

• الفكرُ أولاً:

عن وهب بن مُنيِّه قال: ألم يفكر ابنُ آدمَ، ثمَّ يَتَفَهَّمُ ويعتبرُ، ثمَّ يُبْصِرُ، ثمَّ يعقلُ ويتفقهُ حتى يعلمَ؟ فيتبينُ له: أنَّ اللهَ حلماً: به يخلقُ الأحلامَ، وعِلماً: به يعلمُ العلماءُ، وحكمةً: بها يُتَقَنُّ الخلقُ، ويدبِّرُ بها أمورَ الدنيا والآخرة؛ فإنَّ ابنَ آدمَ، لن يبلغَ بعلمِهِ المقدرَ علمَ الله الذي لا مقدارَ له، ولن يبلغَ بحلمِهِ المخلوقِ حلمَ الله الذي به خلقَ الخلقَ كله، ولن يبلغَ بحكمتِهِ حكمةَ الله: التي بها يتقنُ الخلقُ، ويُقدِّرُ المقاديرَ؛ وكيف يُشبهُ ابنُ آدمَ ربَّ ابنِ آدمَ؟ وكيف يكونُ المخلوقُ كمن خَلَقَهُ؟^(٣).

• احذر سَخَطَ رَبِّكَ:

وعن سفيان الثوري، قال: احذر سَخَطَ الله في ثلاثٍ: احذر أنْ تَقْصُرَ فيما أمركَ، واحذر أنْ يَرَاكَ وأنتَ لا تَرْضَى بما قَسَمَ لك، وأنْ تطلبَ شيئاً من

(١) الحلية (٢٧١/٦).

(٢) الحلية (٣١٤/٥).

(٣) الحلية (٢٤-٢٣/٤).

الدنيا فلا تَحْجِدُهُ، أَنْ تَسْخَطَ عَلَى رَبِّكَ^(١).

● ● تأملات:

عن جعفر بن سليمان قال: سمعتُ خليفة العبدِيَّ يقولُ: لو أنَّ الله لم يُعْبَدْ إلا عن رؤية، ما عبده أحدٌ؛ ولكنَّ المؤمنونَ تفكَّروا في مجيء هذا الليلِ إذا جاء، فَمَلَأَ كُلَّ شَيْءٍ وَغَطَّى كُلَّ شَيْءٍ، وفي مجيء سلطانِ النهارِ إذا جاء، فَمَحَا سلطانَ الليلِ؛ وفي السَّحَابِ المسخَّرِ بين السماء والأرضِ، وفي النجومِ، وفي الشتاءِ، وفي الصيفِ؛ والله ما زالَ المؤمنونَ يتفكَّرونَ فيما خلقَ ربُّهم، حتى أيقنَتْ قلوبُهم بربِّهم؛ وحتى كأنَّما عبدوا الله تعالى عن رؤية^(٢).

● ● عبادة أبي الدرداء:

عن عون بن عبد الله قال: سألتُ أمَّ الدرداء: ما كان أفضلُ عملٍ أبي الدرداء؟ قالت: التفكُّرُ والاعتبارُ^(٣).

● ● تفكُّر داود الطائي:

عن عبد الأعلى بن زيادِ الأسلمي قال: رأيتُ داودًا الطائيَّ يومًا، قائمًا على شاطئِ الفراتِ، مبهورًا؛ فقلتُ: يا أبا سليمان، ما يوقِفُك هنا؟ قال: انظرُ إلى الفُلكِ، كيفَ تجري في البحرِ مسخراتٍ بأمرِ الله تعالى^(٤).

(١) نزهة الفضلاء (١/٦٩٧).

(٢) الحلية (٦/٣٠٣).

(٣) الحلية (٤/٢٥٣).

(٤) (٣٥٦/٧).

• كيفية التعامل مع الأسباب:

وقال بنانُ الجمال: رؤيةُ الأسبابِ على الدوامِ قاطعةٌ عن مشاهدةِ المسبِّبِ، والإعراضُ عن الأسبابِ جملةٌ ، يؤدِّي بصاحبهِ إلى ركوبِ الباطلِ^(١).

• لو كُشِفَ الغطاءُ:

وعن أحمدَ بنِ أبي الحواريِّ، قال: كُنْتُ أسمعُ وكيعًا يبتدئُ قبلَ أنْ يُحدِّثَ فيقولُ: ما هُنَالِكَ إِلَّا عَفْوُهُ، ولا نعيشُ إِلَّا في سِتْرِهِ، ولو كُشِفَ الغطاءُ لَكُشِفَ عن أمرٍ عظيمٍ^(٢).

• كيفية المراقبة:

سُئِلَ عبدُ الله بنُ فاتكٍ عن المراقبةِ فقال: إذا كنتَ غافلاً: فانظُرْ نَظَرَ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ وإذا كنتَ قائلاً: فانظر سَمَعَ اللَّهِ إِلَيْكَ؛ وإذا كنتَ ساكناً: فانظُرْ عِلْمَ اللَّهِ فِيكَ قال الله تعالى: ﴿إِنِّي مَعَكُمْ أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ [طه: ٤٦]^(٣).



(١) نزهة الفضلاء (١١٦٩/٣).

(٢) نزهة الفضلاء (٩٨٧/٢).

(٣) الحلية (٣٥٨/١٠).

• أثر الذنوب والمعاصي في ضعف تعظيم الله في القلب

قال الإمام ابن القيم: «ومن عُقوباتها - أي الذنوب والمعاصي - أنها تُضَعِّفُ في القلبِ تعظيمَ الربِّ جلَّ جلاله وتضعِفُ وقارهُ في قلبِ العبدِ ولا بدَّ شاء أم أبى، ولو تَمَكَّنَ وقارُ الله وعظمته في قلبِ العبدِ لما تجرَّأ على معاصيه.

وربَّما اغترَّ المغترُّ وقال إنما يحِملُنِي على المعاصي حسنُ الرجاءِ وطَمَعِي في عَفْوِهِ لا ضعفُ عظمته في قلبي وهذا من مغالطة النفس؛ فإنَّ عظمة الله تعالى وجلاله في قلبِ العبدِ وتعظيمَ حرَماته يحولُ بينه وبينَ الذنوبِ، والمتجرِّؤنَ على معاصيه ما قدَّروه حقَّ قدره، وكيف يَقْدِرُهُ حقَّ قدره أو يعظِّمُهُ أو يكبِّرُهُ أو يَرْجُو وقاره ويُجِلُّهُ من يهونُ عليه أمرُهُ ونَهْيُهُ؛ هذا من أحملِ المحالِ وأبينِ الباطلِ، وكَفَى بالعاصي عقوبةً أَنْ يَصْمَحِلَ من قلبِهِ تعظيمُ الله جلَّ جلاله وتعظيمُ حرَماته، ويهونَ عليه حَقُّهُ.

ومن بعضِ عقوبةِ هذا أن يرفعَ اللهُ عزَّ وجلَّ مهَابَتَهُ من قلوبِ الخلقِ ويهونَ عليهم ويستخفُّونَ به كما هَانَ عليه أمرُهُ واستخَفَّ به، فعلى قدرِ محبةِ العبدِ لله يَحِبُّهُ النَّاسُ، وعلى قدرِ خَوْفِهِ منَ اللهِ يَخَافُهُ النَّاسُ، وعلى قدرِ تعظيمِهِ اللهُ وحرَماته يُعَظِّمُ النَّاسُ حرَماته.

وكيف يَتَتَهَكُّ عبدٌ حرَمَاتِ اللهِ ويطمَعُ أَنْ لَا يَتَتَهَكَ النَّاسُ حرَماته، أم كيف يهونُ عليه حقُّ اللهِ ولا يُهَوِّنُهُ اللهُ على النَّاسِ، أم كيف يستخِفُّ بمعاصي اللهِ ولا يستخِفُّ به الخلقُ.

وقد أشار سبحانه إلى هذا في كتابه عند ذكر عقوبات الذنوب، وأنه
أَرْكَسَ أَرْبَابَهَا بِمَا كَسَبُوا، وَغَطَّى عَلَى قُلُوبِهِمْ وَطَبَعَ عَلَيْهَا بِذُنُوبِهِمْ، وَأَنَّهُ
نَسِيَهُمْ كَمَا نَسُوهُ، وَأَهَانَهُمْ كَمَا أَهَانُوا دِينَهُ، وَضَيَّعَهُمْ كَمَا ضَيَّعُوا أَمْرَهُ؛ ولهذا
قال تعالى في آية سجود المخلوقات له: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾
[الحج: ١٨]؛ فَإِنَّهُمْ لَمَّا هَانَ عَلَيْهِمُ السُّجُودُ لَهُ وَاسْتَخَفُّوا بِهِ وَلَمْ يَفْعَلُوهُ، أَهَانَهُمْ
فَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ مِنْ مُكْرِمٍ بَعْدَ أَنْ أَهَانَهُمْ، وَمَنْ ذَا يُكْرِمُ مَنْ أَهَانَهُ اللَّهُ أَوْ يُهِنُ مَنْ
أَكْرَمَ؟!»^(١).



• عشرة وسائل لتعظيم الله ﷻ

لا شك أن تعظيم الله ﷻ من أجل العبادات القلبية التي تظهر آثارها على الجوارح، من خلال المسارعة إلى كل ما يُحبُّه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. فلو لا وجود نوع تعظيم الله ﷻ في القلب لما صبر الناس على طاعة الله، وعن معصية الله، وعلى أقدار الله المؤلمة.

وعلى قدر تعظيم الله تعالى في القلب يكون إحسان العبادة وإتمامها وإكمالها وإتقانها.

وهناك وسائل كثيرة لتعظيم الله تعالى منها:

① إفراذ الله سبحانه بالوحدانية:

فيشهد العبد انفراد الله تعالى بالخلق والحكم، وأن ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه، وأن الخلق مقهورون تحت قبضته، وأنه ما من قلب إلا وهو بين أصبعين من أصابعه، إن شاء الله أن يقيمه أقامه، وإن شاء أن يزيغه أزاعه، فالقلوب بيده، وهو مقلِّبها ومُصَرِّفها كيف شاء وكيف أراد، وأنه هو الذي أتى نفوس المؤمنين تقواها، وهو الذي هداها وزكاها، وألهم نفوس الفجار فجورها وأشقاها، من يهد الله فلا مضلَّ له، ومن يضلِّل فلا هاديَّ له، يهدي مَنْ يَشَاءُ بِفَضْلِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَيُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ بَعْدِلِهِ وَحِكْمَتِهِ ﴿لَا يَسْتَلْ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣] ^(١).

فإذا شاهدَ العبدُ ذلك، واستقرَّ في قلبه إفرادُ الله تعالى بالوحدانية، فأورثته ذلك - ولا بدَّ - تعظيمَ الله ﷻ، وانتقلَ من توحيد الربوبية إلى توحيد الألوهية، فاتخذ الله وحده إلهًا ومعبودًا، وأحبَّ ما يحبه الله، وأبغضَ ما يبغضه الله، وأعطى الله، ومنع الله، ووالى في الله، وعادى في الله، فهذا التوحيد هو الذي من أجله أُرْسِلَت الرُّسُلُ، وَأُنْزِلَتِ الْكُتُبُ، وَخُلِقَ الْخَلْقُ، وَقَامَتِ سُوْقُ الْجِهَادِ عَلَى سَاقٍ.

قال ابن القيم رحمه الله في منزلة التعظيم: «هذه المنزلة تابعة للمعرفة، فعلى قَدْرِ المعرفة يكونُ تعظيمُ الربِّ تعالى في القلب، وأعرفُ الناسِ به، أشدهم له تعظيمًا وإجلالًا، وقد ذمَّ الله تعالى من لم يُعَظِّمْهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ، ولا عرفه حَقَّ معرفته، ولا وَصَفَهُ حَقَّ صِفَتِهِ، فقال: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣]، قال ابن عباس ومجاهد: «لا تَرْجُونَ لِلَّهِ عَظَمَةً». وقال سعيد بن جبير: «ما لكم لا تعظمُونَ اللهَ حَقَّ عَظَمَتِهِ»^(١).

② تدبر معاني أسماء الله تعالى وصفاته:

فأسماءُ الله تعالى كُلُّهَا حُسْنَى، وكُلُّهَا تدلُّ على الكمالِ المطلق، والحمدِ المطلق، وكُلُّهَا مشتقةٌ من أوصافِها، فتدبرُ معاني هذه الأسماء وما تُوجِبُهُ من آثارٍ من وسائلِ تعظيمِ الله ﷻ قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي أَسْمَائِهِ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨٠]، وقد ثبت في الصحيحين^(٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ أنه قال:

(١) المصدر السابق (٢/٤٩٥).

(٢) رواه البخاري (٢٥٣١)، ومسلم (٤٨٣٦).

«إِنَّ لِلَّهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ أَسْمَاءً، مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا، مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ» أي من حَفِظَهَا وَفَهَمَ مَعَانِيَهَا وَمَدْلَوْهَا، وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِهَا، وَسَأَلَهُ بِهَا، وَاعْتَقَدَهَا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَالْجَنَّةُ لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ، فَعُلِمَ أَنَّ ذَلِكَ أَعْظَمُ يَنْبُوعٍ وَمَادَّةٍ لِحَصُولِ الْإِيمَانِ وَقُوَّتِهِ وَثَبَاتِهِ^(١).

③• تدبر القرآن:

قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِي نَفْسَعِرُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الزمر: ٢٣]، فهذا دليل على أن تدبر القرآن العظيم يورث الخشية والتعظيم لله سبحانه وتعالى، قال ابن القيم: «فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته، فإنها تطلع العبد على معالم الخير والشر بحذافيرها، وعلى طرقاتها وأسبابها وغاياتها وثمراتها، ومآل أهلها، وتتل في يده^(٢) مفاتيح كنوز السعادة والعلوم النافعة، وتثبت قواعد الإيمان في قلبه، وتشيّد بنيانه، وتوطّد أركانه، وتريه صورة الدنيا والآخرة، والجنة والنار في قلبه، وتخصّره بين الأمم، وتريه أيام الله فيهم، وتبصّره مواقع العبر، وتشهدّه عدل الله وفضله، وتعرّفه ذاته، وأسماءه وصفاته وأفعاله، وما يحبّه وما يبغضه، وصراطه الموصل إليه، وما لسالكه بعد الوصول والقدوم عليه، وقواطع الطريق وآفاتها»^(٣).

(١) شرح أسماء الله الحسنى في ضوء الكتاب والسنة (ص: ٣-٤).

(٢) تتل في يده: تلقية.

(٣) مدار السالكين (١/٤٥٠).

وقد قال الله تعالى في وصف كتابه: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١]، فإذا كان هذا تأثير القرآن على الجبال، فكيف يكون تأثيره على قلب المؤمن؟ قال جعفر: «سمعتُ مالک بن دينارٍ قرأ: ﴿لَوْ أَنزَلْنَاهُ هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ...﴾ الآية، ثم قال: أقسمُ لكم لا يؤمنُ عبدٌ بهذا القرآنِ إلَّا صُدِعَ قلبه»^(١).

وعن ثابت البناني أنه قرأ: ﴿الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الْأَفْئِدَةِ﴾ [الهمزة: ٧]، قال: تأكله إلى فؤاده وهو حيٌّ، ثم بكى وأبكى من حوله^(٢).

٤٠ التفكر في آلاء الله وعظيم نعمه:

قال ابن القيم: «فجديرٌ بمن له مُسَكَّةٌ من عقلٍ^(٣) أن يسافرَ بفكره في هذه النعم والآلاء، ويكررُ ذكرها، لعلَّه يوقفُ على المراد منها ما هو، ولأَيِّ شيءٍ خُلِقَ، ولماذا هُمِّيَ، وأَيُّ أمرٍ طُلِبَ منه على هذه النعم، كما قال تعالى: ﴿فَاذْكُرُواْ آلاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ﴾ [الأعراف: ٦٩]، فذكرُ آلائه تبارك وتعالى ونعمه على عبده سببُ الفلاح والسعادة؛ لأن ذلك لا يزيده إلَّا محبةً لله وحمدًا وشكرًا وطاعةً»^(٤).

٥٠ التأمل في ملكوت السموات والأرض:

وهذا أيضًا من أعظم وسائل تعظيم الله تعالى، وقد ربط القرآن بين هذا

(١) الحلية (٣٧٨/٢).

(٢) السابق (٣٢٣/٢).

(٣) مسكة من عقل: بقية.

(٤) مفتاح دار السعادة (٢٢٩/١).

التأمل وبين تعظيم الله تعالى فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ۝ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَمًا
وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا
بَطْلاً سُبْحَنَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠-١٩١].

وقد ذكر ابن القيم رحمه الله أن الرب تعالى يدعو عباده في القرآن إلى معرفته
من طريقين:

أحدهما: النظر في مفعولاته.

والثاني: التفكير في آياته وتدبرها^(١).

وقال رحمه الله: والنظر في هذه الآيات وأمثالها نوعان: نظر إليها بالبصر
الظاهر، فيرى - مثلاً - زُرْقَةَ السماء ونجومها وعلوها وسعتها، وهذا نظرٌ
يشارك الإنسان فيه غيره من الحيوانات، وليس هو المقصود بالأمر.

والثاني: أن يتجاوزَ هذا إلى النظرِ بالبصيرةِ الباطنية، فتفتحُ له أبوابُ
السماء، فيجولُ في أقطارها وملكوها وبين ملائكتها.

ثم يفتحُ له بابٌ بعد باب، حتى ينتهي به سَيْرُ القلبِ إلى عرشِ الرحمن،
فينظرُ سَعَتَهُ وعظمتَهُ وجلالَهُ ومجدهُ ورفعتهُ، ويرى السمواتِ السبعَ
والأرضينِ السبعَ بالنسبةِ إليه كحلقةٍ ملقاةٍ بأرضِ فلاةٍ. ويرى الملائكةَ
حافينَ من حوله، لهم رَجُلٌ بالتسبيحِ والتحميدِ والتقديسِ والتكبيرِ، والأمرُ
ينزلُ من فوقه بتدبيرِ الممالكِ والجنودِ التي لا يعلمها إلا ربُّها ومليكُها. فينزلُ

الأمر بإحياء قوم وإماتة آخرين، وإعزاز قوم وإذلال آخرين، وإسعاد قوم وشقاوة آخرين، وإنشاء مُلكٍ وسلب مُلكٍ، وتحويل نعمة من محلٍّ إلى محلٍّ، وقضاء الحاجات على اختلافها وتباينها وكثرتها؛ من جبر كسير، وإغناء فقير، وشفاء مريض، وتفريج كرب، ومغفرة ذنب، وكشف ضرٍّ، ونصر مظلوم، وهداية حيران، وتعليم جاهل، وردّ أبق، وأمان خائف، وإجارة مستجير، ومددٍ لضعيف، وإغاثةٍ للمهوف وإعانةٍ لعاجز، وانتقام من ظالم، وكفّ لعدوان... فحينئذٍ يقوم القلب بين يدي الرحمن مُطرقاً لهيبته، خاشعاً لعظمته، عانٍ لعزّته، فيسجد بين يدي الملك الحقّ المبين سجدةً، لا يرفع رأسه منها إلى يوم المزيّد^(١).

٦• تعظيمُ شعائر الله وحرَماته:

فإذا عَظَّمَ العبدُ ما عَظَّمَهُ اللهُ تبارك وتعالى، اِمْتَلَأَ قلبه بالتعظيم لله والخشية منه، كما قال تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾ [الحج: ٣٢]، وكان من شدة تعظيم السلفِ لله ﷺ، أَنَّهُمْ كانوا يَبْكُون إذا خُولِفَ أمرُ الله سبحانه وتعالى من غيرهم، فعن ربيع بن عتاب قال: كنتُ أمشي مع زياد بن جرير، فَسَمِعَ رجُلًا يَحْلِفُ بالأمانة. قال: فنظرتُ إليه وهو يبكي قلت: ما يبكيك؟ فقال: أما سَمِعْتَ هذا يَحْلِفُ بالأمانة؟ فَلَنْ تُحْكُ أَحْسَائِي حتى تُدْمِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَحْلِفَ بالأمانة^(٢).

وكان عمرُ بنُ ذرٍّ يقول: أَنَسَكَ جانبُ حِلْمِهِ فتَوَثَّبَتْ على معاصيه!

(١) مفتاح دار السعادة (١/١٩٩).

(٢) الحلية (٤/١٩٦).

أَفَاسَفَهُ تَرِيدُ؟ أَمَا سَمِعْتَهُ يَقُولُ: ﴿فَلَمَّاءَ اسْفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥].
أَيُّهَا النَّاسُ: أَجِلُّوا مَقَامَ اللَّهِ بِالتَّنَزُّهِ عَمَّا لَا يَحِلُّ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُؤْمَنُ إِذَا
عُصِيَ^(١).

700 التأمّل في سنن الله ﷻ:

ومن وسائل تعظيم الله ﷻ: التأمل في سننه التي لا تتبدل ولا تتغير
ومن هذه السنن:

سُنَّةُ الدَّفْعِ: ﴿فَهَزَمُوهُمْ لِذَنْبِ اللَّهِ وَقَتْلِ دَاوُدَ جَالُوتَ وَءَاتَكُهُ
اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ
بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ﴾ [البقرة: ٢٥١].

وسُنَّةُ التَّدَاوُلِ: ﴿إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ
الْآيَاتُ نَذَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾ [آل عمران: ١٤٠].

وسُنَّةُ الْإِبْتِلَاءِ: ﴿الْمَ ۝ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا ءَامَنَّا وَهُمْ لَا
يُفْتَنُونَ ۝ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١-٣].

وسُنَّةُ التَّغْيِيرِ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ
بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ﴾ [الرعد: ١١].

وسُنَّةُ نَصْرِ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا حَقَّقُوا الشَّرْطَ: ﴿يَتَأْتِيهِمُ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ نَصَرُوا اللَّهَ
يُنْصَرُكُمْ وَيُثَبِّتُ أَقْدَامَكُمْ﴾ [محمد: ٧]، وغير ذلك من السنن.

فلا شكَّ أنَّ التأملَ في هذه السننِ وغيرها مما يورثُ تعظيمَ الله في القلوبِ، لأنه يؤدِّي إلى حقيقةٍ مفادُها أنَّ لهذا الكونِ إلهًا عظيمًا قادرًا، له مقاليدُ كلِّ شيءٍ، ولا يُعجزُهُ شيءٌ في الأرضِ ولا في السماء، غيرَ أنه ﷻ قد سيَّرَ هذا الكونَ بما فيه وفقَ نظامٍ مُحكمٍ وقوانينٍ ثابتةٍ لا تتبدلُ ولا تتغيَّرُ.

٨٠ • معرفة بعض جوانب الإعجاز العلمي في القرآن والسنة:

ومثال ذلك قولُ الله تعالى: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّوْعِ﴾ [الطارق: ١٢]، قال الدكتور زغلول النجار: «من الآيات الوصفية المبهرة قولُ الحقِّ تبارك وتعالى في سورة الطارق: ﴿وَالْأَرْضُ ذَاتُ الصَّوْعِ﴾ فهذا قسمٌ عظيمٌ لحقيقةٍ كونيةٍ مبهرةٍ لم يُدرِكها العلماءُ إلَّا في النصفِ الأخيرِ من القرنِ العشرين.

فالأرضُ التي نَحيا عليها لها غلافٌ صخريٌّ خارجيٌّ، هذا الغلافُ مُمزَّقٌ بشبكةٍ هائلةٍ من الصدوع، تمتدُّ لمئاتِ الآلافِ من الكيلومتراتِ طولًا وعرضًا، بعمقٍ يتراوحُ ما بين ٦٥ كيلومترًا و ١٥٠ كيلومترًا في كلِّ الاتجاهات.

ومن الغريبِ أن هذه الصدوعَ مرتبطةٌ ببعضها البعضِ ارتباطًا يجعلها كأنَّها صدعٌ واحدٌ، يُشبَّههُ العلماءُ باللَّحَامِ على كرةِ التنسِ.

وانطلاقًا من ذلك يُقسِّمُ الله تعالى بهذه الحقيقةِ الكونيةِ المبهرة، التي لم يَسْتَطِعْ العلماءُ أن يدركوا أبعادها إلا بعدَ الحربِ العالميَّةِ الثانيةِ، واستمرتْ دراسَتُهُمْ لها لأكثرَ من عشرينَ سنةً متصلةً من ١٩٤٥م - ١٩٦٥م حتى استطاعوا أن يرسمُوا هذه الصدوعَ بالكاملٍ، والقرآنُ الكريمُ كانَ قد سبقَ

إِدْرَاكَهُمْ بِأَكْثَرِ مِنْ أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِائَةٍ مِنَ السَّنِينَ بِقَوْلِ الْحَقِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى:
﴿وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ﴾^(١).

فَلَا شَكَّ أَنَّ تَأَمُّلَ مِثْلِ هَذِهِ الْحَقَائِقِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُوَافِقَةِ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مِمَّا يُقَوِّي جَانِبَ تَعْظِيمِ اللَّهِ ﷻ فِي النَّفْسِ.

٩٠٠ التَّأَمُّلُ فِي دَلَائِلِ الْحِكْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ:

فَهُوَ ﷻ الْحَكِيمُ الَّذِي بَهَّرَتْ حِكْمَتُهُ الْأَلْبَابَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا عَبَثًا وَلَا سُدًى، وَلَهُ الْحِكْمَةُ الْبَالِغَةُ فِي كُلِّ مَا قَدَّرَهُ وَقَضَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ وَطَاعَةٍ وَمَعْصِيَةٍ، وَحِكْمَتُهُ سُبْحَانَهُ بَاهِرَةٌ، تَعَجُّزُ الْعُقُولُ عَنِ الْإِحَاطَةِ بِكُنْهَيْهَا، وَتَكِلُّ الْأَلْسُنُ عَنِ التَّعْبِيرِ عَنْهَا.

وَلِلَّهِ فِي كُلِّ تَحْرِيكَةٍ وَتَسْكِينَةٍ أَبَدًا شَاهِدٌ

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ

وَحَظُّ الْعَبْدِ فِي نَفْسِهِ وَمَا يُخَصُّهُ مِنْ شُهُودِ هَذِهِ الْحِكْمَةِ، فَبِحَسَبِ اسْتِعْدَادِهِ وَقُوَّةِ بَصِيرَتِهِ، وَكَمَالِ عِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ بِاللَّهِ وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِحَقُوقِ الْعِبَادِيَّةِ وَالرَّبُّوبِيَّةِ. وَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ ذَلِكَ شَرْبٌ مَعْلُومٌ، وَمَقَامٌ لَا يَتَعَدَّاهُ وَلَا يَتَخَطَّاهُ، وَاللَّهُ الْمَوْفِقُ وَالْمُعِينُ^(٢).

٩٠٠ محاسبة النفس:

مِنْ وَسَائِلِ تَعْظِيمِ اللَّهِ ﷻ: «مَحَاسِبَةُ النَّفْسِ» وَذَلِكَ لِأَنَّ مِنْ أَرْكَانِ

(١) مِنْ آيَاتِ الْإِعْجَازِ الْعِلْمِيِّ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ (ص: ٨٣-٨٤)، بِاخْتِصَارٍ يَسِيرٍ.

(٢) انْظُرْ: مَدَارِجُ السَّالِكِينَ (١/٤١١-٤١٢).

المحاسبة المقياسية بين ما كان من الله من نعم وإمهالٍ وسِتْرٍ وإفضالٍ، وما كان من العبد من غفلةٍ وجهلٍ ومعصيةٍ.

قال ابن القيم: «وبهذه المقياسية تعلم أن الربَّ ربُّ والعبدَ عبدٌ، ويتبينُ لك حقيقةُ النفسِ وصفاتها، وعظمةُ جلالِ الربوبية، وتفرَّدُ الربِّ بالكمالِ والإفضالِ، وأنَّ كلَّ نعمةٍ منه فضلٌ، وكلَّ نعمةٍ منه عدلٌ، وأنتَ قبلَ هذه المقياسيةِ جاهلٌ بحقيقةِ نفسك، وبربوبيةِ فاطرها وخالقها...»^(١).



• من ثمرات تعظيم الله ﷻ

هناك آثارٌ كثيرةٌ لتعظيم الله ﷻ على القلوبِ والجوارحِ منها:

أ- على الفرد:

- ١ - تحقيقُ التوحيدِ لله والسلامةُ من الشركِ ووسائله.
- ٢ - محبةُ الله ﷻ المحبةُ الشرعية.
- ٣ - الخوفُ من الله ﷻ من غيرِ قنوطٍ.
- ٤ - الرجاءُ في الله ﷻ مع حسنِ العملِ.
- ٥ - مراقبةُ الله ﷻ في السرِّ والعلانية.
- ٦ - التوكلُ على الله ﷻ في كلِّ الأمورِ مع الأخذِ بالأسبابِ.
- ٧ - الثقةُ بالله ﷻ في أحلكِ الظروفِ.
- ٨ - الثباتُ والطمأنينةُ واليقينُ في الله ﷻ.
- ٩ - الحياءُ من الله ﷻ.
- ١٠ - التبرُّؤ من الحولِ والقوةِ وإظهارُ الافتقارِ إلى الله ﷻ.
- ١١ - تحكيمُ شرعِ الله ﷻ في كافةِ الأمورِ مع الرِّضا والتسليمِ.
- ١٢ - حفظُ الضرورياتِ الخمسِ؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.
- ١٣ - المسارعةُ إلى أداءِ الواجباتِ من صلاةٍ وزكاةٍ وصيامٍ وحجٍّ وبرٍّ

بالوالدين وصلة للرحم وحسن خلق.

١٤ - ترك جميع المعاصي والمنكرات القولية والعملية والاعتقادية.

١٥ - كثرة ذكر الله ﷻ ودعائه واستغفاره وتلاوة كتابه.

١٦ - الإكثار من ذكر الموت.

١٧ - قصر الأمل.

١٨ - اتهام النفس دائماً بالإهمال والتقصير.

١٩ - ألا يرى لنفسه على الله حقاً.

٢٠ - ألا يشكو الله ﷻ إلى خلقه.

٢١ - ألا يذل نفسه لصاحب دنيا.

ب- على الأسرة:

لا شك أن الأسرة هي المنبع الأساس الذي يصدر عنه كافة الأخلاق والسلوكيات والتصرفات، سواء أكانت أخلاقاً وسلوكيات محمودة أم مذمومة.

ولذلك فإن الأسرة إذا تربت ونشأت على معاني تعظيم الله ﷻ ومراقبته في السر والعلانية، فإن ذلك سوف ينتج أفراداً يتحلون بعُمق الإيمان ومكارم الأخلاق، والوقوف عند حدود الله ﷻ، وكبح جماح رغبات النفس وشهواتها، والحذر من كل ما يغضب الله ﷻ، مهما كانت الظروف معينة على المعصية، حائلة على الوقوع فيها.

- ومن ثمرات تعظيم الله سبحانه في محيط الأسرة ما يلي:
- ١ - أداء الحقوق، سواء حق الوالدين، أو الزوج، أو الزوجة، أو الأولاد، أو الخادم.
- ٢ - تربية الأبناء على الأخلاق الكريمة والصفات النبيلة.
- ٣ - تربية الأبناء على مراقبة الله وتعظيمه في السر والعلانية.
- ٤ - تعظيم شأن الصلاة في محيط الأسرة.
- ٥ - مشاركة أفراد الأسرة في الأعمال الخيرية والأنشطة الاجتماعية.
- ٦ - تطهير البيت من الملاحى والمنكرات والصُور.
- ٧ - المحافظة على الوقت؛ لأنّه في الحقيقة هو عمُر الإنسان ورأس ماله الذي يشتري به مرضاة الله والخلود في الجنة والنجاة من النار.
- ٨ - الإحسان إلى الجيران وعدم إيذائهم وتعاهدهم بالتَّحَفِ والهدايا والزيارات.
- ٩ - ترتيب الأولويات، وتقديم الفرائض على النوافل، وواجب الوقت على غيره.
- ١٠ - تعظيم أوامر الله ونواهيه ونصوص الكتاب والسنة والانقياد التام لها.
- ١١ - تربية أفراد الأسرة على روح الإبداع والتفوق والتميز في كافة مجالات الحياة، وهذا من الإحسان الذي أمرنا الله تعالى به: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥].

ج- من ثمرات تعظيم الله على المجتمع:

إن المجتمع الذي يغلبُ على أفرادِهِ خشيةُ الله تعالى وتعظيمُهُ في الغيبِ والشهادةِ يكثرُ خيرُهُ، ويقلُّ شرُّه، ويتنفعُ به القريبُ والبعيدُ، والقاصي والداني، ويصبحُ قدوةً لغيره من المجتمعاتِ والشعوبِ، ومن ثمراتِ تعظيمِ الله على المجتمع ما يلي:

١ - حفظُ الضرورياتِ الخمسِ التي جاء الإسلامُ بحفظِها؛ وهي: الدينُ، والنفسُ، والعقلُ، والمالُ، والعرضُ.

٢ - التكافلُ الاجتماعيُّ بحيثُ لا يبقى جائعٌ لا يجدُ طعامًا، ولا مريضٌ لا يجدُ دواءً، ولا عارٍ لا يجدُ لباسًا، ولا أسرةٌ مهددةٌ بالطردِ من البيتِ، لأنَّ ربَّ الأسرةِ لا يجدُ قيمةَ إيجارِ البيتِ، أو قيمةَ ما تستهلكُهُ الأسرةُ من ماءٍ وكهرباءٍ.

٣ - تعزيزُ الأخلاقِ الإسلاميةِ بينَ أبناءِ المجتمعِ، وتنفيذُ أبناءِ المجتمعِ من الأخلاقِ السيئةِ، وتكريمُ أهلِ التميزِ في هذا البابِ.

٤ - حملُ رايةِ الأمرِ بالمعروفِ والنهيِ عن المنكرِ بالطرقِ الشرعيةِ التي تُثمرُ المطلوبَ من كثرةِ المعروفِ وطريقِ الخيرِ، وإماتةِ المنكراتِ أو تقلييلها.

٥ - محاربةُ البدعِ والمحدثاتِ المتعلقةِ بالعباداتِ والمعاملاتِ والسلوكِ، والرجوعُ بالناسِ إلى ساحةِ الإسلامِ وبساطتهِ.

٦ - إبرازُ أهلِ الخشيةِ والتعظيمِ كنجومٍ للمجتمعِ ينبغي الاستفادةُ منهم، وفي مقدِّمتهم أهلُ العلمِ لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ [فاطر: ٢٨].

٧- إشاعة روح التناصح بين أبناء المجتمع وبخاصة في أسواق المسلمين، بحيث لا يوجد بين الناس غش ولا غرر ولا احتكار.

٨- رفض المجتمع لكافة الاستخدامات السلبية لوسائل الإعلام والتقنية، والاقتصار على النافع والمفيد منها، ويدخل في ذلك الصحف والمجلات والقنوات التلفزيونية، والراديو والكمبيوتر، والانترنت والهاتف الجوال وغير ذلك.

٩- تكاتف المجتمع في مجابهة المشكلات الطارئة قبل أن تتفاقم ويستفحل خطرهما، ومن ذلك: العنوسة بين الفتيات، البطالة، المسكرات والمخدرات، التدخين، التشبه بالكفار، العنف والإرهاب، العلاقات المحرمة بين الجنسين.

١٠- العمل على تقوية روابط الوحدة والألفة بين المسلمين في كل مكان، من أجل إقامة أمة واحدة قادرة على الحفاظ على هوية الأمة والدفاع عن كيانها ضد كافة الهجمات التي تُشن عليها.

• المعاني الجامعة للأسماء الحسنى

وقال الشيخ عبد الرحمن السعدي^(١):

«وقد تكرر كثيرٌ من أسماء الله الحسنى في القرآن بحسبِ المناسبات، والحاجة داعيةٌ إلى التنبيه إلى معانيها الجامعة، فنقول:

قد تكرر اسمُ «الرَّبِّ» في آياتٍ كثيرة.

«الرَّبُّ»: هو المربِّي جميعَ عباده بالتدبير وأصنافِ النعم. وأخصُّ من هذا تربيته لأصفيائه بإصلاح قلوبهم وأرواحهم وأخلاقهم. ولهذا كثر دَعَاؤُهُم له بهذا الاسمِ الجليل، لأنَّهم يطلبُونَ منه هذه التربية الخاصة.

١ - «الله»: هو المألوهُ المعبودُ، ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين، لما اتَّصفَ به من صفاتِ الألوهية التي هي صفاتُ الكمال.

٢، ٣ - «الملك، المالك»: الذي له الملكُ فهو الموصوفُ بصفةِ الملك، وهي صفاتُ العظمةِ الكبرياء، والقهرِ والتدبير، الذي له التصرفُ المطلقُ في الخلقِ والأمرِ والجزاء، وله جميعُ العالمِ العلويِّ والسفليِّ، كلُّهم عبيدٌ ومماليكُ، ومضطرونَّ إليه.

٤، ٥ - «الواحد، الأحد»: وهو الذي تَوَحَّدَ بجميعِ الكمالات، بحيثُ لا يشاركُهُ فيها مشاركٌ، ويجبُ على العبيدِ تَوْحِيدُهُ، عقلاً، وقولاً، وعملاً، بأنَّ يعترفوا بكماله المطلق، وتفردَه بالوحدانية، ويفردوه بأنواعِ العبادة.

(١) ملحق بتفسير السعدي (ص: ٩٤٥-٩٤٩).

٦- «الصَّمَدُ»: هو الذي يَقْصِدُهُ الْخَلَائِقُ كُلُّهَا فِي جَمِيعِ حَاجَاتِهَا، وَضُرُورَاتِهَا وَأَحْوَالِهَا، لِمَا لَهُ مِنَ الْكَمَالِ الْمَطْلُوقِ فِي ذَاتِهِ، وَأَسْمَائِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ.

٧، ٨- «الْعَلِيمُ، الْخَبِيرُ»: وهو الذي أَحَاطَ عِلْمُهُ بِالظَّاهِرِ وَالْبَاطِنِ، وَالْإِسْرَارِ وَالْإِعْلَانِ، وَبِالْوَاجِبَاتِ وَالْمُسْتَحِيلَاتِ وَالْمُمْكِنَاتِ، وَبِالْعَالَمِ الْعُلُويِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَبِالْمَاضِي وَالْحَاضِرِ وَالْمُسْتَقْبَلِ، فَلَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنَ الْأَشْيَاءِ.

٩- «الْحَكِيمُ»: وهو الذي لَهُ الْحِكْمَةُ الْعُلْيَا فِي خَلْقِهِ وَأَمْرِهِ، الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ ﴿أَفَحُكْمَ الْجَهْلِيتَةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾. فَلَا يَخْلُقُ شَيْئًا عَبَثًا، وَلَا يَشْرَعُ شَيْئًا سُذْيً، الَّذِي لَهُ الْحُكْمُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ، وَلَهُ الْأَحْكَامُ الثَّلَاثَةُ لَا يَشَارِكُهُ فِيهَا مُشَارِكٌ، فَيَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِهِ، فِي شَرْعِهِ، وَفِي قَدْرِهِ وَجَزَائِهِ.

والْحِكْمَةُ: وَضْعُ الْأَشْيَاءِ مَوَاضِعَهَا، وَتَنْزِيلُهَا مَنَازِلَهَا.

١٠، ١٦- «الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْبَرُّ، الْكَرِيمُ، الْجَوَادُّ، الرَّؤُوفُ، الْوَهَّابُ». هَذِهِ الْأَسْمَاءُ تَتَقَارَبُ مَعَانِيهَا، وَتَدُلُّ كُلُّهَا عَلَى اتِّصَافِ الرَّبِّ بِالرَّحْمَةِ، وَالْبَرِّ وَالْجُودِ، وَالْكَرَمِ، وَعَلَى سَعَةِ رَحْمَتِهِ وَمَوَاهِبِهِ، الَّتِي عَمَّ بِهَا جَمِيعَ الْوُجُودِ، بِحَسَبِ مَا تَقْتَضِيهِ حِكْمَتُهُ، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهَا بِالنَّصِيبِ الْأَوْفَرِ، وَالْحِظِّ الْأَكْمَلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾ الْآيَةُ.

والنعم والإحسان كله من آثار رحمته، وجوده، وكرمه، وخيرات الدنيا والآخرة، كلها من آثار رحمته.

١٧- «السميع» لجميع الأصوات، باختلاف اللغات على تفنن الحاجات.

١٨- «البصير» الذي يبصر كل شيء وإن دق وصغر، فيبصر ديب النملة السوداء في الليلة الظلماء على الصخرة الصماء. ويبصر ما تحت الأرضين السبع، كما يبصر ما فوق السموات السبع. وأيضا سميع بصير بمن يستحق الجزاء بحسب حكمته، والمعنى الأخير يرجع إلى الحكمة.

١٩- «الحميد» في ذاته، وأسمائه، وصفاته، وأفعاله، فله من الأسماء أحسنها، ومن الصفات أكملها، ومن الأفعال أتمها وأحسنها، فإن أفعاله تعالى دائرة بين الفضل والعدل.

٢٠-٢٣- «المجيد، الكبير، العظيم، الجليل» وهو الموصوف بصفات المجد، والكبرياء، والعظمة، والجلال، الذي هو أكبر من كل شيء، وأعظم من كل شيء، وأجل وأعلى. وله التعظيم والإجلال في قلوب أوليائه وأصفيائه، قد ملئت قلوبهم من تعظيمه وإجلاله، والخضوع له والتذلل لكبريائه.

٢٤-٢٦- «العفو، الغفور، الغفار» الذي لم يزل، ولا يزال بالعفو معروفاً، وبالعفوان والصفح عن عباده موصوفاً، كل أحد مضطراً إلى عفوهِ ومغفرته، كما هو مضطراً إلى رحمته وكرمه، وقد وعد بالمغفرة والعفو لمن أتى بأسبابها، قال تعالى: ﴿وَلِيَّ لَغَفَّارٍ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَىٰ﴾

٢٧- «التَّوَابُّ» الذي لم يَزَلْ يتوبُ على التَّائِبِينَ، ويغفرُ ذنوبَ المنيبينَ، فكلُّ من تابَ إلى الله توبةً نصوحًا، تابَ اللهُ عليه، فهو التَّائبُ على التَّائِبِينَ أو لا بتوفيقهم للتوبة والإقبالِ بقلوبهم إليه، وهو التَّائبُ عليهم بعد توبيتهم قبولاً لهم، وعَفْوًا عن خطاياهم.

٢٨، ٢٩- «الْقُدُّوسُ، السَّالِمُ» أي: المعظَّمُ المنزَّه عن صفاتِ النقصِ كُلِّها، وأن يماثلَه أحدٌ من الخلقِ، فهو المنزَّه عن جميعِ العيوبِ، والمنزَّه عن أن يقارِبَه أو يماثلَه أحدٌ في شيءٍ من الكمالِ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾، ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾، ﴿هَلْ نَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾، ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا﴾

فالقُدُّوسُ كالسلام، ينفيانِ كلَّ نقصٍ من جميعِ الوجوه، ويتضمَّنانِ الكمالَ المطلقَ من جميعِ الوجوه، لأنَّ النقصَ إذا انتفى ثَبَتَ الكمالُ كُلُّهُ.

٣٠، ٣١- «الْعَلِيُّ الْأَعْلَى» وهو الذي له العلوُّ المطلقُ من جميعِ الوجوه، علوُّ الذاتِ، وعلوُّ القدرِ والصفاتِ، وعلوُّ القهرِ. فهو الذي على العرشِ اسْتَوَى، وعلى الملوكِ احْتَوَى، وبجميعِ صفاتِ العظمةِ والكبرياءِ والجلالِ والجمالِ وغايةِ الكمالِ اتَّصَفَ، وإليه فيها المُنتَهَى.

٣٢- «الْعَزِيزُ» الذي له العزةُ كُلُّها: عزةُ القوَّةِ، وعزةُ الغلبةِ، وعزةُ الامتناعِ، فامتنعَ أن يناله أحدٌ من المخلوقاتِ، وقَهَرَ جميعَ الموجوداتِ، ودَانَتْ لَهُ الخَلِيقَةُ وَخَضَعَتْ لعظمتهِ.

٣٣، ٣٤- «الْقَوِيُّ، الْمُتِينُ» هو في معنى العزيزِ.

٣٥- «الجَبَّارُ» هو بمعنى العليِّ الأعلى، وبمعنى القَهَّارِ، وبمعنى «الرَّؤُوفِ» الجابر للقلوب المنكسرة، وللضعيف العاجز، ولمن لا ذبة ولجأ إليه.

٣٦- «المتكبرُ» عن السوء والنقص والعيوب، لعظمته وكبريائه.

٣٧-٣٩- «الخالقُ، البارئُ، المصورُ» الذي خلق جميع الموجودات وبرأها وسوّاها بحكمته، وصوّرها بحمده وحكمته، وهو لم يزل ولا يزال على هذا الوصف العظيم.

٤٠- «المؤمنُ» الذي أثنى على نفسه بصفات الكمال، وبكمال الجلال والجمال، الذي أرسلَ رسله وأنزلَ كتبه بالآيات والبراهين، وصدقَ رسله بكل آية وبرهان، يدلُّ على صدقهم وصحة ما جاؤوا به.

٤١- «المهيمنُ»: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً.

٤٢- «القديرُ» كامل القدرة، بقدرته أوجدَ الموجودات، وبقدرته دبَّرَها، وبقدرته سوّاها وأحكمها، وبقدرته يُحيي ويُميتُ، ويبعثُ العبادَ للجزاء، ويجازي المحسنَ بإحسانه، والمسيءَ بإساءته، الذي إذا أرادَ شيئاً قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾، وبقدرته يقلبُ القلوبَ، ويصرفُها على ما يشاء ويريدُ.

٤٣- «اللطيفُ» الذي أحاطَ علمه بالسرائرِ والخفايا، وأدركَ الخبايا والبواطنَ والأمورَ الدقيقةَ، اللطيفُ بعباده المؤمنين، الموصلُ إليهم مصالحهم بلطفه وإحسانه، من طرقٍ لا يشعرون بها، فهو بمعنى «الخبير» وبمعنى «الرؤوف».

٤٤- «الحسيب» هو العليم بعباده، كافي المتوكلين، المجازي لعباده بالخير والشر، بحسب حكمته وعلمه بدقيق أعمالهم وجليلها.

٤٥- «الرقيب» المطلع على ما أكتته الصدور، القائم على كل نفس بما كسبت، الذي حفظ المخلوقات وأجرأها على أحسن نظام وأكمل تدبير.

٤٦- «الحفيظ» الذي حفظ ما خلقه، وأحاط علمه بما أوجده، وحفظ أوليائه من وقوعهم في الذنوب والهلكات، ولطف بهم في الحركات والسكنات، وأحصى على العباد أعمالهم وجزاءها.

٤٧- «المحيط» بكل شيء علماً، وقدرة، ورحمة، وقهراً.

٤٨- «القهار» لكل شيء، الذي خضعت له المخلوقات، وذلت لعزته وقوته وكمال اقتداره.

٤٩- «المقيت» الذي أوصل إلى كل موجود ما به يقتات، وأوصل إليها أرزاقها وصرفها كيف يشاء بحكمته وحمده.

٥٠- «الوكيل» المتولي لتدبير خلقه بعلمه وكمال قدرته وشمول حكمته، الذي تولى أوليائه، فيسرهم لليسرى، وجنبهم العسرى، وكفاهم الأمور. فمن اتَّخَذَهُ وَكِيلًا كَفَاهُ ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾

٥١- «ذو الجلال والإكرام» أي: ذو العظمة والكبرياء، وذو الرحمة والجود، والإحسان العام والخاص، المكرم لأوليائه وأصفياه، الذين يحلونه ويعظمونه ويحبونه.

٥٢- «الودود» الذي يُحِبُّ أنبياءه ورسله وأتباعهم، ويُحِبُّونَهُ، فهو أَحَبُّ إليهم من كُلِّ شيءٍ، قَدْ امتَلَأَتْ قلوبهم من محبَّته، وهَجَتْ أَلْسِنَتُهُم بالثناءِ عليه، وانجذَبَتْ أَفئدتُهُم إليه وُدًّا وإخلاصًا وإنابةً من جميع الوجوه.

٥٣- «الفتاح» الذي يحكم بين عباده بأحكامه الشرعيَّة، وأحكامه القدريَّة، وأحكام الجزاء، الذي فَتَحَ بِلُطْفِهِ بصائرَ الصادقين، وفتح قلوبهم لمعرفته ومحبته والإنابة إليه، وفتح لعباده أبواب الرحمة والأرزاق المتنوعة، وسبَّبَ لهم الأسباب التي ينالون بها خَيْرَ الدُّنْيَا والآخرة ﴿مَا يَفْتَحُ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكُ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ﴾ [فاطر: ٢].

٥٤- «الرزاق» لجميع عباده، فما من دابةٍ في الأرضِ إِلَّا على الله رزقُها. ورزقُه لعباده نوعان:

رزق عامٌّ: شَمَلَ البرَّ والفاجر، والأولينَ والآخرين، وهو رزقُ الأبدان.
ورزق خاصٌّ: وهو رزقُ القلوب، وتَغْذِيَّتُهَا بالعلم والإيمان، والرزق الحلال الذي يعينُ على صلاح الدين، وهذا خاصٌّ بالمؤمنين، على مراتبهم منه، بحسب ما تقتضيه حكمتُه ورحمته.

٥٥، ٥٦- «الحكم، العدل» الذي يحكم بين عباده في الدنيا والآخرة بَعْدَهِ وقسطه. فلا يظلمُ مثقالَ ذرَّةٍ ولا يُحْمَلُ أحدًا وزرٌّ أحدٍ، ولا يجازي العبدَ بأكثرَ من ذنبه، ويؤدِّي الحقوق إلى أهلها، فلا يدعُ صاحبَ حقٍّ إِلَّا أَوْصَلَ إليه حقَّه، وهو العدلُ في تدبيره وتقديره ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦].

٥٧- «جامع الناس» ليوم لا ريبَ فيه، وجامعُ أعمالهم وأرزاقهم، فلا

يترك منها صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وجامع ما تفرق واستحال من الأموات الأولين والآخرين، بكمال قدرته، وسعة علمه.

٥٨- «الحي القيوم» كامل الحياة والقائم بنفسه. القيوم لأهل السموات والأرض، القائم بتدبيرهم وأرزاقهم، وجميع أحوالهم، ف «الحي»: الجامع لصفات الذات، و«القيوم» الجامع لصفات الأفعال.

٥٩- «النور» نور السموات والأرض، الذي نور قلوب العارفين بمعرفته والإيمان به، ونور أفئدتهم بهدأته، وهو الذي أنار السموات والأرض بالأنوار التي وضعها، وحجابه النور، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه.

٦٠- «بديع السموات والأرض» أي: خالقها ومبدعها، في غاية ما يكون من الحسن والخلق البديع، والنظام العجيب المحكم.

٦١، ٦٢- «القابض، الباسط» يقبض الأرزاق والأرواح، ويسط الأرزاق والقلوب، وذلك تبع لحكمته ورحمته.

٦٣، ٦٤- «المعطي، المانع» لا مانع لما أعطى، ولا معطي لما منع، فجميع المصالح والمنافع منه تطلب، وإليه يرغب فيها، وهو الذي يعطيها لمن يشاء، ويمنعها من يشاء بحكمته ورحمته.

٦٥- «الشهيد» أي: المطلع على جميع الأشياء. سمع جميع الأصوات خفيها وجليها، وأبصر جميع الموجودات دقيقها وجليلها صغيرها وكبيرها، وأحاط علمه بكل شيء، الذي شهد لعباده وعلى عباده بما عملوه.

٦٦، ٦٧- «المبدئ، المعيد» قال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ الآية، ابتداءً خلقهم ليبلوهم أيهم أحسن عملاً، ثم يعيدهم ليجزي الذين أحسنوا بالحسن، ويمجزي المسيئين بإساءتهم. وكذلك هو الذي يُبداً إيجاد المخلوقات شيئاً فشيئاً، ثم يعيدها كل وقت.

٦٨- «الفعال لما يريد» وهذا من كمال قوته ونفوذ مشيئته وقدرته، أن كل أمر يريدُه يفعلُه بلا ممانع ولا معارض، وليس له ظهير ولا معين، على أي أمر يكون، بل إذا أراد شيئاً قال له: ﴿كُنْ فَيَكُونُ﴾. ومع أنه الفعال لما يريد، فأرادته تابعة لحكمته وحده، فهو موصوف بكمال القدرة، ونفوذ المشيئة، وموصوف بشمول الحكمة، لكل ما فعله ويفعله.

٦٩، ٧٠- «الغني، المغني» فهو الغني بذاته، الذي له الغنى التام المطلق، من جميع الوجوه والاعتبارات لكماله، وكمال صفاته، فلا يتطرق إليها نقص بوجه من الوجوه، ولا يمكن أن يكون إلا غنياً؛ لأن غناه من لوازم ذاته، كما لا يكون إلا خالقاً، قادراً، رازقاً، محسناً، فلا يحتاج إلى أحد بوجه من الوجوه، فهو الغني، الذي بيده خزائن السموات والأرض، وخزائن الدنيا والآخرة. المغني جميع خلقه غنيّ عامّاً، والمغني لخواص خلقه بما أفاض على قلوبهم من المعارف الربانية والحقائق الإيمانية.

٧١- «الحليم» الذي يدُرُّ على خلقه النعم الظاهرة والباطنة، مع معاصيهم وكثرة زلاتهم، فيحلّم عن مقابلة العاصين بعصيانهم، ويستعْتَبُهُمْ كي يتوبوا، ويمهلهم كي يُنِيبُوا.

٧٢، ٧٣- «الشاكِر، الشكور» الذي يشكر القليل من العمل، ويغفر

الكثير من الزلزل. ويضاعف للمخلصين أعمالهم بغير حساب، ويشكر الشاكرين، ويذكر من ذكره، ومن تقرب إليه بشيء من الأعمال الصالحة، تقرب الله منه أكثر.

٧٤، ٧٥ - «القريب، المجيب» أي: هو تعالى القريب من كل أحد. وقربه تعالى نوعان: قرب عام من كل أحد، بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته، وإحاطته. وقرب خاص، من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره، من لطفه بعبده، وعنايته به، وتوفيقه وتسديده. ومن آثاره: الإجابة للداعين والإثابة للعابدين، فهو المجيب إجابة عامة للداعين مهما كانوا، وأين كانوا، وعلى أي حال كانوا كما وعدهم بهذا الوعد المطلق، وهو المجيب إجابة خاصة للمستجيبين له المتقادين لشريعته، وهو المجيب أيضًا للمضطرين، ومن انقطع رجائهم من المخلوقين وقوي تعلقهم به طمعًا ورجاءً وخوفًا.

٧٦ - «الكافي» جميع عبادته ما يحتاجون ويضطرون إليه، الكافي كفاية خاصة من آمن به، وتوكل عليه، واستمد منه حوائج دينه ودنياه. ٧٧ - ٨٠ - «الأول، والآخر، والظاهر، والباطن».

قد فسرّها النبي ﷺ تفسيرًا جامعًا واضحًا، فقال: «أنت الأول فليس قبلك شيء، وأنت الآخر فليس بعدك شيء، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»^(١).

(١) مسلم (٢٧١٣)، أبو داود (٥٠٥١) الترمذي (٣٤٠٠).

٨١- «الواسع» الصفات والنعوت ومتعلقاتها، بحيث لا يُحصى أحدُ ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه. واسعُ العظمة والسلطان والملك، واسعُ الفضل والإحسان، عظيمُ الجود والكرم.

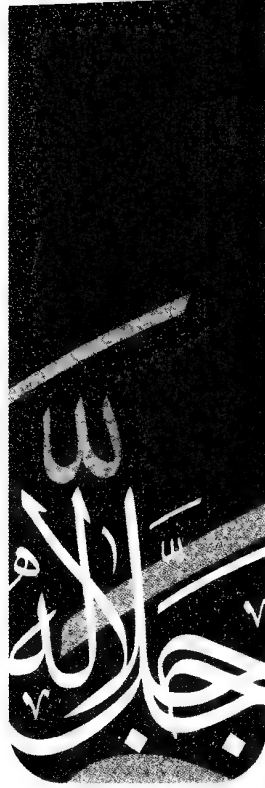
٨٢، ٨٣- «الهادي، الرشيد» أي: الذي يهدي ويرشد عباده إلى جميع المنافع، وإلى دفع المضار، ويعلمهم ما لا يعلمون، ويهديهم لهداية التوفيق والتسديد، ويُلهمهم التقوى، ويجعل قلوبهم منيعةً إليه منقادةً لأمره.

وللرشيد معنىً بمعنى الحكيم، فهو الرشيد في أقواله وأفعاله، وشرائعه كُلُّها خيرٌ ورشدٌ وحكمةٌ، ومخلوقاته مشتملةٌ على الرشد.

٨٤- «الحق» في ذاته وصفاته، فهو واجبُ الوجود، كاملُ الصفات والنعوت، وجوده من لوازم ذاته، ولا وجودَ لشيءٍ من الأشياء إلا به. فهو الذي لم يزل ولا يزال بالجلال والكمال موصوفاً، ولم يزل ولا يزال بالإحسان معروفاً.

فقولُه حقٌّ، وفعله حقٌّ، ولقاؤه حقٌّ، ورسله حقٌّ، وكتبه حقٌّ، ودينه هو الحقُّ، وعبادته وحده لا شريك له هي الحقُّ، وكلُّ شيءٍ ينسبُ إليه فهو حقٌّ ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَبَدُ مَا يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [الحج: ٦٢].

﴿وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ﴾ [الكهف: ٢٩]، ﴿فَمَاذَا بَعَدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ﴾ [يونس: ٣٢]، ﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].



قصائد
في
تعظيم الله



①٠٠ أسماء الله الحسنى

• العليُّ

فَهُوَ الْعَلِيُّ بِذَاتِهِ سُبْحَانَهُ
وَهُوَ الَّذِي حَقًّا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
حَيٌّ مُرِيدٌ قَادِرٌ مُتَكَلِّمٌ
هُوَ أَوَّلُ هُوَ آخِرُ هُوَ ظَاهِرٌ
مَا قَبْلَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا بَعْدَهُ
مَا فَوْقَهُ شَيْءٌ كَذَا مَا دُونَهُ
فَانْظُرْ إِلَى تَفْسِيرِهِ بِتَدَبُّرٍ
وَانْظُرْ إِلَى مَا فِيهِ مِنْ أَنْوَاعٍ مَعَدَّةٍ
وَهُوَ الْعَلِيُّ فَكُلُّ أَنْوَاعِ الْعُلَى

إِذِ اسْتَحِيلَ خِلَافُ ذَا بَيَّانٍ
قَدْ قَامَ بِالتَّدْبِيرِ لِلْأَكْوَانِ
ذُو رَحْمَةٍ وَإِرَادَةٍ وَخَنَانٍ
هُوَ بَاطِنٌ هِيَ أَرْبَعُ بَوَازِينِ
شَيْءٌ تَعَالَى اللَّهُ ذُو السُّلْطَانِ
شَيْءٌ وَذَا تَفْسِيرُ ذِي الْبُرْهَانِ
وَبَصِيرٌ وَتَعَقُّلٌ لِمَعَانٍ
رَفَقَةٌ لِحَالِقِنَا الْعَظِيمِ الشَّانِ
وَلَهُ فَنَائِبَةٌ بِلَا نُكْرَانِ

• العظيم

وَهُوَ الْعَظِيمُ بِكُلِّ مَعْنَى يُوجِبُ
وَهُوَ الْجَلِيلُ فَكُلُّ أَوْصَافِ الْجَلَالِ

التَّعْظِيمَ لَا يُحْصِيهِ مِنْ إِنْسَانٍ
لِ لَهُ مُحَقَّقَةٌ بِلَا بَطْلَانٍ

• الجميل

وَهُوَ الْجَمِيلُ عَلَى الْحَقِيقَةِ كَيْفَ لَا؟
مِنْ بَعْضِ أَنْوَارِ الْجَمِيلِ قَرُبُهَا
فَجَمَالُهُ بِالذَّاتِ وَالْأَوْصَافِ وَالْأَعْمَالِ وَالْأَسْمَاءِ بِالْبُرْهَانِ

وَجَمَالٌ سَائِرٌ هَذِهِ الْأَكْوَانِ
أُولَى وَأَجْدَرُ عِنْدَ ذِي الْعِرْفَانِ

لَا شَيْءٌ يُشَبِّهُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ سُبْحَانَهُ عَنِ إِفْكِ ذِي الْبُهْتَانِ

• المجيد

وَهُوَ الْمَجِيدُ صِفَاتُهُ أَوْصَافٍ تَعِظِيمُ فَشَأْنُ الْوَصْفِ أَعْظَمُ شَأْنٍ

• السميع

وَهُوَ السَّمِيعُ يَرَى وَيَسْمَعُ كُلَّ مَا وَلِكُلِّ صَوْتٍ مِنْهُ سَمْعٌ حَاضِرٌ وَالسَّمْعُ مِنْهُ وَاسِعٌ الْأَصْوَاتِ لَا فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ فَالسِّرُّ وَالْإِعْلَانُ مُسْتَوِيَانِ يَخْفَى عَلَيْهِ بَعِيدُهَا وَالذَّانِي

• البصير

وَهُوَ الْبَصِيرُ يَرَى دَبِيبَ النَّمْلَةِ السَّ وَيَرَى مَجَارِيَ الْقُوتِ فِي أَعْضَائِهَا وَيَرَى خَيَانَاتِ الْعُيُونِ بِلَحْظِهَا وَدَاءٍ تَحْتَ الصَّخْرِ وَالصَّوَانِ وَيَرَى بَيَاضَ عُرُوقِهَا بَعِيَانِ وَيَرَى كَذَاكَ تَقَلُّبَ الْأَجْفَانِ

• العليم

وَهُوَ الْعَلِيمُ أَحَاطَ عِلْمًا بِالذِّى وَبِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ سُبْحَانَهُ وَكَذَاكَ يَعْلَمُ مَا يَكُونُ غَدًا وَمَا وَكَذَاكَ أَمْرٌ لَمْ يَكُنْ لَوْ كَانَ كَيْفَ فِي الْكَوْنِ مِنْ سِرٍّ وَمِنْ إِعْلَانٍ فَهُوَ الْمُحِيطُ وَلَيْسَ ذَا نِسْيَانٍ قَدْ كَانَ وَالْمَوْجُودَ فِي ذَا الْآنِ فَكَأَنَّهُ يَكُونُ ذَاكَ الْأَمْرُ ذَا إِمْكَانٍ

• الحميد

وَهُوَ الْحَمِيدُ فَكُلُّ حَمْدٍ وَاقِعٌ أَوْ كَانَ مَفْرُوضًا مَدَى الْأَرْمَانِ

مَلَأَ الْوُجُودَ جَمِيعَهُ وَنَظِيرُهُ
هُوَ أَهْلُهُ سُبْحَانَهُ وَبِحَمْدِهِ
وَهُوَ الْمَكْلُومُ عَبْدُهُ مُوسَى بِتَك
كَلِمَاتِهِ جَلَّتْ عَنِ الْإِحْصَاءِ وَالْتَمَعَ
لَوْ أَنَّ أَشْجَارَ الْبِلَادِ جَمِيعَهَا الـ
وَالْبَحَرَ تُلْقَى فِيهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
نَفِدَتْ وَلَمْ تَنْفَدِ بِهَا كَلِمَاتُهُ
مِنْ غَيْرِ مَا عَدَّ وَلَا حُسْبَانٍ
كُلُّ الْمَحَامِدِ وَصَفُ ذِي الْإِحْسَانِ
لِيَمِ الْخِطَابِ وَقَبْلَهُ الْأَبْوَانِ
دَادِ بَلْ عَنْ حَصْرِ ذِي الْحُسْبَانِ
أَقْلَامُ تَكْتُبُهَا بِكُلِّ بَنَانٍ
لِكِتَابَةِ الْكَلِمَاتِ كُلِّ زَمَانٍ
لَيْسَ الْكَلَامُ مِنَ الْإِلَهِ بِفَانٍ

● ● القدير

وَهُوَ الْقَدِيرُ وَلَيْسَ يُعْجِزُهُ إِذَا
مَا رَامَ شَيْئًا قَطُّ ذُو سُلْطَانٍ

● ● القوي

وَهُوَ الْقَوِيُّ لَهُ الْقُوَى جَمْعًا تَعَا
لَى اللَّهُ رَبُّ النَّاسِ وَالْأَكْوَانِ

● ● الغني

وَهُوَ الْغَنِيُّ بِذَاتِهِ فُغْنَاهُ ذَا
تِي لَهُ كَالْجُودِ وَالْإِحْسَانِ

● ● العزيز القاهر

وَهُوَ الْعَزِيزُ فَلَنْ يُرَامَ جَنَابُهُ
أَنَّى يُرَامُ جَنَابُ ذِي السُّلْطَانِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ الْقَاهِرُ الْغَلَابُ لَمْ
يَغْلِبْهُ شَيْءٌ هَذِهِ صِفَتَانِ

وَهُوَ الْعَزِيزُ بِقُوَّةٍ هِيَ وَصْفُهُ
فَالْعَزُّ حِينَئِذٍ ثَلَاثُ مَعَانٍ

وَهِيَ الَّتِي كَمَلَتْ لَهُ سُبْحَانَهُ
مِنْ كُلِّ وَجْهِ عَادِمِ النُّقْصَانِ

• • الحَكِيمُ

وَهُوَ الْحَكِيمُ وَذَٰكَ مِنْ أَوْصَافِهِ
نُوعَانِ أَيْضًا مَا هُمَا عَدَمَانِ
حُكْمٌ وَإِحْكَامٌ فَكُلٌّ مِنْهُمَا
نُوعَانِ أَيْضًا ثَابِتَا الْبُرْهَانِ
وَالْحُكْمُ شَرْعِيٌّ وَكَوْنِيٌّ وَلَا
يَتَلَازِمَانِ وَمَا هُمَا سَيِّئَانِ

• • الْحَيُّ

وَهُوَ الْحَيُّ فَلَيْسَ يَفْضَحُ عَبْدُهُ
عِنْدَ التَّجَاهُرِ مِنْهُ بِالْعِصْيَانِ
لَكِنَّهُ يُلْقِي عَلَيْهِ سِتْرَهُ
فَهُوَ السَّتِيرُ وَصَاحِبُ الْغُفْرَانِ

• • الْحَلِيمُ

وَهُوَ الْحَلِيمُ فَلَا يُعَاجِلُ عَبْدُهُ
بِعُقُوبَةٍ لِيُتُوبَ مِنْ عِصْيَانِ

• • الْعَفْوُ

وَهُوَ الْعَفْوُ فَعَفْوُهُ وَسِعَ الْوَرَى
لَوْلَا غَارَ الْأَرْضَ بِالسُّكَّانِ

• • الصَّبُورُ

وَهُوَ الصَّبُورُ عَلَى أَدَى أَعْدَائِهِ
شَتْمُوهُ بَلْ نَسَبُوهُ لِلْبُهْتَانِ
قَالُوا لَهُ وَلَدٌ وَلَيْسَ يُعِيدُنَا
شَتْمًا وَتَكْذِيبًا مِنَ الْإِنْسَانِ
هَٰذَا وَذَٰكَ بِسَمْعِهِ وَبِعِلْمِهِ
لَوْ شَاءَ عَاجَلَهُمْ بِكُلِّ هَوَانِ
لَكِنْ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ وَهُمْ
يُؤْذُونَهُ بِالشُّرْكِ وَالْكَفْرَانِ

• • الرَّقِيبُ

وَهُوَ الرَّقِيبُ عَلَى الْخَوَاطِرِ وَاللَّوَا
حِظْ كَيْفَ بِالْأَفْعَالِ بِالْأَرْكَانِ

● ● الحفيظُ الكفيلُ

وَهُوَ الْحَفِيزُ عَلَيْهِمْ وَهُوَ الْكَفِيلُ لِيَحْفَظَهُمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَانٍ

● ● اللطيفُ

وَهُوَ اللَّطِيفُ بَعْبِدِهِ وَلِعَبْدِهِ وَاللَّطْفُ فِي أَوْصَافِهِ نَوْعَانِ
إِدْرَاكَ أَسْرَارِ الْأُمُورِ بِخَبْرَةٍ وَاللُّطْفُ عِنْدَ مَوَاقِعِ الْإِحْسَانِ
فَرِيكَ عِزَّتَهُ وَيُبْدِي لُطْفَهُ وَالْعَبْدُ فِي الْغَفَلَاتِ عَنْ ذَا الشَّانِ

● ● الرفيقُ

وَهُوَ الرَّفِيقُ يُحِبُّ أَهْلَ الرَّفَقِ بَلْ يُعْطِيهِمْ بِالرَّفَقِ فَوْقَ أَمَانٍ

● ● القريبُ

وَهُوَ الْقَرِيبُ وَقُرْبُهُ الْمُخْتَصُّ بِالذِّدَاعِي وَعَابِدِهِ عَلَى الْإِيمَانِ

● ● المجيبُ

وَهُوَ الْمُجِيبُ يَقُولُ مَنْ يَدْعُو أُجِبْ هُوَ أَنَا الْمُجِيبُ لِكُلِّ مَنْ نَادَانِي
وَهُوَ الْمُجِيبُ لِدَعْوَةِ الْمُضْطَرِّ إِذَا يَدْعُوهُ فِي سِرِّهِ فِي إِعْلَانٍ

● ● الجوادُ

وَهُوَ الْجَوَادُ فَجُودُهُ عَمَّ الْوُجُودَ دَجَمِيعُهُ بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَهُوَ الْجَوَادُ فَلَا يُجِيبُ سَائِلًا وَلَوْ أَنَّهُ مِنْ أُمَّةِ الْكُفْرَانِ

● ● المغيثُ

وَهُوَ الْمُغِيثُ لِكُلِّ خَلْقَاتِهِ وَكَذَا يُجِيبُ إِغَاثَةَ اللَّهْفَانِ

• • الودود

وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ
أَحِبَّائِهِ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ
وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ الْمَحَبَّةَ فِي قُلُوبِهِمْ
وَجَارَاهُمْ بِحُبِّ ثَانٍ
هَذَا هُوَ الْإِحْسَانُ حَقًّا لَا مُعَا
وَضَةً وَلَا لِتَوَقُّعِ الشُّكْرَانِ
لَكِنْ يُحِبُّ شُكُورَهُمْ وَشُكُورَهُمْ
لَا لاحتِاجٍ مِنْهُ لِلشُّكْرَانِ

• • الشكور

وَهُوَ الشَّكُورُ فَلَنْ يُضَيِّعَ سَعْيَهُمْ
لَكِنْ يَضَاعِفُهُ بِلا حُسْبَانٍ
مَا لِلْعِبَادِ عَلَيْهِ حَقٌّ وَاجِبٌ
هُوَ أَوْجَبَ الْأَجَرَ الْعَظِيمَ الشَّانِ
كَلاَّ وَلَا عَمَلٌ لَدَيْهِ ضَائِعٌ
إِنْ كَانَ بِالْإِحْسَانِ
إِنْ عَذَّبُوا فَيُعْذِلْهُ أَوْ نَعَمُوا
فَيَفْضِلْهُ وَالْحَمْدُ لِلرَّحْمَنِ

• • الغفور

وَهُوَ الْغُفُورُ فَلَوْ أَتَى بِقُرَابِهَا
مِنْ غَيْرِ شَرِكٍ بَلْ مِنَ الْعِصْيَانِ
لَأَقَاهُ بِالْغُفْرَانِ مِلءَ قُرَابِهَا
سُبْحَانَهُ هُوَ وَاسِعُ الْغُفْرَانِ

• • التواب

وَكَذَلِكَ التَّوَابُ مِنْ أَوْصَافِهِ
وَالْتَّوَابُ فِي أَوْصَافِهِ نَوَعَانِ
إِذَنْ بِتَوْبَةٍ عَبْدِهِ وَقَبُولَهَا
بَعْدَ التَّوَابِ بِمَنْةِ الْمَنَّانِ

• • الإله السيد الصمد

وَهُوَ الْإِلَهُ السَّيِّدُ الصَّمَدُ الَّذِي
صَمَدَتْ إِلَيْهِ الْخَلْقُ بِالْإِذْعَانِ

الكَامِلُ الْأَوْصَافِ مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ وَكَمَالُهُ مَا فِيهِ مِنْ نُقْصَانٍ

• • القهارُ

وَكَذَلِكَ الْقَهَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ فَالْخَلْقُ مَقْهُورُونَ بِالسُّلْطَانِ

• • الحيُّ العزيزُ القادرُ

لَوْ لَمْ يَكُنْ حَيًّا عَزِيزًا قَادِرًا مَا كَانَ مِنْ قَهْرٍ وَلَا سُلْطَانٍ

• • الجبارُ

وَكَذَلِكَ الْجَبَّارُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالْجَبْرُ فِي أَوْصَافِهِ قِسْمَانِ

جَبْرُ الضَّعِيفِ وَكُلُّ قَلْبٍ قَدْ عَدَا ذَا كَسْرَةٍ فَالْجَبْرُ مِنْهُ دَانٍ

الثَّانِي جَبْرُ الْقَهْرِ بِالْعِزِّ الَّذِي لَا يَنْبَغِي لِسِوَاهُ مِنْ إِنْسَانٍ

وَلَهُ مُسَمًّى ثَالِثٌ وَهُوَ الْعُلُوُّ فَلَيْسَ يَدْنُو مِنْهُ مِنْ إِنْسَانٍ

مِنْ قَوْلِهِمْ جَبَّارَةٌ لِلنَّخْلَةِ الـ عُلْيَا الَّتِي فَاتَتْ لِكُلِّ بَنَانٍ

• • الحسيبُ

وَهُوَ الْحَسِيبُ كِفَايَةً وَحِمَايَةً وَالْحَسْبُ كَافِي الْعَبْدِ كُلِّ أَوَانٍ

• • الرشيدُ

وَهُوَ الرَّشِيدُ فَقَوْلُهُ وَفِعَالُهُ رُشْدٌ وَرَبُّكَ مُرْشِدُ الْحَيْرَانِ

وَكِلَاهُمَا حَقٌّ فَهَذَا وَضَمُّهُ وَالْفِعْلُ لِلإِزْشَادِ ذَاكَ الثَّانِي

• • العدلُ

وَالْعَدْلُ مِنْ أَوْصَافِهِ فِي فِعْلِهِ وَمَقَالِهِ وَالْحُكْمُ بِالْمِيزَانِ

فَعَلَى الصُّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ إِنْهَا قَوْلًا وَفِعْلًا ذَاكَ فِي الْقُرْآنِ

• • القدوسُ

هَذَا وَمِنْ أَوْصَافِهِ الْقُدُّوسُ ذُو التَّنْزِيهِ بِالتَّعْظِيمِ لِلرَّحْمَنِ

• • السلامُ

وَهُوَ السَّلَامُ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَالِمٌ مِنْ كُلِّ تَمْثِيلٍ وَمِنْ نُقْصَانٍ

• • البرُّ

وَالْبِرُّ فِي أَوْصَافِهِ سُبْحَانَهُ هُوَ كَثْرَةُ الْخَيْرَاتِ وَالْإِحْسَانِ
صَدَرَتْ عَنِ الْبِرِّ الَّذِي هُوَ وَصَفُهُ فَالْبِرُّ حَيْثُ ذَلَّ لَهُ نَوْعَانِ
وَصَفٌّ وَفِعْلٌ فَهُوَ بَرٌّ مُحْسِنٌ مُوَلِّي الْجَمِيلِ وَذَائِمُ الْإِحْسَانِ

• • الوَهَّابُ

وَكَذَلِكَ الْوَهَّابُ مِنْ أَسْمَائِهِ فَانْظُرْ مَوَاهِبَهُ مَدَى الْأَزْمَانِ
أَهْلُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى وَالْأَرْضِ عَنْ تِلْكَ الْمَوَاهِبِ لَيْسَ يَنْفَكَّانِ

• • الْفَتَّاحُ

وَكَذَلِكَ الْفَتَّاحُ مِنْ أَسْمَائِهِ وَالْفَتْحُ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
فَتْحٌ بِحُكْمٍ وَهُوَ شَرْعُ إِلَهِنَا وَالرَّبُّ فَتَّاحٌ بِذَيْنِ كِلَيْهِمَا
عَدْلًا وَإِحْسَانًا مِنَ الرَّحْمَنِ

• • الرِّزَّاقُ

وَكَذَلِكَ الرِّزَّاقُ مِنْ أَوْصَافِهِ وَالرِّزْقُ مِنْ أَعْمَالِهِ نَوْعَانِ
رِزْقٌ عَلَى يَدِ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ نَوْعَانِ أَيْضًا ذَانِ مَعْرُوفَانِ

رَزَقُ الْقُلُوبِ الْعِلْمُ وَالْإِيمَانُ وَالرَّزْقُ هُوَ الرِّزْقُ الْحَلَالُ وَرَبُّنَا
وَالثَّانِي سَوَّقُ الْقُوَّةِ لِلْأَعْضَاءِ فِي
هَذَا يَكُونُ مِنَ الْحَلَالِ كَمَا يَكُونُ
وَاللَّهُ رَازِقُهُ بِهَذَا الْاِعْتَبَا

رُزْقُ الْمَعْدَّةِ هَٰذِهِ الْأَبْدَانِ
رَزَاقُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَانِ
تِلْكَ الْمَجَارِي سَوَّقُهُ بِوَازَانِ
نُ مِنْ الْحَرَامِ كِلَاهُمَا رِزْقَانِ
رِ وَلَيْسَ بِالْإِطْلَاقِ دُونَ بَيَانِ

• • القيومُ

هَذَا وَمَنْ أَوْصَافِهِ الْقَيُّومُ وَالْإِحْدَاهُمَا الْقَيُّومُ قَامَ بِنَفْسِهِ
فَالأَوَّلُ اسْتِغْنَاؤُهُ عَنْ غَيْرِهِ
وَالْوَصْفُ بِالْقَيُّومِ دُونَ شَأْنٍ

قَيُّومٌ فِي أَوْصَافِهِ أَمْرَانِ
وَالْكُونُ قَامَ بِهِ هُمَا الْأَمْرَانِ
وَالْفَقْرُ مِنْ كُلِّ إِلَيْهِ الثَّانِي
كَذَا مَوْصُوفُهُ أَيْضًا عَظِيمُ الشَّانِ

• • الحيُّ القيومُ

وَالْحَيُّ يَتْلُوهُ فَأَوْصَافُ الْكَمَا
فَالْحَيُّ وَالْقَيُّومُ لَنْ تَتَخَلَّفَ الْ

لِ هُمَا الْأَفْقِ سَمَائِهَا قُطْبَانِ
أَوْصَافُ أَصْلًا عَنْهُمَا بَيَانِ

• • القابضُ الباسطُ الخافضُ الرافعُ

هُوَ قَابِضٌ هُوَ بَاسِطٌ هُوَ خَافِضٌ
هُوَ رَافِعٌ بِالْعَدْلِ وَالْمِيزَانِ

• • المعزُّ المذلُّ

وَهُوَ الْمِعْزُ لِأَهْلِ طَاعَتِهِ وَذَا
وَهُوَ الْمِذْلُ لِمَنْ يَشَاءُ بِذِلَّةِ الدَّ

عِزُّ حَقِيقَتِي بِلَا بُطْلَانِ
رَيْنِ ذُلُّ شَقَا وَذُلُّ هَوَانِ

• المعطي المانع •

هُوَ مَانِعٌ مُعْطٍ فَهَذَا فَضْلُهُ وَالْمَنَعُ عَيْنُ الْعَدْلِ لِلْمَنَانِ
يُعْطِي بِرَحْمَتِهِ وَيَمْنَعُ مَنْ يَشَاءُ بِحِكْمَتِهِ وَاللَّهُ ذُو سُلْطَانٍ

• النور •

وَالنُّورُ مِنْ أَسْمَائِهِ أَيْضًا وَمَنْ أَوْصَافِهِ سُبْحَانَ ذِي الْبُرْهَانِ
قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ كَلَامًا قَدْ حَكَاهُ هُ الدَّارِمِيُّ عَنْهُ بِلَا نُكْرَانِ
مَا عِنْدَهُ لَيْلٌ يَكُونُ وَلَا نَهَارٌ رُ قُلْتُ تَحْتَ الْفُلْكِ يُوجَدُ ذَانِ
نُورُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى مِنْ نُورِهِ وَالْأَرْضِ كَيْفَ النَّجْمِ وَالْقَمَرَانِ
مِنْ نُورٍ وَجْهَ الرَّبِّ جَلَّ جَلَالُهُ وَكَذَا حَكَاهُ الْحَافِظُ الطَّبْرَانِي
فِيهِ اسْتَنَارَ الْعَرْشُ وَالْكُرْسِيُّ مَعَهُ سَبْعِ الطِّبَاقِ وَسَائِرِ الْأَكْوَانِ
وَكِتَابُهُ نُورٌ كَذَلِكَ شَرَعُهُ نُورٌ كَذَا الْمَبْعُوثُ بِالْفُرْقَانِ
وَكَذَلِكَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِ الْفَتَى نُورٌ عَلَى نُورٍ مَعَ الْقُرْآنِ
وَحِجَابُهُ نُورٌ فَلَوْ كَشَفَ الْحِجَابَ بَ لِأَحْرَقَ السُّبْحَاتُ لِلْأَكْوَانِ
وَإِذَا أَتَى لِلْفَضْلِ يُشْرِقُ نُورُهُ فِي الْأَرْضِ يَوْمَ قِيَامَةِ الْأَبْدَانِ
وَكَذَاكَ دَارُ الرَّبِّ جَنَّاتُ الْعُلَى نُورٌ تَلَالُأُ لَيْسَ ذَا بَطْلَانِ
وَالنُّورُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْلُوقٌ وَوَضَعُ فَمَا هُمَا وَاللَّهُ مُتَّحِدَانِ
وَكَذَلِكَ الْمَخْلُوقُ ذُو نَوْعَيْنِ مَخْ سُوسٌ وَمَعْقُولٌ هُمَا شَيْئَانِ
أَحْذَرُ تَزَلَّ فَتَحْتَ رِجْلِكَ هُوَّةٌ كَمْ قَدْ هَوَى فِيهَا عَلَى الْأَزْمَانِ

فَهَوَىٰ إِلَى قَعْرِ الْحَضِيضِ الدَّانِي	مِنْ عَابِدٍ بِالْجَهْلِ زَلَّتْ رِجْلُهُ
دَهْ ظَنَّهَا الْأَنْوَارَ لِلرَّحْمَنِ	لَا حَتَّ لَهُ أَنْوَارُ أَثَارِ الْعِبَا
مَا شِئْتَ مِنْ شَطْحٍ وَمِنْ هَذْيَانٍ	فَأَتَى بِكُلِّ مُصِيبَةٍ وَبَلِيَّةٍ
مِنْ هَهْنَا حَقًّا هُمَا أَخَوَانٍ	وَكَذَا الْحُلُوبِيُّ الَّذِي هُوَ خَدْنُهُ
حُجِبَ الْكَثِيفَةُ مَا هُمَا سَيَّانٍ	وَيُقَابِلُ الرَّجُلَيْنِ ذُو التَّعْطِيلِ وَالـ
وَيُظْلَمَةُ التَّعْطِيلِ هَذَا الثَّانِي	ذَا فِي كَثَافَةِ طَبْعِهِ وَظَلَامِهِ
هَذَا لَهُ مِنْ ظُلْمَةٍ يَرِيَانٍ ^(١)	وَالنُّورُ مَحْجُوبٌ فَلَا هَذَا وَلَا



(١) من النونية الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية لابن القيم.

٢٠٠ يا من له وجب الكمال بذاته^(١)

ابن الفرس الخزرجي

فالكُلُّ غايَةٌ فوزهم لُقياءُ
قَصُرَتْ خُطَا الألبابِ دونَ حمَاهُ
لَمَّا غَدَا مَلَأَنَ مِنْ نُعمَاهُ
مِنْ بَيْنِ أَعْلَاهُ إِلَى أَدْنَاهُ
أَنْتَ الَّذِي عَرَفْتَنَا مَعْنَاهُ
لِيُلَوِّحَ مَا أَخْفَى بِمَا أَبْدَاهُ
بِلَوَائِحٍ مِنْ فَيْضِ نَوْرِ هُدَاهُ
إِلَّا اسْتِدَامَةٌ مَا يُدِيمُ رِضَاهُ
حُرِمَ الْهُدَى مَنْ لَمْ تَكُنْ مَأْوَاهُ
إِلَّا نَحَا ظِلْمَاءَ هَابِ سَنَاهُ
إِلَّا وَتَمَّهَ إِلَى أَقْصَاهُ
إِلَّا وَأَصْبَحَ حَامِدًا عُقْبَاهُ
تَتَضَاءَلُ الْفِكَارُ دُونَ مَدَاهُ
بَهَرَ الْعُقُولَ فَحَسْبُهُ وَكَفَاهُ

يَا مَنْ لَهُ وَجَبَ الْكَمَالُ بِذَاتِهِ
أَنْتَ الَّذِي لَمَّا تَعَالَى جَدُّهُ
أَنْتَ الَّذِي امْتَلَأَ الْوُجُودُ بِحَمْدِهِ
أَنْتَ الَّذِي خَلَقَ الْوُجُودَ بِأَسْرِهِ
أَنْتَ الَّذِي خَصَّصْتَنَا بِوُجُودِنَا
سُبْحَانَ مَنْ مَلَأَ الْوُجُودَ أَدْلَةً
سُبْحَانَ مَنْ أَحْيَا قُلُوبَ عِبَادِهِ
هَلْ بَعْدَ مَعْرِفَةِ إِلَهِ زِيَادَةٍ
وَاللَّهِ لَا أَوْيَ لَغَيْرِكَ إِنَّهُ
مَوْلَايَ أَنْسُكَ لَمْ يَدْعُ لِي وَحِشَةً
مَوْلَايَ جُودُكَ لَمْ يَدْعُ لِي مَطْلَبًا
لَمْ يَنْقَطِعْ أَحَدٌ إِلَيْكَ مُحِبَّةً
عَجَزَ الْأَنَامُ مِنْ إِمْتِدَاحِكَ إِنَّهُ
مَنْ كَانَ يَعْرِفُ أَنَّكَ الْحَقُّ الَّذِي

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص: ٩٢-٩٣).

3•• أتيته راجياً يا ذا الجلال^(١)

أبو إسحاق الألبيري

أَتَيْتُكَ رَاجِئاً يَا ذَا الْجَلَالِ	فَفَرَّجْ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي
عَصَيْتُكَ سَيِّدِي وَيْلِي بِجَهْلِي	وَعَيْبُ الذَّنْبِ لَمْ يَخْطُرْ بِيَالِي
إِلَى مَنْ يَشْتَكِي الْمَمْلُوكُ إِلَّا	إِلَى مَوْلَاهُ يَا مَوْلى الْمَوَالِي
لَعَمْرِي لَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي	وَلَمْ أُغْضِبْكَ فِي ظُلْمِ اللَّيَالِي
فَهَا أَنَا عَبْدُكَ الْعَاصِي فَقِيرٌ	إِلَى رُحْمَاكَ فَاقْبَلْ لِي سُؤَالِي
فَإِنْ عَاقَبْتَ يَا رَبِّي تُعَاقِبْ	مُحَقَّقًا بِالْعَذَابِ وَبِالنَّكَالِ
وإن تَعْفُو فَعَفُوكَ قَدْ أَرَانِي	لِأَفْعَالِي وَأَوْزَارِي الثَّقَالِ



(١) ديوان أبي إسحاق الألبيري (ص: ١١٠).

④• إلهي وخالقي

لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْجُودِ وَالْمَجْدِ وَالْعُلَا
تَبَارَكَتْ تُعْطِي مَنْ تَشَاءُ وَتَمْنَعُ
إِلَهِي وَخَلَّاقِي وَحَرَزِي^(١) وَمُوْتَلِي^(٢)
إِلَيْكَ لَدَى الْإِعْسَارِ وَالْيُسْرِ أَفْرَعُ
إِلَهِي لِيْنِ جَلَّتْ وَجَمَّتْ خَطِيئَتِي
فَعَفُوكَ عَن ذَنْبِي أَجَلُّ وَأَوْسَعُ
إِلَهِي لِيْنِ أَعْطَيْتَ نَفْسِي سُؤَالَهَا
فَهَا أَنَا فِي أَرْضِ النَّدَامَةِ أَرْتَعُ
إِلَهِي تَرَى حَالِي وَفَقْرِي وَفَاقَتِي
وَأَنْتَ مُنَاجَاتِي الْخَفِيَّةَ تَسْمَعُ
إِلَهِي فَلَا تَقْطَعْ رَجَائِي وَلَا تُزِغْ
فُؤَادِي فُلِي فِي سَبَبِ^(٣) جُودِكَ مَطْمَعُ
إِلَهِي لِيْنِ خِيْبَتِي أَوْ طَرَدْتَنِي
فَمَنْ ذَا الَّذِي أَرْجُو وَمَنْ لِي يَشْفَعُ

(١) الحرز: ما يتقى به المهلك.

(٢) الموْتَل: الملجأ والملاذ.

(٣) سب: عطاء.

إلهي أَجِرْني من عَذَابِكَ إِنِّي
 أَسِيرٌ ذَلِيلٌ خَائِفٌ لَكَ أَخْضَعُ
 إلهي فَأَنْسِنِي بِتَلْقِينِ حُجَّتِي
 إِذَا كَانَ لِي فِي الْقَبْرِ مَثْوًى وَمَضْجَعُ
 إلهي لَئِنْ عَذَّبْتَنِي أَلْفَ حِجَّةٍ
 فَجَبَلُ رَجَائِي مِنْكَ لَا يَتَقَطَّعُ
 إلهي أَذِقْنِي طَعْمَ عَفْوِكَ يَوْمَ لَا
 بَنُونَ وَلَا مَالٌ هُنَالِكَ يَنْفَعُ
 إلهي إِذَا لَمْ تَرْعَنِي ^(١) كُنْتُ ضَائِعًا
 وَإِنْ كُنْتَ تَرْعَانِي فَلَسْتُ أَضِيعُ
 إلهي إِذَا لَمْ تَعْفُ عَنْ غَيْرِ مُحْسِنٍ
 فَمَنْ لُمَسِيَءٍ بِالْهَوَى يَتَمَتَّعُ
 إلهي لَئِنْ فَرَّطْتُ فِي طَلَبِ التَّقَى
 فَهَا أَنَا إِثْرُ الْعَفْوِ أَقْفُو وَأَتَّبِعُ
 إلهي لَئِنْ أَخْطَأْتُ جَهْلًا فَطَامَا
 رَجَوْتُكَ حَتَّى قِيلَ هَا هُوَ يَجْزَعُ

(١) ترعني: تحفظني.

إلهي ذنوبي جازت الطود^(١) واعتلت
وصفحك عن ذنبي أجل وأرفع
إلهي يُنحي ذكر طورك^(٢) لو عتي
وذكر الخطايا العين مني تدمع
إلهي أنلني منك روحاً ورحمةً
فلست سوى أبواب فضلك أفرع
إلهي لئن أقصيتني أو طردتني
فما حيلتي يا رب أم كيف أضنع؟
إلهي حليف الحب بالليل ساهر
يُنادي ويدعو والمغفل يهجع
وكلهم يرجون نوالك راجياً
لرحمتك العظمى وفي الخلد يطمع
إلهي يُمنّني رجائي سلامةً
وقبح خطيئاتي عليّ يُشيع
إلهي فانشُرني على دين أحمدٍ
تقيّاً نقياً قانتاً لك أخشع^(٣)

(١) الطود: الجبل.

(٢) طورك: فضلك وإحسانك.

(٣) ديوان علي بن أبي طالب (ص: ٧٨-٨٠).

٥٠٠ هو الله^(١)علي بن أبي طالب عليه السلام

لَكَ الْحَمْدُ وَالنَّعْمَاءُ وَالْمُلْكُ رَبَّنَا
 مَلِكٌ عَلَى عَرْشِ السَّمَاءِ مُهَيَّمٌ
 فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَقْدُرُ الْخَلْقُ قَدْرَهُ
 وَمَنْ لَمْ تُنَازِعْهُ الْخَلَائِقُ مُلْكَهُ
 مَلِكُ السَّمَاوَاتِ الشَّدَادِ وَأَرْضِهَا
 هُوَ اللَّهُ بَارِي الْخَلْقِ، وَالْخَلْقُ كُلُّهُمْ
 وَأَنْتَ يَكُونُ الْخَلْقُ كَالْخَالِقِ الَّذِي
 تُسَبِّحُهُ الطَّيْرُ الْجَوَانِحُ فِي الْخَفَا
 وَمَنْ خَوْفِ رَبِّ سَبَّحَ الرَّعْدُ فَوْقَنَا
 وَلَا شَيْءَ أَعْلَا مِنْكَ مَجْدًا وَأَجْدُ
 لِعِزَّتِهِ تَعْنُو الْوُجُوهُ وَتَسْجُدُ
 وَمَنْ هُوَ فَوْقَ الْعَرْشِ فَرْدٌ مُوَحَّدُ
 وَإِنْ لَمْ تُفَرِّدْهُ الْعِبَادُ فَمُفَرَّدُ
 وَلَيْسَ بِشَيْءٍ عَنْ قَضَائِهِ تَأْوُدُ
 إِمَاءٌ لَهُ طَوْعًا جَمِيعًا وَأَعْبُدُ
 يُمِيتُ وَيُحْيِي دَائِبًا لَيْسَ يَهْمُدُ
 وَإِذْ هِيَ فِي جَوْ السَّمَاءِ تُصْعَدُ
 وَسَبَّحَهُ الْأَشْجَارُ وَالْوَحْشُ أَبَدُ



(١) رائق الزهرة: لأبي داود الأصبهاني (١٤٦/١)، والشعر منسوب لأمية بن أبي الصلت.

٥٠ يا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ

السهلي

يا مَنْ يَرَى مَا فِي الضَّمِيرِ وَيَسْمَعُ
يا مَنْ يُرْجَى لِلشَّدَائِدِ كُلِّهَا
يا مَنْ خَزَائِنُ مُلْكِهِ فِي قَوْلِ كُنْ
ما لي سِوَى فَقْرِي إِلَيْكَ وَسِيلَةٌ
ما لي سِوَى قَرْعِي لِبَابِكَ حِيلَةٌ
وَمَنْ الَّذِي أَدْعُو وَأَهْتَفُ بِاسْمِهِ
حَاشَا لِمَجْدِكَ أَنْ تُقْنِطَ عَاصِيًا
أَنْتَ الْمَعْدُّ لِكُلِّ مَا يُتَوَقَّعُ
يا مَنْ إِلَيْهِ الْمُشْتَكَى وَالْمَفْزَعُ
أَمْنٌ فَإِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَكَ أَجْمَعُ
فَبِالافتِقَارِ إِلَيْكَ فَقْرِي أَذْفَعُ
فَلَمَّا رُدِدْتُ فَأَيَّ بَابٍ أَقْرَعُ
إِنْ كَانَ فَضْلُكَ عَنْ فَقِيرٍ يُمْنَعُ؟^(١)
فَالْفَضْلُ أَجْزَلُ وَالْمَوَاهِبُ أَوْسَعُ^(١)

■ ■ ■

700 عفوكم اللهم

الشافعي

حَدَّثَ الْمَرْثِيُّ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى الشَّافِعِيِّ فِي مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ فَقُلْتُ: كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ قَالَ: أَصْبَحْتُ مِنَ الدُّنْيَا رَاحِلًا، وَلِلْإِخْوَانِ مَفَارِقًا، وَلِلْكَأْسِ الْمُنِيَةِ شَارِبًا، وَعَلَى اللَّهِ - جَلَّ ذِكْرُهُ - وَارِدًا، وَلَا وَاللَّهِ مَا أَدْرِي رُوحِي تَصِيرُ إِلَى الْجَنَّةِ أَمْ إِلَى النَّارِ؟ ثُمَّ بَكَى وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

إِلَيْكَ إِلَهَ الْخَلْقِ أَرْفَعُ رَغْبَتِي
وَلَمَّا قَسَا قَلْبِي وَضَاقَتْ مَذَاهِبِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَلَمَّا قَرَنْتُهُ
فَمَا زِلْتُ ذَا عَفْوٍ عَنِ الذَّنْبِ لَمْ تَزَلْ
فَلَوْلَاكَ لَمْ يَصُمُدْ لِابْلِيسَ عَابِدُ
فِيَا لَيْتَ شِعْرِي هَلْ أَصِيرُ لَجَنَّةٍ
فَلَيْلَهُ دُرُّ الْعَارِفِ الذَّنْبِ إِنَّهُ
يُقِيمُ إِذَا مَا اللَّيْلُ مَدَّ ظِلَامَهُ
فَصِيحًا إِذَا مَا كَانَ فِي ذِكْرِ رَبِّهِ
وَيَذْكُرُ أَيَّامًا مَضَتْ مِنْ شَبَابِهِ
فَصَارَ قَرِينَ الْهَمِّ طَوَّلَ نَهَارِهِ
وَإِنْ كُنْتُ يَا ذَا الْمُنِّ وَالْجُودِ مَجْرَمًا
جَعَلْتُ الرَّجَاءَ مِنِّي لِعَفْوِكَ سُلَّمًا
بِعَفْوِكَ رَبِّي كَانَ عَفْوُكَ أَعْظَمًا
تُجُودُ وَتَعْفُو مِنَّةً وَتَكْرُمًا
فَكَيْفَ وَقَدْ أَغْوَى صَفِيكَ آدَمًا
أَهْنَا وَإِنَّمَا لِلْسَّعِيرِ فَاثِمًا
تَفِيضُ لِفَرْطِ الْوَجْدِ أَجْفَانُهُ دَمًا
عَلَى نَفْسِهِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ مَائِمًا
وَفِي مَا سِوَاهُ فِي الْوَرَى كَانَ أَعْجَمًا
وَمَا كَانَ فِيهَا بِالْجَهَالَةِ أَجْرَمًا
أَخَا الشَّهْدِ^(١) وَالنَّجْوَى إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمًا

(١) الشَّهْد: قلة النوم.

كَفَى بِكَ لِلرَّاجِينَ سُؤلاً وَمَغْنِماً
وَيَسْتُرُ أَوْزَارِي وَمَا قَدْ تَقَدَّمَا
وَلَوْلَا الرِّضَا مَا كُنْتُ يَا رَبِّ مُنْعِمَا
ظُلُومٍ غَشُومٍ لَا يَزِيلُ مَاثِمَا
وَلَوْ أَدْخَلُوا نَفْسِي بُجْرَمٍ جَهَنَّمَا
وَعَفْوُكَ يَا بَدِيعُ الْعَالَمِينَ وَأَجْسَمَا
وَنُورُكَ مِنَ الرَّحْمَنِ يَفْتَرِشُ السَّمَا
إِذَا قَارَبَ الْبُشْرَى وَجَازَ إِلَى الْحَمَى
يَطَالِعُنِي فِي ظِلْمَةِ الْقَبْرِ أَنْجُمَا
وَأَحْفَظُ عَهْدَ الْحَبِّ أَنْ يَتَثَلَّمَا
تَلَاحِقُ خَطُوبِي نَشْوَةٌ وَتَرْثُمَا
وَمَنْ يَرْجُو هِيَهَاتَ أَنْ يَتَنَدَّمَا^(١)

يَقُولُ حَبِيبِي أَنْتَ سُؤْلِي وَبُغْيَتِي
عَسَى مِنْ لَدُنْكَ الْإِحْسَانُ يَغْفِرُ زَلَّتِي
تَعَاظَمَنِي ذَنْبِي فَأَقْبَلْتُ خَاشِعَا
فَإِنْ تَعَفَّ عَنِّي تَعَفُّ عَنْ مُتَمَرِّدٍ
وَإِنْ تَسْتَقِدَّ مِنِّي فَلَسْتُ بِأَيْسٍ
فَجُرْمِي عَظِيمٌ مِنْ قَدِيمٍ وَحَادِثٍ
حَوَالِي فَضْلُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ
وَفِي الْقَلْبِ إِشْرَاقُ الْمَحَبِّ بِوَصْلِهِ
حَوَالِي إِيْنَاسٌ مِنَ اللَّهِ وَحَدَهُ
أَصُونُ وَدَادِي أَنْ يُدْنِسَهُ الْهَوَى
فَنَفِي يَقْطَعُنِي شَوْقٌ وَفِي عَفْوَتِي مُنَى
وَمَنْ يَعْصِمُ بِاللَّهِ يَسْلَمْ مِنَ الْوَرَى

■ ■ ■

⑧ لك الحمد

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَسْتَلْذُّ بِهِ ذِكْرًا
 وَإِنْ كُنْتُ لَا أَحْصِي ثَنَاءً وَلَا شُكْرًا
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا يَمْلَأُ السَّمَاءَ
 وَأَقْطَارَهَا وَالْأَرْضَ وَالْبَحْرَ وَالْبَحْرَيْنِ
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا سَرْمَدِيًّا مُبَارَكًا
 يَقِلُّ مِدَادُ الْبَحْرِ عَنْ كُنْهِهِ حَضْرًا
 لَكَ الْحَمْدُ تَعْظِيمًا لَوْجْهِكَ قَائِمًا
 بِحَقِّكَ فِي السَّرَّاءِ مِنْ فِي الضَّرِّاءِ
 لَكَ الْحَمْدُ مَقْرُونًا بِشُكْرِكَ دَائِمًا
 لَكَ الْحَمْدُ فِي الْأَوَّلَى لَكَ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَى
 لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا طَيِّبًا أَنْتَ أَهْلُهُ
 عَلَى كُلِّ حَالٍ يَشْمَلُ السِّرَّ وَالْجَهْرَ
 لَكَ الْحَمْدُ مَوْضُوعًا بِغَيْرِ نِهَائَةٍ
 وَأَنْتَ إِلَهِي مَا أَحَقُّ وَمَا أُخْرَى
 لَكَ الْحَمْدُ يَا ذَا الْكِبَرِيَاءِ وَمَنْ يَكُنْ
 بِحَمْدِكَ ذَا شُكْرٍ فَقَدْ أَخْرَزَ الشُّكْرَ

لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا لَا يُعَدُّ لِحَاصِرٍ
أُخْجِصِي الْحَصَى وَالنَّبْتَ وَالرَّمْلَ وَالْقَطْرَا
لَكَ الْحَمْدُ أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً عَلَى
لَطَائِفِ مَا أَحَلَّى لَدَيْنَا وَمَا أَمُرَا
لَكَ الْحَمْدُ مَا أَوْلَاكَ بِالْحَمْدِ وَالشَّنَا
عَلَى نَعَمٍ أَتَبَعَتْهَا نِعَمًا تَتَرَى
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا أَنْتَ وَفَّقْتَنِي لَهُ
وَعَلَّمْتَنِي مِنْ حَمْدِكَ النِّظَمَ وَالنَّشْرَا
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا نَبْتَغِيهِ وَسِيلَةً
إِلَيْكَ لِتَجِدِدَ اللَّطَائِفَ وَالْبُشْرَى
لَكَ الْحَمْدُ كَمْ قَلَّدْتَنَا مِنْ صَنِيعَةٍ
وَأَبْدَلْتَنَا بِالْعُسْرِ يَا سَيِّدِي يُسْرَا
لَكَ الْحَمْدُ كَمْ مِنْ عَثْرَةٍ قَدْ أَقْلَلْتَنِي
وَمِنْ زَلَّةٍ أَلْبَسْتَنَا مَعَهَا سِتْرَا
لَكَ الْحَمْدُ كَمْ خَصَّصْتَنِي وَرَفَعْتَنِي
عَلَى نُظْرَائِي مِنْ بَنِي زَمَنِي قَدْرَا
لَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا فِيهِ وَرَدِّي وَمَشْرَعِي
إِذَا خَابَتِ الْأُمَالُ فِي السَّنَةِ الْغُبْرَا

لك الحمد حمداً ينسخ الفقر بالغنى
 إذا خفتُ يا مَوْلَايَ بعدَ الغنى فقراً
 إلهي تغمَّدني برحمتك التي
 وسعت وأوسعت البرايا بها برّاً
 وقوِّ بروح منك ضعفي وهمتي
 على الحقِّ واغفر زلّتي واقبل العذرا
 فلإني من تدبير حالي وحيلتي
 إليك ومن حولي ومن قوِّي أبرّاً

عمر بهاء الأميري

مَعَ اللَّهِ فِي لَمَحَاتِ الْبَصَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي نَبْضَاتِ الْبَهْرِ^(١)
مَعَ اللَّهِ فِي خَلْجَاتِ الْأُخْرَى
مَعَ اللَّهِ عِنْدَ امْتِدَادِ السَّهْرِ
وَنَيْلِ الْمُنَى وَالْهَنَاءِ الْأَعْرَى
وَوَقْعِ الْأَذَى وَاحْتِدَامِ الْخَطَرِ
مَعَ اللَّهِ بِالصَّبْرِ فَيَمُنْ صَبْرٌ
مَعَ اللَّهِ وَالنَّفْسُ تَشْكُو الضَّجَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ خَيْرٍ وَشَرٍ
مَعَ اللَّهِ فِي غَدِي الْمُنْتَظَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي الضَّعْفِ عِنْدَ الْكِبَرِ
وَمَا بَعْدَهَا، عِنْدَ سُكْنَى الْحَفَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي عَوْدِنَا مِنْ سَقَرِ

مَعَ اللَّهِ فِي سُبُحَاتِ الْفِكْرِ
مَعَ اللَّهِ فِي زَفَرَاتِ الْحَشَا
مَعَ اللَّهِ فِي رَعَشَاتِ الْهَوَى
مَعَ اللَّهِ فِي مُطْمَئِنَّ الْكَرَى^(٢)
مَعَ اللَّهِ أَنْ اجْتِلَاءِ السَّنَا^(٣)
مَعَ اللَّهِ حَالَ اتِّقَادِ الْأَسَى
مَعَ اللَّهِ فِي حَمَلِ عِبَاءِ الضَّنَى
مَعَ اللَّهِ وَالْقَلْبُ فِي نَشْوَةِ
مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ بُؤْسَى وَنُعْمَى
مَعَ اللَّهِ فِي أَمْسِي الْمُنْقَضِي
مَعَ اللَّهِ فِي عُنُقِ الْوَانِ الصَّبَا
مَعَ اللَّهِ قَبْلَ حَيَاتِي وَفِيهَا
مَعَ اللَّهِ فِي فَيْءٍ^(٤) فِرْدَوْسِهِ

(١) البهر: ما يعتري الإنسان عند السعي الشديد والعدو من النهج وتتابع النفس.

(٢) الكرى: النوم.

(٣) السنا: الضوء.

(٤) فيء: هو الظل.

مَعَ اللَّهِ فِي نَبَذِ مَا قَدْ نَهَى
مَعَ اللَّهِ فِي الْجِدِّ مِنْ أَمْرِنَا
مَعَ اللَّهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي
مَعَ اللَّهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التَّقَى
مَعَ اللَّهِ فِي مُذْهِمٍ ^(١) الدُّجَى
وَحَبِّكَ ^(٢) الْغَيُومِ وَضُوءِ الْقَمَرِ
مَعَ اللَّهِ وَالشُّهْبِ كَرٍّ وَفَرٍّ
وَلَمَعِ الْبُرُوقِ وَدَفْقِ الْمَطَرِ
وَفِي الشَّمْسِ تَجْرِي إِلَى مُسْتَقَرٍّ
وَأَوْدَائِهَا وَالرَّوَايِي الْكُبَرِ
مَعَ اللَّهِ فِي سَلْسِيلِ النَّهْرِ
مَعَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَا قَدْ فَطَرَ
مَعَ اللَّهِ فِي حَرَكَاتِ الْحَجَرِ
اللَّوَاغِ تَخْطُرُ بَيْنَ الشَّجَرِ
مَعَ اللَّهِ مِلءَ نُغُورِ الزَّهْرِ

مَعَ اللَّهِ فِي نَبَذِ مَا قَدْ نَهَى
مَعَ اللَّهِ فِي الْجِدِّ مِنْ أَمْرِنَا
مَعَ اللَّهِ فِي خَلَوَاتِ اللَّيَالِي
مَعَ اللَّهِ فِي حُبِّ أَهْلِ التَّقَى
مَعَ اللَّهِ فِي مُذْهِمٍ ^(١) الدُّجَى
مَعَ اللَّهِ فِي لَأَلَاتِ النَّجُومِ
مَعَ اللَّهِ وَالشَّمْسِ تَكْسُو الدُّنَى
مَعَ اللَّهِ عِنْدَ هَزِيمِ الرُّعُودِ
مَعَ اللَّهِ فِي الْفَلَكَ الْمُسْتَطِيرِ
مَعَ اللَّهِ فِي الْأَرْضِ فِي سَهْلِهَا
مَعَ اللَّهِ فِي الْبَحْرِ مِلْحُ أَجَاغٍ
مَعَ اللَّهِ فِي نَأْمَاتٍ ^(٣) الْوُجُودِ
مَعَ اللَّهِ فِي سَكَنَاتِ الْحَيَاةِ
مَعَ اللَّهِ فِي نَسَمَاتِ الرِّيَّاحِ
مَعَ اللَّهِ فِي نَفَحَاتِ الشَّدَا

(١) مدْهِمٌ: شديد الظلمة.

(٢) حبك الغيوم: طرائقها.

(٣) نَأْمَاتُ الْوُجُودِ: أحواله الخفية.

مَعَ اللَّهِ فِي الْحَقْلِ حُلُوِ الْجَنَى
مَعَ اللَّهِ سَامِعِ صَوْتِ الدَّبِيبِ
مَعَ اللَّهِ وَالنَّحْلُ يَحْسُو الرَّجِيقَ
مَعَ اللَّهِ فِي رَفَرَفَاتِ الْفَرَاشِ
مَعَ اللَّهِ وَالطَّيْرُ تَغْدُو خِمَاصًا
مَعَ اللَّهِ فِي سَيْرِ وَحْشِ الْفَلَاةِ
مَعَ اللَّهِ يَنْفَعُ مِنْ رُوحِهِ
مَعَ اللَّهِ مَا اخْتَلَجَتْ نُطْفَةٌ
مَعَ اللَّهِ فِيمَا سَيَدْرَأُ مِنْ
مَعَ اللَّهِ مَا اخْتَلَفَتْ فِي الْأَنَامِ
مَعَ اللَّهِ مَا افْتَرَقَتْ فِي الْوَرَى
مَعَ اللَّهِ نَوَّعَ أَشْكَالَهُمْ
مَعَ اللَّهِ مَيَّزَ أَذْوَاقَهُمْ
مَعَ اللَّهِ فِي سَبْرِ كُنْهِ الْوُجُودِ
مَعَ اللَّهِ فِي عَالَمِ الْمَذَرَكَاتِ
مَعَ اللَّهِ فِيمَا بَدَأَ وَانْتَشَرَ
مَعَ اللَّهِ وَفَقَّ نَوَامِيْسِهِ

مَعَ اللَّهِ فِي الرَّوْضِ دَانِي الثَّمَرِ
مِنَ النَّمْلِ أَنَى وَأَيَّانَ مَرٍ
وَيَحْمِي جَنَاهُ بَوَخْرَ الْإِبْرِ
تَلَامَعُ فِي الشَّمْسِ مِثْلَ الدُّرِّ
وَتَنْعَمُ بِالرِّزْقِ مُنْذُ الْبُكَرِ
بِهَدْيِ الْغَرَائِزِ تَقْضِي الْوَطَرَ
عَلَى حَمٍّ أَفِيكَوْنُ الْبَشَرِ
بِرُوحِ خَفِيِّ وَمَا دَرَّ دَرٍ
نُفُوسٍ وَفِيمَا مَضَى وَانْدَثَرَ
طَبَائِعُ أَنْشَاهُمْ وَالذِّكْرُ
لُغَاهُمْ وَالْوَانِهُمُ وَالصُّوَرُ
وَحَصَّ أَنْامِلُهُمْ بِالْأَثَرِ
فَكُلُّ لَهُ فِي هَوَاهُ نَظَرُ
وَرُوحِ الْحَيَاةِ وَسِرِّ الْقَدَرِ
وَفِي الْغَيْبِ مِنْ كَائِنَاتٍ أُخْرُ
مَعَ اللَّهِ فِيمَا انْطَوَى وَاسْتَتَرَ
مَعَ اللَّهِ رَهْنِ الْقَضَا وَالْقَدَرِ

هُدَاةٌ دُعَاءٌ إِلَى مَا أُمِرَ	مَعَ اللَّهِ فِي بَعْثِهِ الْمُرْسَلِينَ
مَعَ اللَّهِ فِي آيِهِ وَالسُّورِ	مَعَ اللَّهِ فِي وَحْيِ قُرْآنِهِ
وَفِي قَصَصِ الْأُولَى الْعِبَرِ	مَعَ اللَّهِ فِي قَصَصِ الْأُولَى
فَمَا مِنْ مَلَاذٍ وَلَا مِنْ وَرَرِ	مَعَ اللَّهِ طَوْعًا مَعَ اللَّهِ سَوْقًا
يُنِيرُ بِصِيرَتِنَا وَالْبَصَرِ	مَعَ اللَّهِ وَالْفَيْضُ مِنْ قُدْسِهِ
فِرَارًا إِلَيْهِ وَنَعَمَ الْمَفَرِّ	وَيَدْفَعُ أَعْمَاقَ إِيْمَانِنَا



100 لك الأمر وحدك

للشاعر محمد العلاني

لك الأمر لا يدري عبادُك ما بيَا
لك الأمر لا للنَّاصِحِينَ ولا لِإِيَا
وهذي مَعَاذِيرِي وتلك صَحَائِفُ
عليها خَطَايَاي.. وفيها اعترَافِيَا
وفيها من الأَمْسِ الدِّفِينِ وحَاضِرِي
وفيها من الآتِي وفيها ابْتِهَالِيَا
وفيها تهاوِيلٌ.. ومهجَةُ شَاعِرٍ
ينامُ بها يَأْسًا ويضْحُو أَمَانِيَا
وفيها أعاجيبُ يَكْفُرُ هُمُّهَا
ذنوبي وإن كانتْ جِبَالًا رواسِيَا!
ونازعني شوقُ إِيْلِكَ وهَزَنِي
من الغيبِ ما يهْفُو إليه رَجَائِيَا
فجئتُ من الدنيا الأثيمةِ هَارِبًا
بصَفْوِي من أكْدارِها ونَقَائِيَا
وناديتُ أحلامِي إِيْلِكَ وخَافَقَا
تهَيَّبَ أسبابَ المُنَى والتَّهَادِيَا!

أناديك في ضَعْفٍ وأخجلُ أن تَرى
 جراحَ أمانيه ولونَ دِمَائيا
 لك الأمرُ أشواقِي ببابِكَ والمنى
 ولي أملٌ ألا يطولَ انتظارِيا
 لك الأمرُ ما لي أرنجيك فيلتوي
 لساني وأمضي بالتوسُّلِ شاكيا
 ذكرْتُكَ في نفسٍ هَذاها ضلالها
 إليك وعافْتُ وُحْدَتِي وارْتِيايا
 ومَنيتُ رُوحِي من سَناءِ بِلْمَحَةٍ
 أضْمَدُ آلَمِي بها وجِراحِيا
 تعاليتَ لم أذكرُ سِواكَ بِمِخْنَتِي
 ولم أرجُ إلا مِن يَدِكَ جَزائِيا
 وفَوَّضْتُ عن عِلْمِ إِلَيْكَ إِرَادَتِي
 وَحَسْبِي ما أَدَى إِلَيْهِ اخْتِيارِيا
 لك الأمرُ شاقَّتَنِي سِماؤُكَ وانتهى
 إِلَيْكَ بأحلامِ الضَّميرِ مَطافِيا
 وأنزلتُ آمالي وفيها ملامِحُ
 تَرَدُّ أَمامي ما تَرَكْتُ وَرَائِيا!

يُطَالِ الْعُنْيُ مِنْهَا زَمَانٌ عَرَفْتُهُ
بَرِيحٍ لِيَالِيهِ وَلَوْنٍ سُهَادِيَا!!
ضِيَاؤُكَ أَغْرَى بِالْيَقِينِ جَوَارِحِي
وَفَجَّرَ أَغْمَاقِي وَأَفْضَى بِذَاتِيَا
لَكَ الْأَمْرُ أَسْبَابُ ضِعَافٍ وَخَاطِرِي
بِبَابِكَ يَخْشَى رَجَعَتِي وَانْجَرَأِيَا
دَعْوَتُكَ مِلءَ النَّفْسِ لَا تَرَدَّهُ
مَغِيظًا وَلَا تَسْتَعِيدَ سُؤَالِيَا
وَحَاشَاكَ أَنْ تَرْضَى مَعَ النَّفْسِ مَذْهَبًا
بَغَيْرِ يَقِينٍ مِنْكَ يَهْدِي شُعَاعِيَا
لَكَ الْأَمْرُ هَذَا مِنْ يَدَيْكَ عَدَالَةٌ
وَهَذَا قَلِيلٌ فِي مَقَامِ اتِّصَالِيَا
أَتَيْتُكَ وَالْحَقُّ الصَّرِيحُ يُمَدُّنِي
إِلَيْكَ وَلَحْنُ الْبَشْرِ مِلءُ فَوَادِيَا
وَفِي النَّفْسِ فَجَرٌّ مِنْ يَقِينٍ وَمَوْكِبٌ
مِنَ الْخَيْرِ يَحْدُوهُ إِلَيْكَ وَلَائِيَا
وَفِيهَا رَجَاءٌ فَاضٌّ مِنْكَ جَلَالُهُ
وَأَفَاقُ نُورٍ يَسْتَحِيهَا ضِيَايَا

وأحببتُ حتى أسكرتني مودتي
وذابَ يميني رحمةً وشماليا
وهامتُ بآلامِ الحياةِ وسائلي
وفاضتُ على ما ليسَ مني هباتيا
وأرسلتُ أنسامي عبيراً وبهجةً
لتنفخَ أشواكَ الرُّبى والأفاعيا
وآمنتُ حتى كادَ يذهبُ خاطري
وتصعدُ أنفاساً إليك حياتيا!
ولم يبقَ حرفٌ منك إلا أسرهُ
ضميري وأبدته إليك سمائيا!!
لك الأمرُ آفاقُ تراءتُ لخواطري
وعاودني منها ديبُ شكاتيا!
وذكرني بشرُ المساءِ منازلًا
أتيتُك منها عابسَ الوجهِ داميا
أقلَّبُ أوهامي يمينًا ويُسرةً
وأرفعُ آمالًا إليك رَوَانيا!!
ينازعني ماضٍ شَرِفتُ بعذبه
وراودتُ فيه ما أشابَ النواصيا

إذا طافَ منه حوْلَ نفسي طائفٌ
ذكرتُ زماي والسنينَ الخواليَا
هناك وفي أرضٍ عليها مَلَاعِي
وأطِافُ آبائي ولغو ديارِيا
وفيها تَعَلَّاتي وراحَ مَشَارِي
وزلاتُ أهْوَائي ودمعُ مَتَائِيا
وأحلامي الموتى وذاتُ مواجِعي
وأطلالُ مأساتي ورجعُ بَلَائِيا
لك الأمرُ أهاني حديثُ أعادهُ
عليك ضَميري واستحاهِ لِسَانِيا!
وأسرفتُ في ذكرِ المساءِ ولم أَكُنْ
لأُسرفَ لولا رجفةٌ من صَبَاحِيا
لك الأمرُ نادَتْ بالرحيلِ خَوَاطِري
وهبَّتْ على نفسي رياحُ اغْتِرَابِيا
وذكرْتُها أَنَّ الشَّعابَ جَدِيدَةٌ
وَأَنَّ عليها من سَنَاك هَوَادِيا!
وَأَنَّ شَعبَ الأَمْسِ واجهتُ غَيَّها
على غيرِ إيمانٍ فكانت مَهَاوِيا!!

لك الأمرُ مالي في وداعِكَ باهتًا
ومالي أخطوُ شاحبَ النفسِ نائيا
لك الأمرُ لاحَتُ من بعيدِ مَذاهبي
وآذنَ حادِها وآنَ ارتحالِها!!
ورَفَّتْ عليها من سَناءِ مآثرُ
ورَفَّتْ عليها غَايتي وَصَلَاتِيَا
تَسَمَّتْ أمواجُ الرحيلِ وأشرَفَتْ
عَلَيَّ أمانِيهِ فَبَارِكْ شِرَاعِيَا^(١)



(١) الله أهلُ الشَّاءِ والمجد (ص: ١٦٦-١٧١).

١١٠ وايّاك لا تجعل مع الله غيره

زيد بن عمرو بن نفيل

وَقَوْلًا رَضِيًّا لَا يَنِي الدَّهْرَ بَاقِيَا
إِلَهُ وَلَا رَبَّ يَكُونُ مُدَانِيَا
فَإِنَّكَ لَا تُخْفِي مِنِ اللَّهِ خَافِيَا
فَإِنَّ سَبِيلَ الرَّشْدِ أَصْبَحَ بَادِيَا
وَأَنْتَ إِلَهِي رَبُّنَا وَرَجَائِيَا
أَدِينُ إِلَهًا غَيْرَكَ اللَّهُ ثَانِيَا
بَعَثْتَ إِلَى مُوسَى رَسُولًا مُنَادِيَا
إِلَى اللَّهِ فِرْعَوْنَ الَّذِي كَانَ طََاغِيَا
بِلَا وَتَدٍ حَتَّى اطْمَأْنَنْتَ كَمَا هِيَا
بِلَا عَمَدٍ أَرْفَقُ إِذَا بِكَ بَانِيَا
مُنِيرًا إِذَا مَا جَنَّهُ اللَّيْلُ هَادِيَا
فَيُضْبِحُ مَا مَسَّتْ مِنَ الْأَرْضِ صَاحِيَا
فَيُضْبِحُ مِنْهُ الْبَقْلُ يَهْتَزُّ رَايَا
وَفِي ذَاكَ آيَاتٌ لِمَنْ كَانَ وَاعِيَا
وَقَدْ بَاتَ فِي أَضْعَافٍ حُوتٍ لِبَالِيَا

إِلَى اللَّهِ أَهْدِي مَذْحَتِي وَثَنَائِيَا
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
أَلَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ إِيَّاكَ وَالرَّدَى
وَإِيَّاكَ لَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ غَيْرَهُ
حَنَانِيكَ إِنَّ الْجَنَّ كَانَتْ رَجَاءَهُمْ
رَضِيتُ بِكَ اللَّهُمَّ رَبًّا فَلَنْ أُرَى
وَأَنْتَ الَّذِي مِنْ فَضْلٍ مَنْ وَرَحْمَةٍ
فَقُلْتَ لَهُ أَذْهَبْ وَهَارُونَ فَادْعُوا
وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوِّتَ هَذِهِ
وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ رَفَعْتَ هَذِهِ
وَقَوْلًا لَهُ أَنْتَ سَوِّتَ وَسَطَهَا
وَقَوْلًا لَهُ مَنْ يُرْسِلُ الشَّمْسَ غَدَوَةً
وَقَوْلًا لَهُ مَنْ يُنْبِتُ الْحَبَّ فِي الثَّرَى
وَيُخْرِجُ مِنْهُ حَبَّهُ فِي رُؤْسِهِ
وَأَنْتَ بِفَضْلٍ مِنْكَ نَجَّيْتَ يُونُسَا

لَأُكْثِرُ إِلَّا مَا غَفَرْتَ خَطَايَا
عَلَيَّ وَبَارِكْ فِي بَنِي وَمَالِي^(١)

وَإِنِّي لَوْ سَبَّخْتُ بِاسْمِكَ رَبَّنَا
فَرَبَّ الْعِبَادِ أَلْقَى سَيِّئًا وَرَحْمَةً

⑫٠٠ أسلمت وجهي إليك

زيد بن عمرو بن نفيل

لَهُ الْأَرْضُ تَحْمِلُ صَخْرًا ثِقَالًا
عَلَى الْمَاءِ أَرْسَى عَلَيْهَا الْجِبَالَا
لَهُ الْمَزْنُ تَحْمِلُ عَذْبًا زُلَالًا
أَطَاعَتْ فَصَبَّتْ عَلَيْهَا سَجَالًا^(٢)

وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
دَحَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا اسْتَوَتْ
وَأَسْلَمْتُ وَجْهِي لِمَنْ أَسْلَمْتُ
إِذَا هِيَ سَيَقَتْ إِلَى بَلَدَةٍ



(١) الروض الأنف (١/٣٨٦).

(٢) الروض الأنف (١/٣٨٩).

١٣٠٠ قريح القلب

علي بن أبي طالب عليه السلام

قريح القلب من وجع الذنوب
أضرَّ بجسمه سَهَرُ الليالي
وغيرَ لونه خوفٌ شديدٌ
ينادي بالتضرُّعِ يا آلهي
فزِعتُ إلى الخلائقِ مستغيثًا
وأنتَ مُجيبٌ من يدعوك ربِّي
ودائي باطنٌ ولديك طبٌّ
نحيلُ الجسمِ يشهقُ بالنجيبِ
فصارَ الجسمُ منه كالقضيبي
لما يلقاه من طولِ الكُروبِ
أقلني عثرتي واسترُ عيوبِي
فلم أَر في الخلائقِ من مُجيبِ
وتكشفُ ضُرَّ عبدك يا حبيبي
فمن لي مثلُ طبِّك يا طيبي^(١)



(١) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص: ٤٣).

140 • إلهي وسيدي

رضي الدين الغزي

وَحُذِّ بِيَدِي وَمِنْ بُعْدِي أَجْرِي
ضَعِيفِ الْخَلْقِ مِثْلِي لَيْسَ يَجْنِي
وَبِالتَّقْصِيرِ وَالزَّلَّاتِ مِنِّي
فَلَا أَوْلَى بَعْفٍ مِنْكَ عَنِّي
وَجُودٍ وَاسِعٍ وَعَظِيمٍ مَنْ
وَلَا أَبَدًا أَطَعْتُ بِغَيْرِ إِذْنٍ
وَلِنْ أَعْصِرَ فَمِنْ نَقْصٍ وَوَهْنٍ
تَحْمِلُهُ الْجَنَابَةُ وَالتَّجَنُّي
عَلَا بُرْهَانَهَا مِنْ غَيْرِ طَعْنٍ
بِلَا خَطِيٍّ وَهَلْ يُجِدِي التَّمَنِّي
أَطْعَمَكَ وَلَيْتَ أُمِّي لَمْ تَلِدْنِي
رَجَائِي مُتُّ مِنْ هَمٍّ وَحُزْنِي
يُعَذِّبُ مِنْهُ يَا رَبِّي أَقْلَنِي
بِحَقِّكَ مِنْكَ يَا ذُخْرِي أَعِزَّنِي
فَلَا أَبَدًا بِغَيْرِكَ تَمْتَحِنِي
فَإِنِّي فِيكَ قَدْ أَحْسَنْتُ ظَنِّي

إِلَهِي سَيِّدِي رَبِّي أَغْنِنِي
إِلَهِي قَدْ جَنَيْتُ وَأَيُّ عَبْدٍ
إِلَهِي لَيْسَ أَجْدَرُ بِالْخَطَايَا
إِلَهِي لَوْ أَتَيْتُ بِكُلِّ ذَنْبٍ
إِلَهِي أَنْتَ ذُو صَفْحٍ جَمِيلٍ
إِلَهِي مَا عَصَيْتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ
إِلَهِي إِنْ أَطَعْتُ فَبِمَحْضِ فَضْلٍ
إِلَهِي مَا لِعَبْدٍ حُجَّةٌ فِي
إِلَهِي إِنْ حُجَّتَكَ الَّتِي قَدْ
إِلَهِي لَيْتَنِي لَوْ كُنْتُ عَبْدًا
إِلَهِي لَيْتَنِي لَا كُنْتُ إِذْ لَمْ
إِلَهِي إِنْ خَوْفِي زَادَ لَوْلَا
إِلَهِي مَنْ يُنَاقِشُ فِي حِسَابٍ
إِلَهِي أَنْتَ فَهَارٌ حَلِيمٌ
إِلَهِي لَيْسَ إِلَّا أَنْتَ رَبِّي
إِلَهِي إِنْ أَسَأْتُ بِغَيْرِ عِلْمٍ

إِلَهِي أَنْتَ قَدْ حَقَّقْتَ فَقْرِي
إِلَهِي إِنِّي أَخْشَى وَأَرْجُو
إِلَهِي غَيْرُ بَابِكَ فِي أُمُورِي
إِلَهِي قَدْ رَجَعْتُ إِلَيْكَ عَمَّا
إِلَهِي مِثْلَ مَا أَحْسَنْتَ بَدَأَ
إِلَهِي مَنْ يُعِينُ عَلَى وَصُولِي
إِلَهِي مَنْ سِوَاكَ يُزِيلُ هَمِّي
إِلَهِي لَسْتُ أَحْصِي مَا بِهِ قَدْ

إِلَيْكَ وَلَيْسَ شَيْءٌ عَنْكَ يُغْنِي
أَمَانًا مِنْكَ فَاْمُنْ لِي بِأَمْنٍ
إِذَا مَا ضِيقْتُ ذَرْعًا لَمْ يَسْعُنِي
سِوَاكَ فَلَا إِلَى غَيْرِكَ تَكِلْنِي
فَفِي الْعُقْبَى بِحَقِّكَ لَا تَسْؤُنِي
إِلَى مَا تَرْتَضِي إِنْ لَمْ تُعْنِي
وَمَنْ أَدْعُوهُ مُضْطَرًّا يُجِيبُنِي
مُنِحْتُ مِنَ الْعَطَاءِ بِلَا تَعْنِي^(١)

١٥٠. أَهْرُ إِلَيْكَ مِنْكَ

أَبُونَوَّاسٍ

أَيَا مَنْ لَيْسَ لِي مِنْهُ مُجِيرُ
أَنَا الْعَبْدُ الْمَقْرُّ بِكُلِّ ذَنْبٍ
فَإِنْ عَذَّبْتَنِي فَبِسُوءِ فِعْلِي
أَهْرُ إِلَيْكَ مِنْكَ وَأَيْنَ إِلَّا

بِعَفْوِكَ مِنْ عَذَابِكَ أَسْتَجِيرُ
وَأَنْتَ السَّيِّدُ الْمَوْلَى الْغَفُورُ
وَإِنْ تَغْفِرْ فَأَنْتَ بِهِ جَدِيرُ
يَهْرُ إِلَيْكَ مِنْكَ الْمُسْتَجِيرُ^(٢)

(١) الكواكب السائرة (١٥/١) ط. المكتبة الشاملة الإلكترونية.

(٢) ديوان أبي نواس (٦٨/١).

16•• تبارك ذو الجلال وذو المحال

يحيى بن معاذ

تَبَارَكَ ذُو الْجَلَالِ وَذُو الْمَحَالِ عَزِيزُ الشَّانِ مُحَمَّدُ الْفِعَالِ
 سُورِي بِالسُّؤَالِ لَكِي أَرَاهُ فَكَيْفَ أُسْرُ مِنْهُ بِالنَّوَالِ
 فَيَا ذَا الْعِزِّ! يَا ذَا الْجُودِ! جُدْ لِي وَغَيْرَ مَا تَرَى مِنْ سُوءِ حَالِي^(١)

17•• ولكنني في رحمة الله أطمع

علي بن أبي طالب عليه السلام

ذُنُوبِي إِنْ فَكَّرْتُ فِيهَا كَثِيرَةٌ وَرَحْمَةُ رَبِّي مِنْ ذُنُوبِي أَوْسَعُ
 فَمَا طَمَعِي فِي صَالِحٍ قَدْ عَمَلْتُهُ وَلَكِنِّي فِي رَحْمَةِ اللَّهِ أَطْمَعُ^(٢)



(١) الحلية (٦٣/١٠).

(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه (ص: ٧٧).

١٨٠ إلهي أنت للإحسان أهل

وَمِنْكَ الْجُودُ وَالْفَضْلُ الْجَزِيلُ	إلهي أنت للإحسان أهل
وَحَالِي لَا يُسَرُّ بِهِ خَلِيلُ	إلهي بات قلبي في هموم
مِنْ الْأَوْزَارِ مَدْمَعُهُ يَسِيلُ	إلهي تُبِّ وَجْدٌ وَارْحَمْ عُبِيدًا
ذُنُوبٌ حَمَلَهَا أَبَدًا ثَقِيلُ	إلهي ثوبٌ جِسْمِي دَنَسَتْهُ
عَلَى الْأَبْوَابِ مِنْكَسِرٌ ذَلِيلُ	إلهي جُدْ بَعْضُوكَ لِي فَيَانِي
وَجَاءَ الشَّيْبُ وَاقْتَرَبَ الرَّحِيلُ	إلهي خَانَتْنِي جِلْدِي وَصَبْرِي
بِهِ يُشْفَى فَوَادِي وَالْغَلِيلُ	إلهي دَاوِنِي بِدَوَاءٍ عَفْوٍ
وَمَنْ فَعَلَ الْقَبِيحِ أَنَا الْقَتِيلُ	إلهي ذَابَ قَلْبِي مِنْ ذُنُوبِي
فَهَاكَ الْعَبْدُ يَدْعُو يَا وَكِيلُ	إلهي قَلْتَ ادْعُونِي أُجِبْكُمْ
بِأَعْمَارٍ لَنَا وَبِهَا تَزُولُ ^(١)	إلهي هَذِهِ الْأَوْقَاتُ تَمْضِي



(١) مناجاة ختم بها الدكتور علي محمد الصلابي كتابه في السيرة النبوية (ص: ١٩٥).

١٩٠٠ عظمت صفاتك يا عظيم

الْأَصْمَعِي

يا فَاطِرَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ وَكَافِلًا
 رِزْقَ الْجَمِيعِ سَحَابُ جُودِكَ هَاطِلُ
 يا مُسَبِّغَ الْبَرِّ الْجَزِيلِ وَمُسَبِّلَ الْ
 سَّتْرِ الْجَمِيلِ، عَمِيمُ طَوْلِكَ طَائِلُ
 يا عَالِمَ السِّرِّ الْخَفِيِّ وَمُنْجِزَ الْ
 وَعْدِ الْوَقِيِّ، قَضَاءُ حُكْمِكَ عَادِلُ
 عَظُمْتَ صِفَاتُكَ يَا عَظِيمُ فَجَلَّ أَنْ
 يُجْصِيَ الشَّنَاءَ عَلَيْكَ فِيهَا قَائِلُ
 الذَّنْبُ أَنْتَ لَهُ بِمَنْكَ غَافِرُ
 وَلِتَوْبَةِ الْعَاصِي بِحِلْمِكَ قَابِلُ
 رَبُّ يُرَبِّي الْعَالَمِينَ بِبِرِّهِ
 وَنَوَالُهُ أَبَدًا إِلَيْهِمْ وَاصِلُ
 تَعَصِيهِ وَهُوَ يُسَوِّقُ نَحْوَكَ دَائِمًا
 مَا لَا تَكُونُ لِبَعْضِهِ تَسْتَأْهِلُ
 مُتَفَضِّلُ أَبَدًا وَأَنْتَ لِجُودِهِ
 بِقَبَائِحِ الْعِصْيَانِ مِنْكَ تُقَابِلُ

وَإِذَا دَجَى لَيْلُ الْخُطُوبِ وَأَظْلَمَتْ
سُبُلُ الْخَلَاصِ وَخَابَ فِيهَا الْآمِلُ
وَأَيْسَتْ مِنْ وَجْهِ النَّجَاةِ فَمَا لَهَا
سَبَبٌ وَلَا يَدْنُو لَهَا مُتَنَاولُ
يَأْتِيكَ مِنَ الْطَافَةِ الْفَرَجُ الَّذِي
لَمْ تَحْتَسِبْهُ وَأَنْتَ عَنْهُ غَافِلُ
يَا مُوْجِدَ الْأَشْيَاءِ مَنْ أَلْقَى إِلَى
أَبْوَابِ غَيْرِكَ فَهُوَ غَرٌّ جَاهِلُ
وَمَنْ اسْتَرَّاحَ بِغَيْرِ ذِكْرِكَ أَوْ رَجَا
أَحَدًا سِوَاكَ فَذَاكَ ظِلُّ زَائِلُ
عَمَلٌ أُرِيدَ بِهِ سِوَاكَ فَإِنَّهُ
عَمَلٌ - وَإِنْ زَعَمَ الْمُرَائِي - بَاطِلُ
وَإِذَا رَضِيتَ فَكُلُّ شَيْءٍ هَيِّنٌ
وَإِذَا حَصَلْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ حَاصِلُ
قَدْ أَثْقَلَتْ ظَهْرِي الذُّنُوبُ وَسَوَدَتْ
صُحُفِي الْعُيُوبُ وَسِتْرُ عَفْوِكَ شَامِلُ

هَآ قَدْ أَتَيْتُ وَحُسْنُ ظَنِّي شَافِعِي
وَوَسَائِلِي نَدَمٌ وَدَمْعٌ سَائِلٌ^(١)
فَاغْفِرْ لِعَبْدِكَ مَا مَضَى وَارْزُقْهُ تَو
فِيَقَا لِمَا تَرْضَى فَفَضْلُكَ كَامِلُ
وَأَفْعَلُ بِهِ مَا أَنْتَ أَهْلُ جَمِيلِهِ
وَالظَّنُّ كُلُّ الظَّنِّ أَنْكَ فَاعِلٌ^(٢)



(١) هذه إحدى شروط التوبة: ١ - الندم. ٢ - الإقلاع. ٣ - العزم على عدم المعاودة.
(٢) ذكر القصيدة الدميري في حياة الحيوان الكبرى (١٧/٢)، وقد حكاها الأصمعي عن غلام.

عبد الرحمن حبنكة

إِلَهِی

عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ظَهَرَ
وَعَرَفْتُكَ مِنْ حَاضِرَاتِ الْوُجُودِ
عَرَفْتُكَ مِنْ لَفْحَاتِ الرِّيحِ
وَعَرَفْتُكَ مِنْ وَطْأَةِ الْحَادِثَاتِ
عَرَفْتُكَ مِنْ حِكَمٍ غُلْفَتْ
عَرَفْتُكَ مِنْ كُلِّ عُمُقٍ لَدَيَّ
عَرَفْتُكَ بِمَا وَرَاءَ الشُّعُورِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

إِلَهِی

فَطَرْتَ حَيَاتِي عَلَى الْفَقْرِ لَكَ
وَنَفْسِي عَلَى حُبِّ مَا قَدْ وَهَبْتَ
لِذَلِكَ يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ
عَلَى رُغْمِ أَنْفِ الْجَحُودِ الْكُنُودِ
رَضَيْتُكَ رَبًّا فَأَذَلَّتْ قَلْبًا
وَأَخَضَعْتُ نَفْسِي وَفِكْرِي وَحِسِّي
وَفِكْرِي وَقَلْبِي عَلَى الْعِلْمِ بِكَ
وَرُوحِي عَلَى الْأُنْسِ فِي حَضْرَتِكَ
خُضُوعًا وَحُبًّا وَأَسْلَمْتُ لَكَ
آمَنْتُ بِكَ ثُمَّ آمَنْتُ بِكَ
وَرُوحًا وَلُبًّا إِلَى عِزَّتِكَ
وَوَجْهِي وَرَأْسِي إِلَى قُدْرَتِكَ

وَسَلَّمْتُ أَمْرِي بِجَهْرِي وَسَرِّي وَخَيْرِي وَشَرِّي إِلَى حِكْمَتِكَ
صَلَاتِي وَنُسُكِي خُشُوعِي وَحُبِّي خُضُوعِي وَقُرْبِي إِلَى حَضْرَتِكَ
وَعِجَائِي رَبِّي وَغُفْرَانُ دُنْيَايَ وَمَوْتِي وَبَعْثِي إِلَى رَحْمَتِكَ
إِلَهِي إِلَهِي تَبَارَكَ كَتَّ فِي عُلَاكَ فَإِنِّي آمَنْتُ بِكَ
إِلَهِي إِلَهِي تَعَالَيْتَ فِي سَنَاكَ فَإِنِّي أَسَلَمْتُ لَكَ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ لَامِعَاتِ الْأَفُقِ عَرَفْتُكَ مِنْ مُوَحِّشَاتِ الْغَسَقِ
عَرَفْتُكَ مِنْ نَفْحَاتِ الْفَلَقِ عَرَفْتُكَ مِنْ خَلِيقِ الْمَتَسِقِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ مِنْ بَهْجَةِ فِي الْقَمَرِ عَرَفْتُكَ مِنْ نَسْمَةِ فِي السَّحَرِ
عَرَفْتُكَ مِنْ بَسْمَةِ فِي الرَّهْرِ عَرَفْتُكَ مِنْ نَائِمَاتِ الشَّجَرِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ مَا لَاحَ نُورٌ وَنَارُ وَمَهْمَا يَدُرُ كَوَكَبٌ فِي مَدَارِ
عَرَفْتُكَ مَهْمَا الزَّمَانُ اسْتَدَارَ وَمَهْمَا أَتَى اللَّيْلُ بَعْدَ النَّهَارِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ

عَرَفْتُكَ بِالسُّحُبِ الْهَاطِلَاتِ لِتُحْيِيَ كُلَّ بِلَادٍ مَوَاتِ
بِكُلِّ نَبَاتٍ عَجِيبِ النَّبَاتِ بِمُخْتَلِفَاتٍ وَمُشْتَبِهَاتِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ حِينَ سَلَكَتُ الْفَقَارَ وَسَارَ بِنَا فِي السُّهُولِ الْقَطَارَ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الْبَحَارَ وَحِينَ جَرَتْ بِي جَوَارِ كِبَارَ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ حِينَ رَكِبْتُ الْهَوَاءَ وَطَوَّفْتُ فِي جَنَابِ الْفَضَاءِ

وَحِينَ تَأَمَّلْتُ هَذِي السَّمَاءَ وَكُلَّ عَظِيمٍ بِهَا ذِي بَهَاءِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْأَحَدُ

وَأَنَّكَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي جَنَاحٍ يَطِيرُ عَرَفْتُكَ مِنْ ذِي قَوَامٍ يَسِيرُ

عَرَفْتُكَ مِنْ سَابِحٍ فِي الْغَدِيرِ عَرَفْتُكَ مِنْ زَاحِفٍ فِي الْهَجِيرِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ لَمَّا نَظَرْتُ الْجِبَالَ عَرَفْتُكَ مِنْ رَائِعَاتِ الْجَمَالِ

عَرَفْتُكَ حِينَ شَرِبْتُ الزُّلَالَ عَرَفْتُكَ إِذْ ظَلَّلْتَنِي الظِّلَالَ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ مِنْ لَمَسٍ لَيْنٍ الْحَرِيرِ وَمِنْ لَمَسٍ ذِي قَسْوَةٍ فِي الصَّخُورِ

عَرَفْتُكَ مِنْ نَفَثَاتِ السَّعِيرِ وَمِنْ بَارِدٍ قَاتِلٍ زَمْهَرِيرِ

بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهَ الْأَحَدُ

وَأَنْتَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ

إِلَهِي

عَرَفْتُكَ مِنْ نَبْضَاتِ الْجَنَانِ وَمِنْ مَنْطِقِ عَجَبٍ فِي اللِّسَانِ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الْبَنَانِ وَأَرْشَادِي لِعُلَاكَ الْيَدَانِ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ مِنْ أَكْبَدِ ظَائِمَاتٍ عَرَفْتُكَ مِنْ مَعِدِ جَائِعَاتٍ
عَرَفْتُكَ مِنْ حَرَكَاتِ الْحَيَاةِ عَرَفْتُكَ مِنْ سَكَنَاتِ الْمَمَاتِ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ

عَرَفْتُكَ مِنْ مُعْجَزَاتِ السَّوَرِ وَمَا جَمَعَتْ مِنْ جَلِيلِ الْعِبَرِ
وَعَرَفْنِي بِكَ طَهَ^(١) الْأَغْرُ رَسُولُكَ أَهْمَدُ خَيْرِ الْبَشَرِ
بِأَنَّكَ أَنْتَ الْإِلَهُ الْأَحَدُ
وَأَنْتَ أَنْتَ الْعَظِيمُ الصَّمَدُ^(٢)



(١) طه: ليس من أسماء النبي، ولكنه ورد في القرآن كبقية الأحرف المقطعة في أوائل السور على سبيل الإعجاز.

(٢) ديوان: آمنت بالله (ص: ٩٠-١٢).

21• أشكو إليك ذنوبًا

يحيى بن معاذ

وقد رجوتك يا ذا المنِّ تَغْفُرُها
يومَ الجزاءِ على الأهوالِ تذكُرُها
إذ كنتَ سؤلي كما في الأرضِ تسترُها

أشكو إليك ذنوبًا لستُ أنكرُها
من قبلِ سؤلك لي في الحشرِ يا أُملي
أرجوك تَغْفِرُها في الحشرِ يا أُملي

22• مسلم يخاطبُ الكونَ

شعر عائض القرني

والطلُّ من ثغرِ الخمائلِ قد هَمَى
وترعرَعَ الفنُّ الجميلُ وقد نما
والماءُ في عطفِ الجدَّاءِ لثَمًا
هدرَ الغديرُ وكان قبلُ ملثَمًا
تأقَّتْ إلى ضوءٍ تألَّقَ في السَّما
بَدَدًا وَقَبَلَتْ الجليدَ فَهَمَّهُما
بيتَ القصيدِ سعادةً وترنُّما
برحيقِ زهرٍ ظلَّ يسكُبُ في اللَّما
في سندسٍ فوقَ البطائحِ وسما
في الأرضِ يضحكُ ترحهً وتلوّما

قف في الحياة تَرى الجمالَ تبسُّما
وشدَّتْ مطوِّقةُ العروسِ ورجعتْ
وسرى النسيمُ يهزُّ عطفَ عبيره
وتفتَّحَ الأزهارُ واعتنَّقَ النَّدَى
والنبتُ قد شقَّ الثَّرى فعيونُه
والشمسُ أُرسلتِ الأشعةَ في الفضا
وسرَّتْ طيورُ القاعِ تنشدُ في الرُّبا
والنحلُّ قد تَرَكَ الخليةَ مولعًا
وفراشةُ البستانِ ألقتْ نفسها
وبكى الغمامُ من الفراقِ مشامتُ

قَمَمِ التَّلَالِ فَلَمْ تُكُنْ أَبَدًا كَمَا
أَهْلًا بِمَنْ حَازَ الْجَمَالَ مُسْلِمًا
إِذْ كَانَ مِنْهَا فِي الْحَقِيقَةِ أَعْظَمًا
فَكَأَنَّهُ مَلِكٌ يَسِيرُ مُعَلَّمًا
وَبَهَا إِلَى عِزِّ الْمَهِيْمِ قَدْ سَمَا
سَبْلُ الْهُدَايَةِ قَبْلَهُ فَتَقَدَّمَ
وَتَرَاهُ فِي عُمُقِ التَّفَكُّرِ مُلْهِمًا
عَبْرٌ تُعَرِّفُهُ الْإِلَهِ الْأَعْظَمَا
أَنْعِمَ بِحَبْلِ قَطُّ لَنْ يَتَصَرَّمَا
حَسَنًا وَلَوْ مَلَكَتْ يَدَاكَ الْأَنْجَمَا
قَلْبًا وَلَمْ يَكُ فِي الْحَقِيقَةِ مُسْلِمًا؟!
وَبَدَا فَأَعْطَى مِنْ أَحَلٍّ وَأَحْرَمَا
مِنْ مُؤْمِنٍ لِلسَّعْدِ جَدٍّ وَيَمَّمَا
هِيَ نَقْلَةٌ تَلْقَى حَيَاةً أَوْسَمَا
تَلْقَاهُ فِي الْأُخْرَى أَبْرَّ وَأَكْرَمَا
مَا لِلْعَوَالِمِ حَوْلَ قِرِكَ جُثْمَا
وَاهِنًا فَإِنَّكَ بَعْدُ لَنْ تَتَنَدَّمَا^(١)

وَتَطَاوَلَتْ شَمُّ الْجِبَالِ وَنَافَرَتْ
وَالْمُؤْمِنُ اطْلَعَ الْوُجُودَ مُسْلِمًا
فَجِئْتُ لَطَلْعَتِهِ الْجِبَالُ وَأَذَعَنْتُ
وَقَدْ اشْرَأَبْتُ كُلَّ كَائِنَةٍ لَهُ
وَرَأَى الْحَيَاةَ بِنَظَرٍ قَدْسِيَّةٍ
كَشَفَ الْحِجَابَ عَنِ الْغُيُوبِ فَأَشْرَقَتْ
عَرَفَ الْحَقِيقَةَ فَاسْتَنَارَ بِنُورِهَا
فِي كُلِّ مَائِلَةٍ تَمُرُّ بِعَيْنِهِ
حَبْلُ الرِّجَاءِ غَدَا بِهِ مَتَمَسِّكًا
أَتَرَى الْجَمَالَ بِغَيْرِ مَنَظَارِ التُّقَى
أَتَظُنُّ أَنَّ الْأَنْسَ يَسْكُنُ بُرْهَةً
لَا وَالَّذِي جَمَعَ الْخَلَائِقَ فِي مَنَى
مَا فِي رُبُوعِ الْكَوْنِ أَجْمَلُ مَنَظَرٍ
إِنْ مِتَّ يَا جَامِيَ الْحَيَاةِ فَإِنَّمَا
فِي ظِلِّ رَبِّ كُنْتَ قَدْ وَحَّدْتَهُ
بَلْ كَيْفَ تَرَحَّلُ وَالْحَيَاةُ تَقْدَمَا
فَاسْعُدْ فَقَدْ ظَفَرْتَ يَدَاكَ بِصَفْقَةٍ

خير الدين والنبي

ويذودُ عنك فتمدحُ الأوثاناً؟!
أو هكذا تستقبلُ الإحساناً؟!
أو ما تهابُ السُّخْطَ والنيراناً؟!
يا من بَرَكَ من الثرى إنساناً
تبيِّنُ الأشكالَ والألواناً
والأرضَ والأنهارَ والخلجاناً
والماءَ يُحيي الزرعَ والأفناناً
والثلجَ يهطلُ يرفدُ الغدراناً
فوقَ الرياحِ يسبحُ الرُحماناً
تدعُ الجحودَ بأمرِهِ حيراناً
في ذا الوجودِ وتنظرِ الأكواناً
إن لم تجدْ من حَوْلِكَ البرهاناً
يتحديانِ الجحدَ والنكراناً
أن المسيرَ ميِّزَ الإنساناً
والمخُ يحفظُ كلَّ ما قد كاناً
لا يُخطيءُ الأرياحَ والريحاناً

يَغذوكَ لكن أنتَ تشكرُ غيرَهُ
أو هَكَذَا رُدُّ الجميلِ لأهلِهِ
يا من جحدتَ لذي الصَّنيعِ صنيعَهُ
أَتخاصمُ الجَبَّارَ في عُلَيَّائِهِ؟!
من نُطفةٍ سِوَاكَ ربي مبصرًا
بل سَحَر السَّبْعَ الطِّبَاقَ لخدمَةِ
والفُلكَ تجري والرياحَ لواقِحًا
والرعدُ في كبدِ السَّمَاءِ مُسَبِّحًا
والطيرُ يبسطُ جناحَهُ كسفينةٍ
في كلِّ شيءٍ للمُهمِّينِ آيَةٌ
يا من جحدتَ ألمَ تفكَّرِ لحظةً
في قلبِكَ الخفاقِ أكبرُ آيَةٍ
السمعُ والأبصارُ خلقُ مُعْجِزٍ
والسيرُ منتصبًا دليلٌ واضحٌ
والنطقُ آيَةٌ قدرةٌ جبارَةٌ
واللمسُ للأشياءِ والشمُّ الذي

والشَّعْرُ يَكْسُو الْجِلْدَ ثَوْبًا نَاعِمًا مَتَمَوْجًا مَتَجَدِّدًا أَلْوَانَا
كَالْجِلْدِ لِلْحِزْبَاءِ يَشْبَهُ لَوْنُهُ مَا حَوْلَهُ فَتَنْظُنُّهُ أَغْصَانَا
وَالرَّأْسُ يُحْمِي الْمَخَّ فِي تَجْوِيفِهِ وَالصَّدْرُ يَحْمِي الْقَلْبَ وَالشَّرِيَانَا
فَلِمَ الْجُحُودُ وَفَضْلُ رَبِّكَ سَابِقُ مَنْ قَبْلِ أَنْ تَسْتَرْضِعَ الْأَلْبَانَا؟^(١)



٢٤٠ يا منزل الآيات والفرقان

أبو محمد الأندلسي القحطاني

بَيْنِي وَبَيْنَكَ حَزْمَةُ الْقُرْآنِ
وَاعْصِمْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الشَّيْطَانِ
وَاشْدُدْ بِهِ أَزْرِي وَأَصْلِحْ شَأْنِي
أُزِخْ بِهِ بَيْنِي بِلَا خُسْرَانٍ
أَجْلِ بِهِ ذِكْرِي وَأَعْلِ مَكَانِي
كَثِّرْ بِهِ وَرْعِي وَأَحْيِ جَنَانِي
أَسْبِلْ بِفَيْضِ دُمُوعِهَا أَجْفَانِي
وَاغْسِلْ بِهِ قَلْبِي مِنَ الْأَضْغَانِ
وَهْدِئْتَنِي لِشَرَائِعِ الْإِيمَانِ
وَجَعَلْتَ صَدْرِي وَاعِي الْقُرْآنِ
مِنْ غَيْرِ كَسْبٍ يَدٍ وَلَا دُكَّانٍ
وَعَمَّرْتَنِي بِالْفَضْلِ وَالْإِحْسَانِ
وَهْدَيْتَنِي مِنْ حَيْرَةِ الْخُذْلَانِ
وَالْعَطْفَ مِنْكَ بِرَحْمَةٍ وَحَنَانٍ
وَسَرَّتَ عَنِ أَبْصَارِهِمْ عِصْيَانِي

يَا مُنْزِلَ الْآيَاتِ وَالْفُرْقَانِ
اشْرَحْ بِهِ صَدْرِي لِمَعْرِفَةِ الْهُدَى
وَاحْطُطْ بِهِ وَزْرِي وَأَخْلِصْ نِيَّتِي
وَاكْشِفْ بِهِ ضُرِّي وَحَقِّقْ تَوْبَتِي
طَهِّرْ بِهِ قَلْبِي وَصَفِّ سَرِيرَتِي
وَاقْطَعْ بِهِ طَمَعِي وَشَرِّفْ هَمَّتِي
أَسْهِزْ بِهِ لَيْلِي وَأُظْمِ جَوَارِحِي
وَأَمْزِجْهُ يَا رَبِّي بِلَحْمِي مَعَ دَمِي
أَنْتَ الَّذِي صَوَّرْتَنِي وَخَلَقْتَنِي
أَنْتَ الَّذِي عَلَّمْتَنِي وَرَحَّمْتَنِي
أَنْتَ الَّذِي أَطْعَمْتَنِي وَسَقَيْتَنِي
وَجَبَّرْتَنِي وَسَوَّرْتَنِي وَنَصَّرْتَنِي
أَنْتَ الَّذِي أَوَيْتَنِي وَحَبَوْتَنِي
وَزَرَعْتَ لِي بَيْنَ الْقُلُوبِ مَوَدَّةً
وَنَشَرْتَ لِي فِي الْعَالَمِينَ مُحَاسِنًا

حَتَّى جَعَلْتَ جَمِيعَهُمْ إِخْوَانِي
لَأَبَى السَّلَامَ عَلَيَّ مَنْ يَلْقَانِي
وَلَبَّوْتُ بَعْدَ كَرَامَةِ بَهْوَانِ
وَحَلُمْتَ عَن سَقَطِي وَعَن طُغْيَانِي
بِخَوَاطِرِي وَجَوَارِحِي وَلِسَانِي
مَا لِي بِشُكْرِ أَقْلَهِنَّ يَدَانِ
حَتَّى شَدَدْتَ بِنُورِهَا بُرْهَانِي
حَتَّى تُقَوِّيَ أَيْدَهَا إِيْمَانِي
وَلتُخْدِمَنَّكَ فِي الدُّجَى أَرْكَانِي
وَلأَشْكُرَنَّكَ سَائِرَ الْأَحْيَانِ
وَلأَشْكُونَنَّ إِلَيْكَ جَهْدَ زَمَانِي
مَنْ دُونَ قَصْدِ فَلَانَةٍ وَفُلَانِ
بِحُسَامٍ يَأْسٍ لَمْ تَشْبُهْ بَنَانِي
وَلأَضْرِبَنَّ مِنَ الْهَوَى شَيْطَانِي
وَلأَقْبِضَنَّ عَنِ الْفُجُورِ عَنَانِي
وَلأَجْعَلَنَّ الزُّهْدَ مِنْ أَعْوَانِي
وَلأَحْرِقَنَّ بِنُورِهِ شَيْطَانِي

وَجَعَلْتَ ذِكْرِي فِي الْبَرِّيَّةِ شَائِعًا
وَاللَّهِ لَوْ عَلِمُوا قَبِيحَ سَرِيرَتِي
وَلَأَعْرَضُوا عَنِّي وَمَلُّوا صُحْبَتِي
لَكِنْ سَرَّتْ مَعَايِي وَمَثَالِي
فَلَكَ الْمَحَامِدُ وَالْمَدَائِحُ كُلُّهَا
وَلَقَدْ مَنَنْتَ عَلَيَّ رَبِّ بَأْنَعْمٍ
فَوَحَقَّ حِكْمَتِكَ الَّتِي آتَيْتَنِي
لَنْ اجْتَبَيْتَنِي مِنْ رِضَاكَ مَعُونَةً
لَأُسَبِّحَنَّكَ بِكُرَّةٍ وَعَشِيَّةٍ
وَلأَذْكُرَنَّكَ قَائِمًا أَوْ قَاعِدًا
وَلأَكْتُمَنَّ عَنِ الْبَرِّيَّةِ خِلَاتِي
وَلأَقْصِدَنَّكَ فِي جَمِيعِ حَوَائِجِي
وَلأَحْسِمَنَّ عَنِ الْأَنَامِ مَطَامِعِي
وَلأَجْعَلَنَّ رِضَاكَ أَكْبَرَ هِمَّتِي
وَلأَكْسُونَنَّ عُيُوبَ نَفْسِي بِالتَّقَى
وَلأَمْنَعَنَّ النَّفْسَ عَنِ شَهَوَاتِهَا
وَلأَتَلُونَنَّ حُرُوفَ وَحْيِكَ فِي الدُّجَى



أَنْتَ الَّذِي يَا رَبِّ قَلْتَ حُرُوفَهُ وَنَظَّمْتَهُ بِبَلَاغَةٍ أَزْلِيَّةٍ
وَوَصَفْتَهُ بِالْوَعْظِ وَالتَّبْيَانِ وَهُوَ الْمَحِيطُ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمُهُ
تَكْيِيفُهَا يَخْفَى عَلَى الْأَذْهَانِ مَنْ ذَا يَكْيِفُ ذَاتَهُ وَصِفَاتِهِ
مَنْ غَيْرِ إِغْفَالٍ وَلَا نِسْيَانٍ سُبْحَانَهُ مَلِكًا عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى
وَهُوَ الْقَدِيمُ مَكُونُ الْأَكْوَانِ وَحَوَى جَمِيعَ الْمَلِكِ وَالسُّطَّانِ^(١)



(١) مختارات من نوبة القحطاني، ط. مكتبة السوادى - جدة.

25 • سبحانك اللهم

مصطفى عكرمة

يَا رَبِّ قَدْ أَبَدَعْتَ مِنْ عَدَمٍ جَمِيعَ الْكَائِنَاتِ
 وَجَعَلْتَ لِلْإِنْسَانِ آيَاتِ الرَّشَادِ الْبَيِّنَاتِ
 وَأَمَرْتَهُ أَلَّا يَحْمِدَ الدَّهْرَ عَنْ دَرَبِ الْهُدَاةِ
 مَنِيَّتُهُ... وَأَعْتَتَهُ... لِنَوَالِ كُلِّ الْأُمْنِيَّاتِ
 الْأَرْضُ كَمْ قَدْ أَعْطَتِ الْإِنْسَانَ شَتَّى الْأَعْطِيَّاتِ!
 أَنْتَ الَّذِي أَوْدَعْتَ فِيهَا كُلَّ أَلْوَانِ الْهَبَاتِ
 أَنْبَتْنَا مِنْهَا.. كَمَا أَنْبَتَ أَزْوَاجَ النَّبَاتِ
 شَتَّى نَرَى أَلْوَانَهُ رَغَمَ التَّشَابُهِ فِي الصِّفَاتِ
 وَتَسُحُّ أَبْوَابُ السَّمَوَاتِ الْعُلَى بِالنُّعْمِيَّاتِ
 قَدَّرْتَ رَبِّي الْخَلْقَ تَقْدِيرًا بِهِ كُلُّ الْعِظَاتِ
 وَوَهَبْتَ يَا رَبِّاهُ كُلَّ الْخَلْقِ أَسْبَابَ الْحَيَاةِ
 هَذِي السَّمَاءُ بِلَا دَعَائِمَ حَيَّرْتَ كُلَّ الْبُنَاةِ
 أَمْسَكْتَهَا... فَإِذَا بِهَا مَثْلُ الثَّبَاتِ عَلَى الثَّبَاتِ
 وَزَرَعْتَ فِي الْأَجْوَاءِ آلَافَ النُّجُومِ النَّيِّرَاتِ
 تَهْدِي بِهَا فِي الدَّهْرِ أَصْحَابَ الْعُقُولِ الرَّاجِحَاتِ

وَبَسَطَ فَوْقَ الْمَاءِ أَرْضًا لَمْ تَزَلْ فِي الدَّائِرَاتِ
الْكُلِّ فِي فَلَكٍ يَدُورُ كَمَا أَرَدْتَ بِلَا انْفِلَاتِ
لَا الْمَاءُ يَطْغَى، لَا، وَلَا يُنْخَسَى عَلَيْهَا مِنْ أَذَاةِ
سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تُخْرِجُ كُلَّ حَيٍّ مِنْ مَمَاتٍ
يَا مَنْ إِذَا قَدْ قُلْتَ: كُنْ... كَانَتْ جَمِيعُ الْمُعْجَزَاتِ
أَدْعُوكَ فَا مَنَحَ أُمْتِي سُبُلَ الْهُدَايَةِ وَالنَّجَاةِ^(١)



(١) ديوان حتى ترضى (ص: ٤٩-٥٠).

• 26 سبحان من يعطي المني

سُبْحَانَ مَنْ يُعْطِي الْمُنَى بِخَوَاطِرٍ
 سُبْحَانَ مَنْ لَا شَيْءَ يَحْجُبُ عِلْمَهُ
 سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ مُسَبِّحًا
 سُبْحَانَ مَنْ تَجْرِي قَضَايَاهُ عَلَى
 سُبْحَانَ مَنْ هُوَ لَا يَزَالُ وَرِزْقُهُ
 سُبْحَانَ مَنْ فِي ذِكْرِهِ طُرُقُ الرِّضَى
 مُلْكٌ عَزِيزٌ لَا يَقَارَنُ عِزُّهُ
 مُلْكٌ لَهُ ظَهَرُ الْقَضَاءِ وَبَطْنُهُ
 مُلْكٌ هُوَ الْمُلْكُ الَّذِي مِنْ حِلْمِهِ
 يَبْلَى لِكُلِّ مُسَلِّطٍ سُلْطَانُهُ
 فِي النَّفْسِ لَمْ يَنْطِقْ بِهِنَّ لِسَانُ
 فَالْسِّرُّ أَجْمَعُ عِنْدَهُ إِعْلَانُ
 أَبَدًا وَلَيْسَ لغيرِهِ السُّبْحَانُ
 مَا شَاءَ مِنْهَا غَائِبٌ وَعِيَانُ
 لِلْعَالَمِينَ بِهِ عَلَيْهِ ضَمَانُ
 مِنْهُ وَفِيهِ الرُّوحُ وَالرِّيحَانُ
 يُعْصَى وَيُرجى عِنْدَهُ الْغَفْرَانُ
 لَمْ تُبَلْ جَدَّةُ مُلْكِهِ الْأَزْمَانُ
 يُعْصَى بِحَسَنِ بِلَائِهِ وَيُجَانُ
 وَاللَّهُ لَا يَبْلَى لَهُ سُلْطَانُ^(١)



(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ١١٠).

270 • إخلاص العبودية

خير الدين والنبي

وسَبَّحْنَا اسْمَهُ الْأَعْلَى
بَنَصْرِ اللَّهِ أَنْ يُوقِنَ
لِمَنْ يَدْعُوهُ مُضْطَرًّا
يُذْنَسُ طَاهِرَ الْقَلْبِ
يَكُنْ فِي النَّارِ مَثْوَاهُ
سُوءِ الْإِشْرَاكِ بِالْأَكْبَرِ
يَنْلُ مَا نَالَ ذُو الْكُفْرِ
وَأَنْوَاعَ الْعِبُودِيَّةِ
حَكِيمٍ عَالِمٍ غَافِرٍ
بَلُوغُ الْمَرْفَقِ الْأَعْلَى
وَلُقْيَا الْفَضْلِ وَالْمِنَّةِ
نَعِيمٌ وَافِرٌ خَالِدٌ
وَبَارِي كُلِّ مَوْجُودٍ
مَعَ الْمُخْتَارِ وَالْأَلِ (١)

عَلَى الْمَوْلَى تَوَكَّلْنَا
وَحَسْبُ الْمُسْلِمِ الْمُؤْمِنُ
فَإِنَّ الْعَوْنَ وَالنَصْرَا
وَمَنْ يَسْأَلُ سِوَى الرَّبِّ
وَمَنْ يُشْرِكُ بِمَوْلَاهُ
وَكُلُّ الذَّنْبِ قَدْ يُغْفَرُ
وَمَنْ يَطْلُبُ مِنَ الْقَبْرِ
فَأَخْلِصْ يَا أَخِي النِّيَّةَ
لِرَبِّ قَادِرٍ قَاهِرٍ
فَفِي الْإِخْلَاصِ لِلْمَوْلَى
لَدَى الرَّحْمَنِ فِي الْجَنَّةِ
فَعِنْدَ اللَّهِ لِلْعَابِدِ
فِي إِذَا الْفَضْلِ وَالْجُودِ
أَنْلِنِي رَاحَةَ الْبَالِ

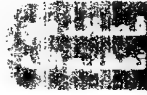
•• 28 إلهي أقلني عثرتي

عَسَى مِنْ خَفِيِّ اللُّطْفِ سُبْحَانُهُ لُطْفٌ
بِعُظْمَةِ بَرٍّ فَالْكَرِيمُ لَهُ عَطْفٌ
عَسَى مِنْ لَطِيفِ الصُّنْعِ نَظَرَةٌ رَحْمَةٌ
إِلَى مَنْ جَفَّاهُ الْأَهْلُ وَالصَّحْبُ وَالْإِنْفُ
عَسَى فَرَجٌ يَأْتِي بِهِ اللَّهُ عَاجِلًا
يُسِّرُ بِهِ الْمُلْهُوفُ إِنْ عَمَّهُ اللَّهْفُ
عَسَى لِغَرِيبِ الدَّارِ تَدْبِيرُ رَافَةٍ
وَبَرٌّ مِنَ الْبَارِي إِذَا الْعَيْشُ لَمْ يَصِفْ
عَسَى نَفْحَةٌ فَرْدِيَّةٌ صَمَدِيَّةٌ
بِهَا تَنْقِضِي الْحَاجَاتُ وَالشَّمْلُ يُلْتَفُ
فَإِنِّي وَالشُّكْوَى إِلَى اللَّهِ كَالَّذِي
رَمَى نَفْسَهُ فِي لَجَّةٍ مَوْجُهَا يَطْفُو
فَمِنْ مَحَنِ الْأَيَّامِ قَلْبِي مُعَذَّبٌ
أَلَمْ يَرْوِحِي قَبْلَ حَتْفِ الْفَنَاءِ حَتْفُ
وَمِنْ فُرْقَةِ الْأَحْبَابِ قَلْبِي مُقْسَمٌ
ثَلَاثٌ وَأَرْبَاعٌ وَنِصْفٌ وَلَا نِصْفُ

وَإِنِّي لَأَرْضَى مَا قَضَى اللَّهُ لِي وَلَوْ
عَبَدْتُ عَلَى حَرْفٍ لَأُزْرَى بِِي الْحَرْفُ
وَلَمْ أَبْنِ حُسْنَ الظَّنِّ فِي سَيِّدِي عَلَى
شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَيَنْهَارُ بِي الْجُرْفُ
وَلَكِنْ دَعَوْتُ اللَّهَ يَكْشِفُ كُرْبَتِي
فَمَا كُرْبَةٌ إِلَّا وَمِنْهُ هَا كَشَفُ
فَكَمْ بُسِطَتْ كَفٌّ بِسُوءٍ تُرِيدُنِي
فَقَالَ هَا الْكَافِي إِلَّا غُلَّتِ الْكَفُّ
وَكَمْ هَمَّ صَرَفُ الدَّهْرِ يَصْرِفُ نَابَهُ
عَلَيَّ فَجَاءَ الْمَوْتُ وَانْصَرَفَ الصَّرْفُ
وَلَمْ أَعْتَصِمُ بِاللَّهِ إِلَّا وَمَدَّنِي
مَنْ الْبِرِّ ظِلًّا فِي رِضَاءٍ لَهُ وَكَفُّ^(١)
وَإِنِّي لُمُسْتَغْنٍ بِفَقْرِي وَفَاقَتِي
إِلَيْهِ وَمُسْتَقْوٍ وَإِنْ كَانَ بِي ضَعْفُ
وَفِي الْغَيْبِ لِلْعَبِيدِ الضَّعِيفِ لَطَائِفُ
بِهَا جَفَّتِ الْأَقْلَامُ وَانْطَوَتْ الصُّحُفُ

(١) وكُف: الوكف الجريان والتتابع.

بِقُدْرَةٍ مِّنْ شَدِّ اهْلَؤا وَبَنَى السَّمَاءِ
 طَرَائِقَ فَوْقَ الْأَرْضِ فَهِيَ لَهَا سَقْفٌ
 وَمَنْ نَصَبَ الْكُرْسِيِّ وَالْعَرْشَ وَاسْتَوَى
 عَلَى الْعَرْشِ، وَالْأَمْلَاقُ مِنْ حَوْلِهِ حَفُّوا
 وَمَنْ بَسَطَ الْأَرْضِينَ فَهِيَ بِلُطْفِهِ
 لِحَيِّ بَنَى الدُّنْيَا وَمِيتِهِمْ ظَرْفٌ
 وَأَلْقَى الْجِبَالَ الشُّمَّ فِيهَا رَوَاسِيًا
 فَلَيْسَ لَهَا مِنْ قَبْلِ مَوْعِدِهَا نَسْفٌ
 وَالْبَسَاسُ مِنْ سُندُسِ النَّبْتِ بِهِجَةً
 مِنَ النُّورِ مَا صِنْفٌ يُشَابِهُهُ صِنْفٌ
 وَسَخَّرَ مِنْ نَشْرِ السَّحَابِ لَوَاقِحًا
 إِذَا انْتَشَرَتْ دَرَّتْ سَحَابُهَا الْوُطْفُ^(١)
 وَأَنْشَأَ مِنْ أَلْفَافِهَا كُلَّ حَبَّةٍ
 بِهِ الْأَبُّ وَالرِّيحَانُ وَالْحَبُّ وَالْعَصْفُ
 وَيَعْلَمُ مَسْعَى كُلِّ سَارٍ وَسَارٍ
 وَمَا أَعْلَنُوهُ مِنْ خِطَابٍ وَمَا أَخْفَوْا



وَيَذِرِي دَيْبَ النَّمْلِ فِي اللَّيْلِ إِنْ سَعَتْ
وَإِنْ وَقَفَتْ مَا أَمَكَنَّ السَّعْيُ وَالْوَقْفُ
وَوَزْنُ جِبَالٍ كَمِ مَثَاقِيلَ ذَرَّةٍ
وَكَيْلُ بَحَارٍ لَا يُغَيِّضُهَا نَزْفُ
وَكَمْ فِي غَرِيبِ الْمَلِكِ وَالْمَلَكُوتِ مِنْ
عَجَائِبَ لَا يُحْصِي لِأَيْسَرِهَا وَصْفُ
فُسُبْحَانَ مَنْ إِنْ هَمَّ وَهَمٌ يَقْبِسُهُ
بِكُفٍّ وَتَكْيِيفٍ يُلْجِمُهُ الْكَفُّ
إِلَهِي أَقْلِنِي عَثَرَتِي وَتَوَلَّنِي
بِعَفْوٍ فَإِنَّ النَّائِبَاتِ لَهَا عُنفُ
خَلَعْتُ عِذَارِي ثُمَّ جِئْتُكَ عَائِذَا
بِعُذْرِي فَإِنْ لَمْ تَعْفُ عَنِّي فَمَنْ يَعْفُو

②٩• رحمتك اللهم

الإمام الشافعي

قَلْبِي بِرَحْمَتِكَ اللَّهُمَّ ذُو أَنْسٍ
 وَمَا تَقَلَّبْتُ مِنْ نَوْمِي وَفِي سِتِّي
 لَقَدْ مَنَنْتَ عَلَى قَلْبِي بِمَعْرِفَةٍ
 وَقَدْ آتَيْتُ ذُنُوبًا أَنْتَ تَعْلَمُهَا
 فَاْمُنْ عَلَيَّ بِذِكْرِ الصَّالِحِينَ وَلَا
 وَكُنْ مَعِيَ طَوْلَ دُنْيَايَ وَآخِرَتِي
 فِي السَّرِّ وَالْجَهْرِ وَالْإِصْبَاحِ وَالْغَلَسِ
 إِلَّا وَذِكْرُكَ بَيْنَ النَّفْسِ وَالنَّفْسِ
 بِأَنَّكَ اللَّهُ ذُو الْآلَاءِ وَالْقُدْسِ
 وَلَمْ تَكُنْ فَاضِحِي فِيهَا بِفَعْلٍ مُسِي
 تَجْعَلُ عَلَيَّ إِذَا فِي الدِّينِ مِنْ لَبَسٍ
 وَيَوْمَ حَشْرِي بِمَا أَنْزَلْتَ فِي عَبَسٍ^(١)



(١) ديوان الشافعي (ص: ٨٥).

③٠ • إلهنا ما أعد لك

أبونواس

إلهنا ما أعد لك	مليك كل من ملك
ليك قد ليبت لك	ليك إن الحمد لك
والملك لا شريك لك	والليل لما أن حلك
والسباحات في الفلك	على مجار المنسلك
ما خاب عبد أملك	أنت له حيث سلك
لولاك يا رب هلك	كل نبي وملك
يا مخطئاً ما أغفلك	عجل وبادر أجلك
واختم بخير عمالك	ليك إن الملك لك
والحمد والنعمة لك	والعز لا شريك لك ^(١)



(١) أناشيد فتية الحق (ص: ٤٦).

• 31 لك المجد في كل الوجود

عبد الرحمن حبنكة

إلهي. فأنت الخالق الصَّمَدُ الفردُ	لك المجد في كلِّ الوجود لك الحمدُ
وأنت مُعِينُ العبدِ ما التجأ العبدُ	إلهي وأنت الربُّ تَخْلُقُ مَا تَشَاءُ
ومنكَ إلهي السَّعْدُ ما أَقْبَلَ السَّعْدُ	لديكَ إلهي رزقنا وحياتنا
لديكَ وَمَا تَقْضِيهِ حَقٌّ لَهُ الحمدُ	وكلُّ تصاريِفِ الوجودِ قضاؤها
وكم ساءَ لنا خيراً إذا أَلَمَ الجِلْدُ	ولا خير إلا في يديكَ قضاؤها
وفيه لنا خيراً وفيه لنا مجدُ	وكم مؤلِمٌ للنَّفْسِ نكْرُهُ مَسَّهُ
حميدٌ وعلمُ الناسِ صَغْرُهُ الحَدُّ	فأنتَ حَكِيمٌ والحَكِيمُ بفعلِهِ





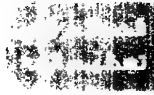
• 32 • تسبيحات^(١)

حازم القرطاجني

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنُ الْأُمَمِ
تَسْبِيحَ حَمْدٍ بِمَا أَوْلَى مِنَ النِّعَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنُ عَرَفَتْ
بِأَنَّ تَسْبِيحَهُ مِنْ أَفْضَلِ الْعِصَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْهُ أَلْسُنُ نَطَقَتْ
مِنْ عَالَمٍ فِي حِجَابِ الْغَيْبِ مُكْتَنِمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ حَمْدًا مَلَائِكَةٌ
لَهُ بِلَا فِتْرَةٍ تَعْرِو وَلَا سَامِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ سَبْعٌ لَهُ سَبَّحَتْ
مِنْ السَّمَوَاتِ ذَاتِ الْأَنْجُمِ الْعُتَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَتْ شَمْسُ النَّهَارِ لَهُ
وَالْبَدْرُ بَدْرُ الدُّجَى وَالشُّهُبُ فِي الظُّلَمِ
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ اللَّيْلُ الْبَهِيمُ لَهُ
وَسَبَّحَ الصُّبْحُ يُبْدِي تَغَرَّ مُبْتَسِمِ

(١) تسبيح ومناجاة وثناء (ص: ٩٩-١٠١).

سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ الْجِسْمُ الْجَمَادُ لَهُ
بِمَنْطِقٍ مِنْ لِسَانِ الْحَالِ مُنْفِهِم
سُبْحَانَ مَنْ سَبَّحَ الْحَيُّ الْفَصِيحُ لَهُ
بِمَنْطِقٍ مِنْ صَرِيحِ اللَّفْظِ مُلْتَمِّم
سُبْحَانَ مَنْ فَجَّرَ الْأَنْهَارَ أَسْفَلَهَا
وَأَنْشَأَ السُّحُبَ مِنْهَا فِي ذُرَى الْقِمَمِ
سُبْحَانَ عَالِمٍ مَا فِي الْعَالَمِينَ مَعَا
مِنْ كُلِّ مَا دَقَّ أَوْ ظَلَّ ذَا ضِحَمِ
سُبْحَانَ مَنْ كُلُّ حَيْنٍ فِي الْوُجُودِ لَهُ
إِعْدَامٌ مَوْجُودٍ أَوْ إِيجَادٌ مَنْعَدَمِ
سُبْحَانَ مَنْ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ
وَرَدَّهُ بَعْدَ أَمْشَاجٍ إِلَى رِمَمِ
سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ سُكْنَى الرُّوحِ فِي جَسَدِ
بَاقٍ إِلَى أَمَدٍ لَا بَدَّ مُخْتَرَمِ
سُبْحَانَ مَنْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ لِمَدَى
مِثْلُ الشَّبَابِ الَّذِي يُفْضِي إِلَى الْهَرَمِ
سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا وَصُورَتَهَا
مِثْلَ الْخَيَالِ سَرَى وَالْعَيْشِ كَالْحُلُمِ



سُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ الدُّنْيَا مُجْبِيَةً
مُلْتَذَةً مَعَ مَا فِيهَا مِنْ الْأَلَمِ
سُبْحَانَ مَنْ حَبَّبَ الْآخِرَى لَطَائِفِهَا
سَمَتَ إِلَى أَشْرَفِ الدَّارَيْنِ بِالْهَمَمِ
سُبْحَانَ مَنْ يَنْشُرُ الْمَوْتَى وَيَبْعَثُهُمْ
لِلْفَضْلِ مَا بَيْنَ ظَلَامٍ وَمُظْلَمٍ
سُبْحَانَ مَنْ بَيْنَهُم بِالْعَدْلِ يَحْكُمُ فِي
يَوْمٍ بِهِ لَيْسَ غَيْرُ اللَّهِ مِنْ حَكَمٍ
سُبْحَانَ مَنْ جَلَّ فِي سُلْطَانِهِ وَعَلَا
عَنْ أَنْ يُرَى مَعَهُ حُكْمٌ لِمُحْتَكَمٍ
سُبْحَانَ مَنْ شَاءَ تَدْبِيرَ الْأُمُورِ عَلَى
مَا خَطَّ تَقْرِيرُهُ فِي اللُّوحِ بِالْقَلَمِ
سُبْحَانَ مَنْ أَلْهَمَ الْعَبْدَ السَّعِيدَ لَمَّا
أَضْحَى الشَّقِيَّ إِلَيْهِ غَيْرَ مُلْتَهَمٍ
سُبْحَانَ مَنْ ضَلَّلَ الْأَشْقَى بِمَعْصِيَةٍ
فَضَّلَ عَنْ طَرِيقِ التَّوْفِيقِ وَهُوَ عَمٍ
سُبْحَانَ مَنْ إِنْ يَشَأْ يُجْزِ الْمَسِيءَ وَإِنْ
يَشَأْ عَفَا عَنْ كَبِيرِ الْإِثْمِ وَاللَّئِيمِ

سُبحَانَ مَنْ مِنْهُ نَرْجُو عَفْوَ مُقْتَدِرٍ
 وَنَسْتَعِيذُ بِهِ مِنْ بَطْشِ مُنْتَقِمٍ
 سُبحَانَ مَنْ يُعَدِّمُ الْمَوْجُودَ حِينَ يَشَاءُ
 سُبْحَانَ مَنْ أَوْجَدَ الْأَشْيَاءَ مِنْ عَدَمٍ
 سُبحَانَ مَنْ لَمْ يُحِطْ خَلْقُهُ بِهِ وَلَهُ
 إِحَاطَةٌ بِجَمِيعِ الْخَلْقِ كُلِّهِمْ
 سُبحَانَ مَنْ بِدَلِيلِ الْوَحْيِ زَادَ هُدًى
 مِنْ اهْتَدَى بِدَلِيلِ الْعَقْلِ وَالْفَهْمِ
 سُبحَانَ مَنْ شَاءَ إِمْدَادَ الْعُقُولِ بِمَا
 أَوْحَى إِلَى رُسُلِهِ فِي الْأَعْصُرِ الْقَدَمِ
 سُبحَانَ مَنْ تَمَّ الْحَسَنَ بِخَاتَمِهِمْ
 مُحَمَّدٍ خَيْرِ مَبْعُوثٍ وَمُخْتَلَمٍ

محمد البتاهي

طَرَقْتُ الْبَابَ يَا رَبِّي
لِقَلْبٍ ذَابَ فِي جَنْبِي
ضِيَاءٌ غَيْرُ ذِي لَهَبٍ
لِيَغْسِلَ صِدْقُهُ ذَنْبِي
نُ فِي رِضْوَانِهِ حَسْبِي
جِ عِنْدَ الْمَوْقِفِ الصَّعْبِ
نِ إِنْ ضَلَلْتُ عَلَى الدَّرَبِ
نُ وَاسْتَرْحَمْتُ فِي طَلَبِي
وَيَا غَوْثِي مِنَ الْكُرْبِ
مِ وَالْإِيَّامُ تَعَصِفُ بِي
نِ وَالْإِنْسَانُ يَغْدِرُ بِي
لِيُخْفِيَ صُورَةَ الذُّبِّ
حَ دُنْيَانَا مِنَ اللَّهِبِ
سِ مِنْ دَوَامَةِ الْكَذِبِ
ضِ مِنْ حَمَالَةِ الْحَطَبِ

بِكُلِّ الشَّوْقِ فِي قَلْبِي
وَفِي شَفَتِي ضَرَاعَاتُ
دُعَاءٍ فِي تَأْلُقِهِ
يَسِيلُ الطُّهْرُ فِي دَمْعِي
وَحَسْبِي أَنْكَ الرَّحْمِ
تُجِيبُ ضَرَاعَةَ الْمُحْتَاحِ
وَتَهْدِي خُطْوَةَ الْخَيْرِ
طَلَبْتُ رِضَاكَ يَا رَحْمَا
قَصَدْتُكَ يَا حِمَى رُوحِي
وَيَا حِصْنِي مِنَ الْآيَا
وَيَا عَوْنِي عَلَى الْإِنْسَا
وَيَلْبَسُ ثَوْبَ الْإِنْسَانِ
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ تَرْتَا
وَأَنْ يَرْتَا حَ صِدْقُ النَّا
وَأَنْ يَخْلُو رَحَابُ الْأَرْ

وَأَنْ يَرْضَى رِضَاءً يُنْفِ	قَدْ الدُّنْيَا مِنَ الْغَضَبِ
سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يَهْدِي	إِلَيْنَا نِعْمَةَ الْحُبِّ
وَأَنْ يَسْقِي ظِمَاءَ الرُّوْ	حٍ مِنْ تَيَّارِهِ الْعَذْبِ
وَأَنْ يَسْرِى رَحِيقُ الْحُحْ	بٍ مِنْ قَلْبٍ إِلَى قَلْبٍ
فَنَسْعُدُ كُلَّمَا ضَمَّتْ	خُطَانَا لِمَسَّةِ الْقُرْبِ
سَأَلْتُ اللَّهَ وَالْمَسْئُورِ	لُ فَوْقَ الشَّكِّ وَالرَّيْبِ
هُوَ الْمُعْطِي بِلَا مَنْ	عِطَاءٍ غَيْرِ مُقْتَضِبِ
دَعَوْتُ وَحُلَمِي الْمَأْمُورِ	لُ يَبْدُو الْيَوْمَ عَنْ كَثْبِ
تَعَالَى اللَّهُ مَنْ دَانِ	إِلَى الدَّاعِي وَمُقْتَرِبِ ^(١)



(١) من ديوان يا إلهي، لمحمد التهامي (ص: ٧-٨)، وانظر: رائق الشهد (ص: ٤٥١-٤٥٢).

خير الدين وانلي

آمَنْتُ بِرَبِّ لا يُقْهَرُ
بِالْجِبِّ كَفَرْتُ وَبِالطَّاغُو
لا رَبَّ لِهَذَا الْكُونِ سِوَى الْـ
الْخَلْقِ جَمِيعًا قَبَضْتُهُ
أَبْوَابُ الْخُلْدِ مَفْتَحَةٌ
وَمَلَائِكَةُ النَّارِ عَلَى الْـ
وَأَمَامَ الْجَنَّةِ تَرْحِيبٌ
وَالرَّسُلُ بِفِرْدَوْسٍ أَعْلَى
الْخُلْدِ طَرِيقٌ مَفْرُوشٌ
وَالنَّارُ بِلَذَاتٍ حُقِّقَتْ
لا يَغْفِرُ رَبِّي إِشْرَاكََا
وَشَفَاعَةُ أَحْمَدَ لِلْعَاصِي
وَكَذَاكَ شَفَاعَةُ قُرْآنٍ
لِلَّهِ سَجَدْتُ وَلَمْ أَسْجُدْ
لِلَّهِ نَكَذْتُ وَلَمْ أَنْذُرْ

سُبُوحٌ قُدُوسٌ أَكْبَرُ
تِ فَدَعَاؤِي الشَّرِكِ هِيَ الْمَنْكَرُ
خَلَّاقِ الْقَيُّومِ الْأَفْذَرُ
فِي الْحَشْرِ يَا هَوَلُ الْمُحْشَرِ
وَالنَّارُ بِمَنْ يَهْوِي تُسَعَّرُ
أَبْوَابُ تَنْفُذٍ مَا تُؤَمَّرُ
مِنْ رِضْوَانِ الْمَلِكِ الْأَشْهَرِ
وَالصِّدِّيقُونَ وَمَنْ شَمَّرَ
بِالشُّوْكِ طَوِيلٌ مُسْتَوْعَرُ
وَبِمَكْرُوهِ حُفِّ الْكَوْثَرِ
وَالْأَدْنَى مِنْ ذَنْبٍ يُغْفَرُ
مِنْ أَهْلِ الْمَلَّةِ لَا تُنْكَرُ
وَشَفَاعَةُ طِفْلِ مُسْتَضْغَرُ
يَوْمًا لِلطَّاغُوتِ الْأَكْفَرِ
لِلْقَبْرِ وَمَنْ فِيهِ يُقْبَرُ

بِسْوَاهُ فَاللهُ الْأَكْبَرُ	بِاللهِ حَلَفْتُ وَلَمْ أُحْلِفْ
فَذَاكَ هُوَ الشَّرْكُ الْأَصْغَرُ	لِلَّهِ عَمِلْتُ وَمَا رَأَيْتُ
أَجْرًا أَوْ أَبْغَيْ أَنْ أُذْكَرُ	فِي اللهِ أَجَاهِدُ لَا أَبْغِي
نَعَمَ الْمَرْجُوُّ الْمُسْتَنْصَرُ	وَالْعَوْنُ مِنَ الْمَوْلَى أَرْجُو
مَيْتًا أَوْ جَنِيًّا أَحْمَرُ	أَدْعُو الرَّحْمَنَ وَلَا أَدْعُو
لَا أَخْشَى جَبَارًا أَصْغَرُ	وَأَخَافُ الْجَبَّارَ الْأَعْلَى
لَا يَنْسَى الْحَبَّ وَلَا يَنْهَرُ	وَأُحِبُّ حَبِيبًا لَا يَفْنَى
لِسْوَاهُ الْهَدْيِ وَلَمْ أَنْحَرْ	لِلَّهِ ذَبَحْتُ وَلَمْ أَذْيَحْ
عَلَّامِ الْغَيْبِ وَمَا يَظْهَرُ	وَعَلَى الْقَيُّومِ تَوَكَّلْتُ
هُوَ الْمَقْصُودُ هُوَ الْأَظْهَرُ	رَبِّي الرِّزَاقُ هُوَ الْمَعْبُودُ
جَلَّ الْفَعَالُ الْمُسْتَقْدَرُ ^(١)	الْكُونُ جَمِيعًا قَبَضَتْهُ





• 35 • لله الأمر من قبل ومن بعد^(١)

إلى الله كلُّ الأمرِ في الخلقِ كلِّه
وليس إلى المخلوقِ شيءٌ من الأمرِ
إذا أنا لم أقبل من الدهرِ كلَّ ما
تكرهتُ منه طالَ عتبي على الدهرِ
تعوّدتُ مسَّ الضرِّ حتى ألفتُهُ
وأخوَجَنِي طولُ العزاءِ إلى الصَّبرِ
وصيرني يأسِي من الناسِ راجيًّا
لِسُرْعَةِ لُطْفِ اللَّهِ من حيثُ لا أدري



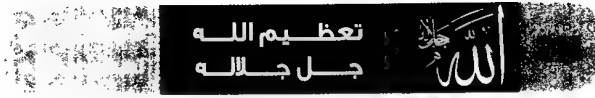
(١) الله أهل الشاء والمجد (ص: ٦٧٠).

36• إلهي وجاهي

لك الحمد طوعاً... لك الحمد فرضاً
 وثيقاً عميقاً... سماء وأرضاً
 لك الحمد صمتاً... لك الحمد ذكراً
 لك الحمد خفياً حثيثاً... ونبضاً
 لك الحمد ملء خلايا جناني
 وكل كياني... رنوا وغمضاً
 إلهي وجاهي إليك التجاهي
 وطيداً مديداً... لترضى فأرضي
 فأنت قوامي... وأنت انسجامي
 مع الكون والأمر لولاك فوضى^(١)



(١) من ديوان قلب ورب لعمر بهاء الدين الأميري (ص: ١٩٧-١٩٨).



• 37 • سبحانك يا الله

لَكَ الْحَمْدُ يَا مُسْتَوْجِبَ الْحَمْدِ دَائِمًا
عَلَى كُلِّ حَالٍ حَمْدٌ فَإِنْ لَدَائِمٍ
وَسُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ تَسْبِيحَ شَاكِرٍ
لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يَا ذَا الْمَرَاحِمِ
فَكَمْ لَكَ مِنْ سِتْرٍ عَلَى كُلِّ خَاطِئٍ
وَكَمْ لَكَ مِنْ بَرٍّ عَلَى كُلِّ ظَالِمٍ
وَجُودُكَ مَوْجُودٌ وَفَضْلُكَ فَائِضٌ
وَأَنْتَ الَّذِي تُرْجَى لِكَشْفِ الْمَظَالِمِ
وَبِأُفْكَ مَفْتُوحٌ لِكُلِّ مُؤَمِّلٍ
وَبِرُّكَ مَمْنُوحٌ لِكُلِّ مُصَارِمٍ
فِيَا فَالِقَ الْإِصْبَاحِ وَالْحَبِّ وَالنَّوَى
وَيَا قَاسِمَ الْأَرْزَاقِ بَيْنَ الْعَوَالِمِ
وَيَا كَافِلَ الْحَيْتَانِ فِي لُجٍّ بَحْرِيهَا
وَيَا مُؤَنِّسًا فِي الْأَفْقِ وَحَبَشَ الْبَهَائِمِ
وَيَا مُحْصِيَ الْأَوْرَاقِ وَالنَّبْتِ وَالْحَصَى
وَرَمَلِ الْقَلَا عَدًّا وَقَطَرِ الْغَمَائِمِ

إِلَيْكَ تَوَسَّلْنَا بِكَ اغْفِرْ ذُنُوبَنَا
 وَخَفِّفْ عَنِ الْعَاصِينَ ثِقْلَ الْمَظَالِمِ
 وَحَبِّبْ إِلَيْنَا الْحَقَّ وَاعِصْمْ قُلُوبَنَا
 مِنَ الزَّيْغِ وَالْأَهْوَاءِ يَا خَيْرَ عَاصِمٍ
 وَدَمَّرِ أَعَادِينَا بِسُلْطَانِكَ الَّذِي
 أَذَلَّ وَأَفْنَى كُلَّ عَاتٍ وَغَاشِمٍ
 وَمُنَّ عَلَيْنَا يَوْمَ يَنْكَشِفُ الْغَطَا
 بِسِتْرِ خَطَايَانَا وَمَحْوِ الْجَرَائِمِ
 وَصَلِّ عَلَى خَيْرِ الْبَرِيَّةِ نَبِيِّنَا
 مُحَمَّدٍ الْمَبْعُوثِ صَفْوَةِ آدَمَ

٣٨٠ ربّ رحماك!

يا إلهي.. ويا عظيمَ الصِّفَاتِ
ونجّائِ ضِراعتي.. وصلاتي
وانعتاقي.. ولذّتي.. وحياتي
هائمُ الشُّوقِ.. واكفُ^(١) العِبرَاتِ
سُطِرَتْ فِيهِ أَرْوَعُ الْآيَاتِ
وثرينا الإبداع.. والمعجزاتِ
سُتِرَافًا مِنْهُ بِفَيْضِ الْهِبَاتِ
من فُؤادي تَجِيْشُ بالدَّعَوَاتِ
أَيْنَ مِنِّي النُّهُوضُ بالواجباتِ
ل.. وَمَعْنَى تَجَرُّدِي.. وَتَبَاتِي
وَأَعْنِي رَبِّي عَلَى الطَّاعَاتِ
هُوَ يَوْمَ الْحَسَابِ جَبَلُ نَجَاتِي^(٢)

لَكَ مَحْيَايَ خَالِصًا.. وَمَمَاتِي
لَكَ سَعْيِي.. وَفِيكَ غَايَةُ حُبِّي
وَسُجُودِي.. مَعْرَاجُ رُوحِي وَعَقْلِي
وَكَأَنِّي فِي بَحْرِ نُورِكَ طَيْفٌ
وَأَرَى الْكُونَ.. الْفُضَاءَ.. كِتَابًا
كُلُّ شَيْءٍ مَرَأَتْهُ عَنْكَ تَحَكِّي
وَلِسَانُ الْوُجُودِ يَلْهَجُ بِالْحَمْدِ اع
رَبِّ رُحْمَاكَ!.. كُلُّ نَبْضَةٍ عِرْقٍ
قَصُرَتْ هِمَّتِي.. وَهَيْضَ جَنَاحِي
أَيْنَ بَنِي مِنْ أَجْلِكَ النَّفْسُ وَالْمَا
طَالَمَا قَدْ ظَلَمْتُ نَفْسِي.. فَعَفُوا
وَرَجَائِي.. وَحُسْنُ ظَنِّي.. وَصِدْقِي



(١) واكف: منهزم.

(٢) ديوان (جراح وكلّيات)، انظر: رائق الشهد (ص: ٧٠-٧١).

39• أطيّار

مصطفى عكرمة

هنا في الرّوضِ أطيّارٌ
أرى أشكالها اختلّفت
تناغمَ صوّثها.. وحكى
بالحنّانِ تبايُنُها
بأنّك أنتَ مُبدِئُها
وأنتَ هديتها طبعاً
وأنتَ منحتها عزّماً
تساوى عندَ أصغرها
أقامت في الدُّرى وكراً
تطيرُ له على أمنٍ
وتُخرجُ من حواصِلِها
وترعاها لكي تقوى
وتهتفُ باسمِكَ الأعلى
فكم من آيةٍ فيها

بَحْمَدِكَ سَبَّحت رَبِّي
ولكن كُلُّها تَصْبِي
لنا في رِقّةِ الصَّبِّ
بأفصحِ منطقٍ يُنبِي
ومُبدِعُ لحنِها العَذْبِ
يُجَيِّرُ كُلَّ ذي لُبٍّ
على التَّحليقِ يا رَبِّي
قَصِيّ البُعدِ بالقُربِ
لتأمنَ كُلَّ ذي رُغْبِ
وتَهْدِي البِشْرَ للزَّغْبِ^(١)
وتُطعِمُها من الحَبِّ
وتَمْرَحُ في المَدَى الرَّحْبِ
مُسَبِّحَةً يا رَبِّي
عَفَا عن وَغِيها صَحْبِي!

(١) الزغب: صغار الطير التي لا ريش لها.

وَإِدْرَاكَ الَّذِي تُوجِي	وَكَانَ.. وَلَمْ يَزَلْ دَائِبِي
فَمَنْ إِلَّاكَ أَرْشَدَهَا	لَتَحْيَا الْعُمْرَ فِي حُبٍّ!
وَمَنْ إِلَّاكَ سَوَّاهَا	تُخَيِّرُ كُلَّ ذِي لُبٍّ!
إِلَهِي إِنَّ بَعْضَ الطَّيِّبِ	رِي فِي تَسْبِيحِهَا.. قَلْبِي
وَحَسْبِي الْيَوْمَ إِيمَانِي	بِقُدْرَةِ خَالِقِي حَسْبِي ^(١)



(١) حتى ترضى (ص: ٤٢-٤٤).

40• يكفيك ربُّ لم تزل في حفظه

ابن قيم الجوزية

وكفاية ذو الفضل والإحسان	يكفيك من وسع الخلائق رحمة
في طرفة كتقلب الأجفان	يكفيك من لم تحل من إحسانه
تأتي إليك برحمة وحنان	يكفيك ربُّ لم تزل الطأفة
ويراك حين تجيء بالعصيان	يكفيك ربُّ لم تزل في ستره
ووقاية منه مدى الأزمان	يكفيك ربُّ لم تزل في حفظه
مُتقلِّباً في السرِّ والإعلان	يكفيك ربُّ لم تزل في فضله
فكلُّ يوم ربُّنا في شأن	يدعوه أهل الأرض مع أهل السما
لا يعترى جدواه من نقصان ^(١)	وهو الكفيل بكُلِّ ما يدعونه



٤١٠ تسبیحُ كلِّ الكائناتِ بحمدهِ

تَبَارَكَ مَنْ شُكْرُ الْوَرَى عَنْهُ يَقْصُرُ
لَكُونِ أَيْادِي جُودِهِ لَيْسَ تُحْصَرُ
وَشَاكِرُهَا يَحْتَاجُ شُكْرَ الشُّكْرِهَا
كَذَلِكَ شُكْرُ الشُّكْرِ يَحْتَاجُ يُشْكِرُ
فَفِي كُلِّ شُكْرٍ نِعْمَةٌ بَعْدَ نِعْمَةٍ
بَغَيْرِ تَنَاءٍ دُونَهَا الشُّكْرُ يَضَعُرُ
فَمَنْ رَامَ يَقْضِي حَقَّ وَاجِبِ شُكْرِهَا
تَحْمَلُ ضَمَنَ الشُّكْرِ مَا هُوَ أَكْبَرُ
تُسَبِّحُهُ الْحَيْتَانُ فِي الْمَاءِ وَفِي الْفَلَاحِ
وَحُوشٌ وَطَيْرٌ فِي الْمَهْوَاءِ مُسْتَخَرُ
وَفِي الْفُلُكِ وَالْأَمْلاكِ كُلُّ مُسَبِّحٍ
نَهَارًا وَلَيْلًا دَائِمًا لَيْسَ يَفْتُرُ
تُسَبِّحُ كُلُّ الْكَائِنَاتِ بِحَمْدِهِ
سَمَاءٌ وَأَرْضٌ وَالْجِبَالُ وَالْبُحُرُ
جَمِيعًا وَمَنْ فِيهِنَّ وَالْكُلُّ خَاشِعٌ
لِهَيْبَتِهِ الْعُظْمَى وَلَا يَتَكَبَّرُ

لَهُ كُلُّ ذَرَاتِ الْوُجُودِ شَوَاهِدُ
 عَلَى أَنَّهُ الْبَارِي الْإِلَهُ الْمَصُورُ
 دَحَا الْأَرْضَ وَالسَّبْعَ السَّمَاوَاتِ شَادَهَا
 وَأَتَقَنَهَا لِلْعَالَمِينَ لِيَنْظُرُوا
 وَأَبْدَعَ حُسْنَ الصُّنْعِ فِي مَلَكُوتِهَا
 وَفِي مَلَكُوتِ الْأَرْضِ كَيْ يَتَفَكَّرُوا
 وَأَوْتَدَهَا بِالرَّاسِيَّاتِ فَلَمْ تَمُدَّ
 وَشَقَّقَ أَنْهَارًا بِهَا تَتَفَجَّرُ
 وَأَخْرَجَ مَرَعَاهَا وَبَثَّ دَوَابَّهَا
 وَلِلْكُلِّ يَأْتِي مِنْهُ رِزْقٌ مُقَدَّرُ
 مِنَ الْحَبِّ ثُمَّ الْأَبَّ وَالْقَضْبِ وَالْكَلَا
 وَنَخْلٍ وَأَعْنَابٍ فَوَاكِهُ تُثْمِرُ
 فَأُضْحَتْ بِحُسْنِ الزَّهْرِ تَزْهُو رِيَاضُهَا
 وَفِي حُلَلٍ نَسِجِ الرَّبِيعِ تَبَخَّرُ
 وَزَانَ سَمَاءً بِالمَصَابِيحِ أَصْبَحَتْ
 وَأَمْسَتْ تُبَاهِي الْحُسْنَ تَزْهُو وَتَزْهَرُ
 تَرَاهَا إِذَا جَنَّ الدُّجَى قَدْ تَقَلَّدَتْ
 قَلَائِدَ دُرِّيٍّ لِـدُرٍّ مُحَقَّرُ

فِيَا نَاطِرًا زَهَرَ الْبَسَاتِينَ دُونَهَا

أَظُنُّكَ أَعْمَى لَيْسَ لِلْحُسْنِ تُبْصِرُ^(١)

④٢٠ الله سندنا

خير الدين وانلي

ما غيرُ الله لنا سَنَدُ	فعليه دَوْمًا نَعْتَمِدُ
لم نشركُ يومًا بالباري	فهو الأحدُ الفردُ الصَّمَدُ
من للمضطرِّ إذا نادَى	كي يكشفَ عنه ما يجدُ؟
من للمحزونِ وللمكرو	بِ وللملهوفِ المعتمِدُ؟
من غيرُ الله يُؤَيِّدُنَا	بالنصرِ ومن منه المددُ؟
فعلى الرحمنِ توكلْنَا	وإليه نَجِدُ ونجتهدُ
وله أسلَمْنَا عن طوع	وبه نعتزُّ ونعتضِدُ
وإليه أنبنا في ذلِّ	من هَوُلِ جهنمَ نرتعدُ
ندعوهُ نرجو جنتَهُ	فالخلدُ منالٌ مبتعدُ
لكنَّ الرحمةَ واسعةٌ	يؤتاها العبدُ المجتهدُ ^(٢)

■ ■ ■

(١) رائق الشهد (ص: ٨٥-٨٦).

(٢) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٣١).

43• أَمَّنْ يَنْجِيكُمْ فِي ظِلْمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ

عبد الرحمن حينئذ

وَحَمَلْتُ فِي الْفُلِّ أَحمَالَهَا	رَكِبْتُ الْبَحَارَ وَأَهْوَالَهَا
وَقَدْ زُلْزِلَتْ فِيهِ زَلْزَالَهَا	وَحُضِضْتُ الْعُبابَ وَأَمَواجَهُ
بِ وَجَرْتُ لِيَالِيهِ أَذْيَالَهَا	وَهَاجَتْ عَوَاصِفُهُ فِي الضَّبَا
تُ وَقَطَعْتُ النَّفْسُ آمَالَهَا	وَخَفَّتْ عَلَى مَوْجِهِ الْجَارِيَا
وَأَوْقَفْتُ النَّاسَ أَعْمَالَهَا	وَلَمْ يَبْقَ مِنْ سَبَبٍ يُرْتَجَى
فَإِنَّكَ وَحْدَكَ تُرْجَى لَهَا	وَنَادَى الْمُنَادِي: إِلَهِي أَغِثْ
ة وَنَالَ السَّلَامَةَ مِنْ نَاهَا	فَارْخَى الْمُهِيمُنُ حَبْلَ النَّجَا
وَأَلْقَتْ عَلَى الْبَرِّ أَثْقَالَهَا	وَأَرْسَتْ عَلَى الشَّاطِئِ الْمُرْتَجَى
وَلَمْ يُنْسِهَا الْأَمْنُ أَحْوَالَهَا	وَأَنْتَ عَلَى اللَّهِ نَفْسُ الشُّكُورِ
وَمَرَّتْ مُجَرَّرُ أَذْيَالَهَا	وَكَمْ أَنْفُسٍ جَحَدَتْ رَبَّهَا
عَلَيْهَا مِنَ الْوَهْمِ فَاجْتَالَهَا	وَسَاوَسُ شَيْطَانِهَا اسْتَحْوَذَتْ
دِ تَقَابِلُ أَنْعَمَ مِنْ عَالَهَا	فِيَا وَيْلَهَا أَنْفُسًا بِالْجُحُو
تِ وَتَعْبُدُ بِالذُّلِّ مُغْتَالَهَا	وَتَتَّبِعُ أَوْهَامَهَا الْبَاطِلَا

• 44 • زهرة الروض أجيبني

شَدَّنِي الْحُسْنَ وَأَغْرَى	إِذ رَأَتْ عَيْنَايَ زَهْرَهُ
تَنْشُرُ الْعِطْرَ وَتُضْفِي	مِنْ شَذَا الْعِطْرِ الْمَسْرَهُ
بِهَجَّةِ الْعَيْنِ وَلُطْفًا	رَفَّ إِحْسَاسًا وَفِكَرَهُ
يَأْسِرُ الرَّائِنَ طَوْعًا	يَنْفُحُ الْأَرْجَاءَ سِحْرَهُ
زَهْرَةَ الرَّوْضِ أَجِيبِي	مَنْ تُرَى أَهْدَاكِ نَظْرَهُ
مَنْ تُرَى أَنْشَاكِ أَنْسَا	لِمَحِيبٍ زَادَ صَبْرَهُ
مَنْ تُرَى أَهْدَاكِ أَلْوَا	نَا لَهَا فِي السَّحْرِ قُدْرَهُ
تَجْذِبُ الرَّائِنَ طُرًّا	تَفْتِنُ الْأَلْبَابَ بُكْرَهُ
مِنْ أَنْاسٍ وَطُبُورٍ	رَاقَهَا الْحُسْنَ بِزَهْرِهِ
أَوْ هَوَامٍ تَنْقُلُ الطَّلَعَ	فَتَزْهُو مِنْهُ دُرَّهُ
مَنْ تُرَى أَهْدَاكِ عِطْرًا	تَنْشُدُ الْأَحْيَاءَ سِحْرَهُ
مَنْ تُرَى سَوَاكِ شَكْلًا	يُرْهِفُ الْحِسَّ بِنَظْرِهِ
مَنْ تُرَى أَجْرَى حَيَاةٍ	فِيكَ إِذْ مَا كُنْتَ بِذُرِّهِ
مَنْ تُرَى أَتَبْتَ مِنْ مَيِّ	بِ حَيَاةٍ وَمَسْرَهُ
مَنْ تُرَى أَسْرَى بِكِ الْمَا	ءَ فَكَانَتْ مِنْهُ خُضْرَهُ
زَهْرَةَ الرَّوْضِ تُرَى مِنْ	فِيكَ قَدْ أَوْدَعَ خَيْرَهُ

مِنْ تُرَى أَهْدَاكَ سِحْرًا زَاهِيًا يُحْسِنُ أَسْرَهُ
 فَأَمَّالَتْ زَهْرَتِي رَأً سَاوَأَمَّتْ لِي بِنَظَرِهِ
 خَالِقِي اللَّهِ تَعَالَى فِي قَدِّ أَوْدَعَ سِرَّهُ
 خَالِقِي اللَّهِ تَجَلَّى مُبْدَعًا فِي كُلِّ ذَرَّةٍ ^(١)



• 45 • توبته وإقبال

رَبِّ قَدْ أَقْبَلْتُ فِي ظِلِّ رَحَابِكَ
خَاشِعَ الطَّرْفِ لَدَى نَوْرِ شَهَابِكَ
خَاضِعَ النَّفْسِ ذَلِيلًا صَاغِرًا
وَفَوَّادِي سَاجِدٌ يُجْئُو بِيَابِكَ
كَمْ بَكَى يَا رَبِّ فِي سَجْدَتِهِ
إِذْ يَهَابُ الْهَوَلَ فِي يَوْمِ حِسَابِكَ
يَرْقُبُ الْغَفْرَانَ فِي يَوْمِ الظَّنِّ
وَهُوَ يَرْجُو الْوَرْدَ مِنْ قَيْضِ شَرَابِكَ
كَلِمًا وَسُوسَ شَيْطَانِ الْهَوَى
قُلْتُ يَا شَيْطَانُ سُخِّقًا لِسَرَابِكَ
أَوْ دَعَانِي خَاطِرٌ يَعْصِفُ بِي
قُلْتُ يَا شَاعِرُ رَفَقًا بِشَبَابِكَ
كَيْفَ تَشْرِي ضَلَّةً بَعْدَ هَدًى
وَتُمْنِّي النَّفْسَ ظَلَمًا بِخَرَابِكَ
أَنْتَ مَا زِلْتَ فَتًى لَا تَرْعَوِي
ضَلَّتِ الْحِكْمَةُ فِي غَضِّ إِهَابِكَ

عُذُّ إِلَى اللَّهِ وَرَتَّلْ آيَهُ
فَلَعَلَّ اللَّهُ يَرْضَى بِمَتَابِكَ
رَبِّ لَنْ يَهْدِيَنِي فِي خَيْرِي
غَيْرُ نُورٍ وَسَنَاءٍ مِنْ كِتَابِكَ^(١)

• 46 رحماك يا ربَّ العبادِ

ورضاك قَصْدِي فاستجبْ لِدُعَائِي	رَحْمَاكَ يَا رَبَّ الْعِبَادِ رَجَائِي
منك الرِّضَا فَجُدْ بَوَلَائِي	وَحِمَاكَ أَبْغِي يَا إِلَهِي رَاجِيَا
إِنْ لَمْ تُجِبْنِي فَمَنْ يُجِيبُ بُكَائِي	نَادَيْتُ بِاسْمِكَ يَا إِلَهِي ضَارِعَا
فَلَقَدْ عَيَيْتُ مِنَ الْبِعَادِ النَّائِي	أَنْتَ الْكَرِيمُ فَلَا تَدْعُنِي تَائِهًا
فَلَيْتَ رُدِدْتُ فَمَنْ سِوَاكَ رَجَائِي	مَا لِي سِوَى أَعْتَابِ جُودِكَ مُؤَلِّ
مُتَذَلِّلًا فَلَا تَرُدُّ رَجَائِي ^(٢)	وَلَقَدْ رَجَوْتُكَ يَا إِلَهِي ضَارِعَا



(١) يوسف العظم (السلام الهزيل) (ص: ١٤-١٦).

(٢) أناشيد فتية الحق (ص: ٣٧).

• 47 • توكلتُ على الله

توكلتُ في رزقي على الله خالقي
وأيقنتُ أن الله لا شك رازقي
وما يكُ من رزقي فليس يفوتني
ولو كان في قاع البحار الغوامق
سيأتي به الله العظيم بفضله
ولو لم يكن مني اللسان بناطق
ففي أي شيء تذهب النفس حسرةً
وقد قسم الرحمن رزق الخلائق^(١)

■ ■ ■

(١) ديوان الشافعي (ص: ٩٩).

48• حبيب القلوب

هَبِ الرِّسْلُ لَمْ تَأْتِ مِنْ عِنْدِهِ
أَلَيْسَ مِنَ الْوَاجِبِ الْمُسْتَحَقُّ
فَمَنْ لَمْ يَكُنْ عَقْلُهُ أَمْرًا
وَأِنْ الْعَقُولَ لَتَدْعُو إِلَى
أَلَيْسَتْ عَلَى ذَاكَ مَجْبُولَةٌ
أَلَيْسَ الْجَمَالُ حَبِيبَ الْقُلُوبِ
أَلَيْسَ جَمِيلًا يَحِبُّ الْجَمَالَ؟
أَمَا بَعْدَ ذَلِكَ إِحْسَانُهُ
فَمَنْ ذَا يُشَابِهُهُ أَوْصَافُهُ؟
وَمَنْ ذَا يَكْفِيهِ إِحْسَانُهُ
وَهَذَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ
فِيَا مَنْكَرًا ذَاكَ وَاللَّهِ أَنْتَ
وَيَا مَنْ يُحِبُّ سِوَاهُ كَمَثَرٍ
وَيَا مَنْ يُوَحِّدُ مَحْبُوبَهُ
حَظِيئَتٌ وَخَابُوا فَلَا تَبْتَسُّسُ

وَلَا أُخْبِرْتُ عَنْ جَمَالِ الْحَبِيبِ
مَحَبَّتُهُ فِي اللَّقَا وَالْمَغِيبِ؟
بَذَا مَا لَهُ فِي الْحِجَى مِنْ نَصِيبِ
مَحَبَّةِ فَاطِرِهَا مِنْ قَرِيبِ
وَمَفْطُورَةٍ لَا بَكْسَبٍ غَرِيبِ؟
لذَاتِ الْجَمَالِ، وَذَاتِ الْقُلُوبِ؟
تَعَالَى إِلَهُ الْوَرَى عَنْ نَسِيبِ
بِدَاعٍ إِلَيْهِ الْفُؤَادِ الْمُنِيبِ؟
تَعَالَى إِلَهُ الْوَرَى عَنْ ضَرِيبِ^(١)
فِيأُلْهِهُ قَلْبُ عَبْدٍ مُنِيبِ؟
إِلَى كُلِّ ذِي الْخَلْقِ أَوْلَى حَبِيبِ
عَيْنُ الْخَصِيمِ وَعَيْنُ الْحَرِيبِ^(٢)
لِ مَحَبَّتِهِ أَنْتَ عَبْدُ الصَّلِيبِ
وَيُرْضِيهِ فِي مَشْهَدٍ، أَوْ مَغِيبِ
بَكِيدِ الْعَدُوِّ وَهَجَرِ الْقَرِيبِ^(٣)

(١) ضريب: يقال: فلانٌ ضريب فلان: إذا كان شبيهًا له.

(٢) الحريب: المحارب والمسلوب.

(٣) الله أهل الثناء والمجد (ص: ٣٦٣-٣٦٤).

٤٩٠ آيات من الدرر

محمد عبد الله القولي

واستنطق الحسن في زهر وفي شجر
ورش في وجهها الوسنان بالمطر
فاستعذبت دفئها المحفوف بالحدر
كأنها الطيف يغشاها بلا كدر
وتستقي رعدا ينساب بالنهر
تدغدغ السمع في لحن بلا وتر
فيتشي الحس ما في الكأس من سكر
ومسحت ذيل طيف عاد للسفر
وأعدت مجلسا كم طاب للبشر
تحير القلب من أثوابها الكثر
وقلبت تصطفي الفتان للنظر
عقدا تالقت في نجماته الزهر
قد هيج اللؤلؤ الوضاء كالقمر
وصفقت للجواري إقني أثري
فاختالت الأرض في وشي من الزهر
وأفردت ذيله المرشوش بالصور

تبارك الله زان الأرض بالدرر
وهزأ الأرض من نوم ليوظها
وأرسل الشمس تذكيتها بقبلتها
وحرك الرياح مسّت شعرها بيد
وأرسل النهر تطفي فيه حرقتها
وأبجع الطير فاهتزت معازفها
وغرد البلبل الصداح يطربها
وفتحت عينها والنوم يجذبها
وسبحت ربها الوهاب واتكأت
وفكرت أي ثوب تنتقي لهمو
تنهدت نشرت أزهى ملابسها
وسارعت لحلاها تنتقي قمرا
تقلدته وفي حباته بر
تبسمت وارتدت ثوبا يزيئها
تبارك الله أعطى الحسن مقتدرا
وجر جرت ثوبها المعطور منسجه

وَأَشْرَقَتْ بَعْطَاءُ اللَّهِ تَلَبَّسُهُ
 ترنو إلى الماءِ تلقى فيه صُورَتَهَا
 شَتَّى من النَّبْتِ هَذِي الْأَرْضُ قَدْ وَلَدَتْ
 ففي الرُّبَا شَجَرٌ أَفْنَانُهُ ضَحِكَتْ
 وفي البحارِ نباتٌ راقٍ سَاكِنَهَا
 والنَّهْرُ قِيَعَانُهُ بِالنَّبْتِ قَدْ فُرِشَتْ
 والماءُ مُدْهِشَةٌ في الْأَرْضِ صِنْعَتُهُ
 تبارك اللهُ أَعْطَى الْأَرْضَ فَتَنَّتَهَا
 وتزدهي بجمالِ سارٍ في زَمَرٍ^(١)
 وتتشبي فرحاً من آيها الغررِ
 وأودعتها الدُّنَا للعيشِ والنَّظَرِ
 ويُسِّمُ الزَّهْرُ مَطْوِيًّا على نَمَرٍ
 تحيا عليه ويحميها من الخطرِ
 تبارك اللهُ بَثَّ الْخَيْرَ في النَّهْرِ
 والنَّبْتُ مُحْتَلِفٌ في الذَّوْقِ والصُّورِ
 واستنطق الشعرَ آياتٍ من الدُّرَرِ^(٢)



(١) زمر: جماعات.

(٢) رائق الشهد (ص: ٣٣٢-٣٣٤).

خير الدين والنبي

لا أَرْكَى ولا أَطِيبُ
لا أُنْدَى ولا أَطْرَبُ
لا أَبْهَى ولا أَعْجَبُ
لا أَقْوَى ولا أَغْرَبُ
رفيقتَه ويُغْرِها
فلا تُنسى بواديها
يعانق رملَ شاطئها
إلى الغَيماتِ يُمْدِها
بكلِّ خَلِيقَةٍ تَظْهَرُ
إلى الأعْراضِ فالْجَوْهَرُ
ولا تَسْتَعْلِ أو تَفْخَرْ
وأنتِ الأَضْعَفُ الأَصْغَرُ
لِمَن يَسْتَوْضِحُ السَّرَّاءُ
لِرَاجٍ عِنْدَ النَّصْرَاءِ

تفوحُ روائِحُ الرِّيحانِ
ويشْدُو الطيرُ في البستانِ
ويزهو الزهرُ في الرِّمانِ
فَجَلَّتْ قُدْرَةُ الرَّحْمَنِ
يُنَادِي البلبُلُ الشَّادِي
وتثغو^(١) الشَّاةُ في الوَادِي
وماءُ البركةِ الهادي
وأحانُ من الحادي
يدُ الإبداعِ في الكونِ
من الأصواتِ واللونِ
فَسِرْ في الأرضِ في هَوْنٍ
فأنتِ أحقُّ بالعَوْنِ
كتابُ اللهِ مَفْتُوحٌ
ونصرُ اللهِ مَنصُوحٌ

ورزقُ الله مَطْرُوحٌ	لمن قد قَدَّمَ الشُّكْرَا
وفعلُ الخيرِ مَسْمُوحٌ	به فاستكثرِ الأجرَ
عن الأرواحِ لا تَسْأَلُ	فسرُّ الروحِ مجهولٌ
ولا تُهْمَلُ ولا تَكْسَلُ	فراعي الضَّانِ مَسْئُولُ
وسلَّ عن كلِّ ما تَجْهَلُ	فهذا العِلْمُ مَبْذُولُ
ويَلْقَى المرءُ ما يَعْمَلُ	وَفَضَّلَ اللهُ مَأْمُولُ
تَأْمَلُ صَنْعَةَ الخَالِقِ	وكلُّ الخلقِ آيَاتُ
فهذا كَوَكَبٌ سَامِقُ	وهذِي الأرضُ ذَرَّاتُ
وهذا شامخٌ شاهِقُ	وذاك السَّهْلُ جَنَّاتُ
وموجٌّ زاخرٌ دافِقُ	وأحياءٌ وأمواتُ
وكلُّ الكونِ إحْكامُ	مِنَ الأسمَى إلى الأصغرِ
ودينُ اللهِ إِسلامُ	على أديانهم يظهَرُ
وشرعُ اللهِ أحْكامُ	جَلِيَّاتٌ لِمَن أَبْصَرَ
ووحْيُ اللهِ إلهامُ	فجَلَّ الخالقُ الأَكْبَرُ ^(١)



• 51 عجائب أصناف النبات

عبد الرحمن حبنكة

تدلُّ على الخالقِ المقتدرِ	عجائبُ لا تنتهي في النباتِ
عجائبُ في نجمِهِ والشَّجرِ	عجائبُ في أصلِ تكوينِهِ
وفي السُّوقِ ثمَّ بفيضِ الثَّمَرِ	عجائبُ لا تنقضي في الجذورِ
وما جمعتُ من ثُغورِ كُثُرِ	عجائبُ تدو بأوراقِهِ
وتختارُ فيما حواه الفكرُ	نسيجٌ به يُذهشُ الناظرينَ
فتحلُّو صُنُوفٌ وأخرى تَمَرُّ	ومختلفاتٌ به لا تُعدُّ
فيعرفُ قيمتهما من خبرِ	وكلُّ له مِيزةٌ في الحيا

52• سُبْحَانَكَ رَبِّي

أُسَبِّحُ رَبِّي مِثْلَ الطُّيُورِ
أَرَى كِبْرِيَاءَ بِلَوْنِ السَّمَاءِ
وَفِي شَفَقٍ مُشْفِقٍ كَالْجِرَاحِ
وَحِينَ يَسَاقُ السَّحَابُ الْجَوَادِ
وَفِي الشَّمْسِ لُفَّتْ بِخَذْرِ الْحَيَاءِ
وَفِي النَّخْلِ دَانٍ بِقَنَوَانِهِ
بَصُوتٍ تَرَفَّرَ بَيْنَ الْحَصَا
بَغِيْطَةٍ بَشِيرٍ بَلِيلِ حَزِينِ
أَبِيعُ وَرَبِّي مَنِي اشْتَرَى
وَأُشْهِدُ خَلْقَكَ أَنِّي عَبْدٌ
وَأُسَلِّمُ عِنْدَ لِقَاكَ الرَّحَا

وَأَهْتَفُ بِاسْمِ إلهِي كَبِيرِ
وَوَمُضِ النُّجُومِ وَبُعْدِ الْمَسِيرِ
يُذَكِّرُ مَنْ أَبْصَرُوا بِالسَّعِيرِ
لِيُخَيِّبَ فِي الْأَرْضِ مَوْتَى الْقَبُورِ
تُنَادِي الْأَحْبَةَ عِنْدَ الْبُكُورِ
وَفِي النَّخْلِ يَجْمَعُ حُلُوَ الْعَبِيرِ
بِكَفِّ الْحَبِيبِ الْبَشِيرِ النَّذِيرِ
يَبْسُطُ طِفْلٍ حَبِيبٍ صَغِيرِ
أَبِيعِ الْحَيَاةَ وَلَا أَسْتَشِيرِ
أَحَبَّ الْمَلِكِ الْعَزِيزِ الْغُفُورِ
لَ وَالْقِي لَدَيْكَ عَنَاءُ الْمَسِيرِ^(١)



(١) أناشيد دعوة الحق (ص: ١٣٦).

530 قف بالخضوع

البرعي

إِنَّ الْكَرِيمَ يُجِيبُ مَنْ نَادَاهُ
بِالْجُودِ يُرْضِي طَالِبِينَ رِضَاهُ
مَبْسُوطَتَانِ لِسَائِلِيهِ يَدَاهُ
يَرْجُوهُ مُنْقَطِعًا إِلَيْهِ كِفَاهُ
مَا لِلْخَلَائِقِ كَافِلٌ إِلَّا هُوَ
وَفَقِيرُهَا لَا يَرْجُونَ سِوَاهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَرُّهُمْ بِغِنَاهُ
هُوَ بَاطِنٌ لَيْسَ الْعُيُونُ تَرَاهُ
تَقِفُ الظُّنُونُ وَتَحْرُسُ الْأَفْوَاهُ
أَبَدًا فَمَا النَّظَرَاءُ وَالْأَشْبَاهُ؟!
لَوْلَاهُ مَا شَهِدَتْ بِهِ لَوْلَاهُ
بِالْغَيْبِ تَوَثَّرَ حُبُّهَا إِيَّاهُ
وَلَهُ سُجُودٌ أَوْجُهُ وَجِبَاهُ
وَلَهُ عَلَيْهَا الطَّوْعُ وَالْإِكْرَاهُ
تَدْعُوهُ مَعْبُودًا لَهَا رَبَّاهُ

قف بالخضوع ونادِ يا الله
واطلب بطاعته رِضاهُ فلم يزل
واسأله مغفرةً وفضلاً إنَّه
واقصده منقطعاً إليه فكلُّ من
شملت لطائفه الخلائق كلها
فعزيزها وذليلها وغنيها
ملك تدين له الملوك ويلتحي
هو أوَّل هو آخر هو ظاهر
حجبته أسرار الجلال فدونه
صمد بلا كف ولا كيفية
شهدت غرائب صنعه بوجوده
وإليه أذعن العقول فأمنت
سبحان من عنت الوجوه لوجهه
طوعاً وكرهاً خاضعين لعزه
سل عنه ذرات الوجود فإنها

أَبْدِي بِمُخَكِّمِ صَنِيعِهِ مِنْ نُطْفَةٍ
وَبَنَى السَّمَوَاتِ الْعُلَا وَالْعَرْشَ وَالْأَرْضَ
وَدَحَا بِسَاطِ الْأَرْضِ فَرَشًا مُثَبَّتًا
تَجْرِي الرِّيَّاحُ عَلَى اخْتِلَافٍ هَبُوبِهَا
رَبُّ رَحِيمٌ مُشْفِقٌ مُتَعَطِّفٌ
كَمْ نِعْمَةٍ أَوْلَى وَكَمْ مِنْ كُرْبَةٍ
وَإِذَا بُلِيتَ بِغُرْبَةٍ أَوْ كُرْبَةٍ
لَا تُحْسِنُ الظَّنَّ الْجَمِيلَ بِهِ يَرَى
وَلِحِلْمِهِ سُبْحَانَهُ يُعَصِّى فَلَمْ
يَأْتِهِ مُعْتَذِرًا فَيَقْبَلُ عُذْرَهُ
يَا ذَا الْجَلَالِ وَذَا الْجَمَالِ وَذَا الْبَقَا

بَشَرًا سِوَيَّا جَلَّ مَنْ سِوَاهُ
كُرْسِيٍّ ثُمَّ عَلَا عَلَيْهِ عُلَاهُ
بِالرَّاسِيَّاتِ وَبِالنَّبَاتِ حَلَاهُ
عَنْ إِذْنِهِ وَالْفُلُكُ وَالْأَمْوَاهُ
لَا يَنْتَهِي بِالْحَضَرِ مَا أَعْطَاهُ
أَجَلَى وَكَمْ مِنْ مُبْتَلًى عَافَاهُ؟!
فَادْعُ الْإِلَهَ وَنَادِ يَا اللَّهُ
سُوءًا وَلَا رَاجِيَهُ خَابَ رَجَاؤُهُ
يَعْجَلُ عَلَى عَبْدٍ عَصَى مَوْلَاهُ
كَرَمًا وَيَغْفِرُ عَمْدَهُ وَخَطَاؤُهُ
يَا مُنْعِمًا عَمَّ الْأَنْعَامَ نَدَاهُ

خير الدين والنبي

بديع كل ما في الكون	ن خلق المبدع القادر
جميل كل ما في الكون	ن للمستمتع الشاعر
تأمل هل ترى عيًّا	بصنع المتقن الفاطر
تعالى الله رب العرش	جل الباطن الظاهر
تأمل زهرة التفاح	ذات السحر والعطر
وتابع شذو شخرو	يُنَاجِي بِسْمَةِ الفجر
وراقب نملة تسعى	ونحلًا غاص في الزهر
ونهرًا فضة يجري	على حصباء كالذر
تأمل طائرًا يسعى	على أفراده الرغب
وبطًا سابحًا يجري	مع التيار في حرب
وشاة طفلها تدعو	نغاء مفرح القلب
ومهرًا قافزًا يلهو	على بسط من العشب ^(١)



550 سبحان الله

يوسف العظم

فَالْكُونُ مِنْ آيَاتِهِ	لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ
أَوْ نَامَ فِي سَكَنَاتِهِ	إِنْ ضَجَّ فِي حَرَكَاتِهِ
وَاللَّيْلُ فِي ظُلُمَاتِهِ	وَالصُّبْحُ فِي إِشْرَاقِهِ
وَالنَّجْمُ فِي رَعَشَاتِهِ	وَالشَّمْسُ فِي كِبِدِ السَّمَاءِ
إِنْ هَبَّ أَوْ نَسَاتِهِ	وَالْجَوُّ فِي إِعْصَارِهِ
وَالْبَرْقُ فِي مَمْضَاتِهِ	وَالرَّعْدُ دَوًى قَاصِفًا
يَخْتَالُ فِي خُطُواتِهِ	وَاللَّيْثُ فِي فَلَوَاتِهِ
أَوْ نَامَ فِي وَكَنَاتِهِ	وَالطَّيْرُ حَلَقَ فِي الْفَضَاءِ
يُفُوحُ مِنْ رَوْضَاتِهِ	وَالْوَرْدُ وَالْعِطْرُ الشَّدِيدُ
أَشْوَاكُ بَعْضُ مُحَامَاتِهِ	دَانَتْ لَهُ الْأَزْهَارُ وَالْ
أَوْ تَهَزَّؤُوا بِدُعَاتِهِ	لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ
إِعْجَازَ فِي كَلِمَاتِهِ	سُبْحَانَهُ قَدْ حَقَّقَ الـ
فَالرِّزْقُ مِنْ آيَاتِهِ	لَا تَمْتَرُوا فِي ذَاتِهِ
بَرٌّ بِمَخْلُوقَاتِهِ	سُبْحَانَهُ مِنْ خَالِقِ
وَأَفَاضَ مِنْ خَيْرَاتِهِ	عَمَرَ الْوُجُودَ بِفَضْلِهِ

من نَبَعِهِ الثَّرَّ الغَزِيرِ
 نَاءَتْ بِهِ السُّحُبُ الثُّقَا
 والحَقْلُ حَانَ حَصَادُهُ
 والنَّهْرُ فِي السَّهْلِ الْفَسِيدِ
 والغَابُ ظِلٌّ وَارِفٌ
 والماءُ صَافٍ فِي الْغَدِيدِ
 لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ
 فَالْحِلْمُ وَالْغُفْرَانُ وَاللَّهُ
 لَا تَمُتُّوا فِي ذَاتِهِ
 وَالصَّدْرُ فِي أَنْفَاسِهِ
 وَالثَّغَرُ فِي تَسْبِيحِهِ
 وَالصَّوْمُ فِي رَمَضَانِهِ
 وَالْمُؤْمِنُ الْبَرُّ الْكَرِيمُ
 وَالصَّالِحُ الْعَفْءُ النَّقِيُّ
 يَرْجُو الرِّضَى مِنْ رَبِّهِ
 وَالْفَاجِرُ الْغَرُّ الْجَهُوُ
 لَا يَسْتَقِيمُ وَلَا يَسِيءُ
 يُجُودُ مِنْ بَرَكَاتِهِ
 لُ فَسَالَ فِي رِبَوَاتِهِ
 نَقَتَاتُ مِنْ غَلَاتِهِ
 حِ يَرْقُ عَذْبُ فُرَاتِهِ
 وَالرَّوْضُ فِي ثَمَرَاتِهِ
 رِ يَشِفُّ فِي مِرَاتِهِ
 رَحْمَنٍ أَوْ مَرْضَاتِهِ
 رِضْوَانُ بَعْضِ صِفَاتِهِ
 فَالرُّوحُ مِنْ آيَاتِهِ
 وَالْقَلْبُ فِي خَفَقَاتِهِ
 وَالثَّغَرُ فِي بَسْمَاتِهِ
 وَالْحُجُّ فِي مِيقَاتِهِ
 مُمُّ مُصَدَّقًا بِزَكَاتِهِ
 يَهِيمُ فِي صَلَوَاتِهِ
 لِيُقِيمَ فِي جَنَاتِهِ
 لُ يَتِيَهُ فِي نَزَوَاتِهِ
 رُ عَلَى طَرِيقِ هُدَاتِهِ

والمرء في مأساته	والمرء في أفراحه
ة وينتهى بمماته	يمضي على دزب الحيا
فالموت بعض عظاته	لا تَمْتَرُوا في ذاته
فالوحي من آياته	لا تَمْتَرُوا في ذاته
والنور من مشكاته	والحق من إلهامه
والفكر في سباحته	والعقل في إبداعه
ث يضج في آلاته	والعلم في العصر الحدي
ء ويمتطي طياته	يرنأ آفاق الفضاء
والفلك في جنباته	والبحر يهدر صاخبا
ر الكون في ذراته	والذرة الصغرى مصي
إن ساد حقد طغاته	فخرأبه ودماره
إن ساد عقل ثقاته	وعمازه وصلاحه
أبعاد في عدساته	كم مجهر قربت لنا ال
ث مُرددا همساته	أوهاتف حمل الحدي
فالكل من آياته ^(١)	لا تَمْتَرُوا في ذاته

(١) قصيدة سبحان الله من ديوان في رحاب الأتقي ليوسف العظم، (٥٣١، ٢٤١)، المكتب الإسلامي.
وانظر: رائق الشهد (ص: ٣٢٥-٣٢٧).

مصطفى عكرمة

يا من تُلبّي حاجَةَ الملّهوفِ
يا ربّ فاقْبَلْ ذِلَّتِي ووُقُوفِي
من خَافِقٍ بِضَلَالِهِ مشغوفِ!
ولكم لها في النَّاسِ من تَضْرِيفِ!
ولكم يُساقُ المرءُ بالتَّسْوِيفِ!
والوصفُ كم يُغريكَ بالموصوفِ!
إلّا بريقَ الوعدِ والترجيفِ
يومًا.. وإن بَلَغْتَ أُلُوفَ أُلُوفِ
ولكم على اللذاتِ طالَ عُكُوفِي!
بُسَّتْ حياةُ اللّهُوِ من مألوفِ
ولكم عزفتُ وطالَ عنه عُزُوفِي!
عانيتُ في الأهواءِ من تَلْهِيفِ
رباهُ فاجْعَلْ في الجنانِ قُطُوفِي
ما بينَ حَالِي خائفٍ ومُخيفِ
من غيرِ إبطاءٍ ولا تزييفِ

إِلّا بِبَابِكَ ما أَطْلُتُ وقُوفِي
ذلُّ الوُقُوفِ بِبَابِ عِزِّكَ عِزَّةُ
عَمَرْتُ بالأخْلامِ قَلْبِي.. يا لهُ
صِرْفَتُهُ أهواءُ الحياةِ عن الهدى
هي عونُ إبليسٍ وعدَّةُ جُنْدِهِ
غالتُ وأغرَى وصفُها فاستَرْسَلَتْ
كم ذا وقفتُ ولم أنلُ من وعْدِها
ومضيتُ لا العِبرُ الكبارُ تهزُّني
والصَّحْبُ قد عكفوا على لذاتِهِم
ألفوا الحياةَ كما اشتَهَتْ أهواؤُهُم
رباهُ إنِّي ما ارتَضَيْتُ سَبِيلَهُم
لكنَّها الأهواءُ والهفَى لما
رباهُ إن قَطَفُوا لَذَائِذَهُم هُنا
هي حقبةُ عاشِ الفؤادِ بها الأسى
واليومَ تابَ وجاءَ تحدُّوهُ المنى

عَفْرَانِكَ اللَّهُمَّ إِنِّي تَائِبٌ
 يَارَبِّ رُدِّ الْمُسْلِمِينَ وَرُدَّهُ
 يَدْعُو بِقَلْبٍ خَاشِعٍ وَضَعِيفٍ
 لِلدِّينِ يَا مَنْ أَنْتَ خَيْرُ لَطِيفٍ
 يَا مَنْ تُلَبِّي حَاجَةَ الْمَلْهُوفِ^(١)
 وَانْصُرْ بِحَقِّكَ أُمَّتِي وَالطُّفَّ بِهَا



(١) حتى ترضى (ص: ٣٢-٣٤).

570 بك أستجير

إبراهيم بدوي

فأَجِرْ ضَعِيفًا يَحْتَمِي بِحِمَاكَ
ذَنْبِي وَمَعْصِيَتِي بِفَيْضِ قِوَاكَ
مَا هَا مِنْ غَافِرٍ إِلَّا كَا
وَاحِ يَرْتِي فِي هَذِهِ أَوْ ذَاكَ
تَدْرِي لَهُ وَلَكِنَّهُ إِدْرَاكَ
فِي كُلِّ شَيْءٍ أَسْتَبِينُ عُلَاكَ
هَذَا الشَّدَا الْفَوَاحُ نَفْحُ شَدَاكَ
وَاسْتَقْبَلِ الْقَلْبُ الْخَلِيَّ هَوَاكَ
وَلَقِيتُ كُلَّ الْأَنْسِ فِي نَجْوَاكَ
وَنَسِيتُ نَفْسِي خَوْفَ أَنْ أُنْسَاكَ
رَأَيْتُ عَلَى قَلْبِي فَضْلَ سَنَاكَ
وَبَدَأْتُ بِالْقَلْبِ الْبَصِيرِ أَرَاكَ
لِلتَّوْبِ قَلْبٌ تَائِبٌ نَاجَاكَ
مَا قَدَّمْتَهُ يَدَايَ لَا أَتْبَاكِي
رَبِّي وَأَخْشَى مِنْكَ إِذْ أَلْقَاكَ

بِكَ أَسْتَجِيرُ فَمَنْ يَجِيرُ سِوَاكَ
إِنِّي ضَعِيفٌ أَسْتَعِينُ عَلَى قِيَاكَ
أُذْنِبْتُ يَا رَبِّي وَأَذْنَبْتُ ذُنُوبُ
دُنْيَايَ غَرَّتْنِي وَعَفُوكَ غَرَّنِي
يَا مَدْرِكَ الْأَبْصَارِ وَالْأَبْصَارُ لَا
إِنْ لَمْ تَكُنْ عَيْنِي تَرَاكَ فَإِنِّي
يَا مَنْبَتَ الْأَزْهَارِ عَاطِرَةَ الشَّدَا
رَبَّاهُ هَا أَنَا ذَا خَلُصْتُ مِنَ الْهَوَى
وَتَرَكْتُ أَنْسِي بِالْحَيَاةِ وَلَهْوِهَا
وَنَسِيتُ حُبِّي وَاعْتَزَلْتُ أَحِبَّتِي
أَنَا كُنْتُ يَا رَبِّي أَسِيرَ غِشَاوَةٍ
وَالْيَوْمَ يَا رَبِّي مَسَحْتُ غِشَاوَتِي
يَا غَافِرَ الذَّنْبِ الْعَظِيمِ وَقَابِلًا
يَا رَبِّ جِئْتُكَ ثَاوِيًا أَبْكِي عَلَى
أَخْشَى مِنَ الْعَرَضِ الرَّهيبِ عَلَيْكَ يَا

مُسْتَسْلِمًا مُسْتَمْسِكًا بِعُرَاكَ
 رَبِّي الْغَنِيِّ وَلَا يُجِدُ غِنَاكَ
 رَبِّي عَظِيمُ الشَّانِ مَا أَقْوَاكَ
 فَمَا رَأَيْتُ أَعَزَّ مِنْ مَأْوَاكَ
 فَلَمْ تَجِدْ مَنْجَى سِوَى مَنْجَاكَ
 فَوَجَدْتُ هَذَا السَّرَّ فِي تَقْوَاكَ
 أَنَا لَمْ أَعُدْ أَسْعَى لِغَيْرِ رِضَاكَ
 وَتُعَيِّنَنِي وَتَمُدَّنِي بِهُدَاكَ
 مَا خَابَ يَوْمًا مَنْ دَعَا وَرَجَاكَ
 سَخَّرْتَ يَا رَبِّي لَهُ دُنْيَاكَ
 حَتَّى أَشَاحَ بِوَجْهِهِ وَقَلَاكَ
 وَصَلْتَ إِلَيْهِ يَدَاهُ مِنْ نِعْمَاكَ
 وَاشْكُرْ لِرَبِّكَ فَضْلَ مَا أَوْلَاكَ
 تَزَوَّرُ عَنْهُ وَيَشْتِي عِطْفَاكَ
 يَا شَافِيَ الْأَمْرَاضِ مِنْ أَرْدَاكَ؟
 عَجَزْتَ فَنَوْنُ الطِّبِّ، مِنْ عَافَاكَ؟
 مَنْ بِالْمَنَايَا يَا صَحِيحُ دَهَاكَ؟

يَا رَبِّ عَدْتُ إِلَى رَحَابِكَ تَائِبًا
 مَالِي وَمَا لِلْأَغْنِيَاءِ وَأَنْتَ يَا
 مَالِي وَمَا لِلْأَقْوِيَاءِ وَأَنْتَ يَا
 إِنِّي أُوْنْتُ لِكُلِّ مَأْوَى فِي الْحَيَاةِ
 وَتَلَمَسْتُ نَفْسِي السَّبِيلَ إِلَى النَّجَاةِ
 وَبَحِثْتُ عَنْ سِرِّ السَّعَادَةِ جَاهِدًا
 فَلِيرِضْ عَنِّي النَّاسُ أَوْ فَلْيَسْخَطُوا
 أَدْعُوكَ يَا رَبِّي لِتَغْفِرَ حَوْبَتِي
 فَاقْبَلْ دَعَائِي وَاسْتَجِبْ لِرَجَاوَتِي
 يَا رَبِّ هَذَا الْعَصْرُ أَحَدٌ عِنْدَمَا
 مَا كَادَ يُطْلِقُ لِلْعُلَا صَارُوخَهُ
 أَوْ مَا دَرَى الْإِنْسَانُ أَنَّ جَمِيعَ مَا
 يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَهَلًا وَأَتَّئِدُ
 أَفَإِنَّ هَذَاكَ بَعْلَمِهِ لِعَجِيبَةٍ
 قُلْ لِلطَّبِيبِ تَخَطَّفَتْهُ يَدُ الرَّدَى
 قُلْ لِلْمَرِيضِ نَجَا وَعُوفِي بَعْدَمَا
 قُلْ لِلصَّحِيحِ يَمُوتُ لَا مِنْ عِلَّةٍ

راعٍ ومرعى ما الذي يرعاك؟
 عند الولادة ما الذي أبكاك؟
 فاسأله من ذا بالسُّموم حشاكا؟
 تحيا وهذا السُّم يملأ فاك؟
 شهداً وقل للشَّهيد من حلاك؟
 من دمٍ وفرثٍ ما الذي صفاك؟
 ثنّايًا ميّت فاسأله من أحيّاك؟
 ففى عن عيونِ الناسِ من أخفاك؟
 أنواره فاسأله من أسراك؟
 فاسأله من يا نخلٍ شقَّ نواك؟
 فاسأل لهيبَ النارِ من أوراك؟
 قِمَمَ السَّحابِ فسأله من أرساك؟
 من بالماءِ شقَّ صفاك؟
 فسأله من الذي أجراك؟
 فسأله من الذي أطعّاك؟
 فاسأله من يا ليلَ حاكٍ دجاك؟
 فاسأله من يا صبحُ صاغٍ ضحاك؟

قل للجنينِ يعيشُ معزولاً بلا
 قل للوليدِ بكى وأجهشَ بالبكا
 وإذا ترى الثُّعبانَ ينفثُ سُمَّهُ
 واسأله كيف تعيشُ يا ثعبانُ أو
 واسأل بطونَ النحلِ كيف تقاطرت
 بل سائلُ اللبنِ المصفى كان يـ
 وإذا رأيتَ الحيَّ يخرجُ من
 قل للهواءِ تحسُّه الأيدي ويخـ
 وإذا رأيتَ البدرَ يسري ناشراً
 وإذا رأيتَ النخلَ مشقوقَ النوى
 وإذا رأيتَ النارَ شبَّ لهيها
 وإذا ترى الجبلَ الأشمَّ مناطحاً
 وإذا ترى صخرًا تفجّر بالمياه فسأله
 وإذا رأيتَ النهرَ بالعذبِ الزلالِ جرى
 وإذا رأيتَ البحرَ بالملحِ الأجاجِ طغى
 وإذا رأيتَ الليلَ يغشى داجياً
 وإذا رأيتَ الصُّبحَ يُسفرُ ضاحياً

هذي العجائبُ طالما أَخَذَتْ بها	عيناكَ وانفَتَحَتْ بها أُذُنَاكَ
واللهُ في كُلِّ العَجَائِبِ مبدِعٌ	إن لم تُكُنْ لِتراهُ فهو يَرَاكَ
يا أَيُّها الإنسانُ مهلاً مالذي	باللهِ جَلَّ جَلالُه أغْرَاكَ
فاسْجُدْ لِمَوْلَاكَ القديرِ فإنَّها	لا بَدَّ يوماً تُنتَهِي دُنْيَاكَ
وتكونُ في يومِ القيامةِ ماثلاً	تُجْزَى بها قَدْ قَدَّمْتَهُ يَدَاكَ ^(١)



(١) الله أهل الثناء والمجد (ص: ٥٤٥-٥٥٠).

580 يسبحك الخلق في كل آن

الدكتورة عاتكة الخزرجية^(١)

وَيَعْنُو لِهَيْبَتِكَ الْقَانِتُونَ
ء وَيَأْوِي إِلَى ظِلِّكَ الْمَذْنِبُونَ
وَيَخْضَعُ لِلأكْبَرِ الْكَابِرُونَ!
لِ يَا مَنْ إِلَيْهِ غَدًا يَنْسِلُونَ
رِ وَمَنْ بَاطِنِ الصَّخْرِ ثَجَّ الْعُيُونُ
وَكُلٌّ عَلَى فَلَكَ يَسْبَحُونَ
رَمَنْ اللَّيْلِ كَيْفَ مَسَحَتْ الْقُرُونُ؟
م وَكُلٌّ إِلَى أَجَلٍ سَائِرُونَ؟
م وَرَوَّضَتْ فِيهِمْ جِهَاحَ الْحَرُونَ^(٢)
د وَكَيْفَ يُقَالُ بِهَا الْعَائِرُونَ
ل وَغِيَّ الْكُفُورِ وَلُؤْمُ الْخَوُونُ
د وَلَا دُونَ مَا أَمَّلَ التَّائِبُونَ
وَبِالْعَدْلِ فَلْيَحْكُمِ الْحَاكِمُونَ

يَسْبَحُكَ الْخَلْقُ فِي كُلِّ آنٍ
وَيَسْأَلُكَ الرَّحْمَةَ الْأَتَقِيَا
وَتُحْنَى الْجِبَاهُ لِعِزِّ الْإِلَهِ
تَبَارَكَتَ سُبِّحْتَ يَا ذَا الْجَلَالِ
وَيَا مُجْرِيَ الْفُلُكِ فَوْقَ الْبَحَا
وَيَا مُجْرِيَ الشَّمْعِ فِي أَفْقِهَا
تَبَارَكَتَ كَيْفَ سَلَخْتَ النَّهَا
وَكَيْفَ بَرَّيْتَهُمْ مِنْ رُغَا
وَسَرَّيْتَ بَيْنَهُمْ بِالْحِمَا
تَبَارَكَتَ كَيْفَ قَسَمْتَ الْجُدُ^(٣)
وَسَعْتَ بِحِلْمِكَ طَيْشَ الْجَهُوِ
وَلَمْ تَوْصِدِ الْبَابَ دُونَ الْجُمُودِ
حَكَمْتَ فَأَقْسَطْتَ فِي الْعَالَمِينَ

(١) تسبيح ومناجاة وثناء - حسن موسى الشريف (ص: ١٣٢-١٣٤).

(٢) الحرون: المكابر والمعاند.

(٣) الجود: الحظوظ.

وَجَنَاتٌ عَذْنٍ بِهَا الْمُؤْمِنُونَ
وَمَنْ بِاسْمِهِ سَبَّحَ الْعَالَمُونَ
وَمُعْطِي مِنَ الْأَرْضِ مَا يَشْتَهُونَ
وَمَنْ قَالَ لِلشَّيْءِ كُنْ كَيْ يَكُونُ
وَمَنْ هُمْ إِلَيْهِ غَدًا يَنْسِلُونَ
لَضَعْفِي فَأَنْتَ هِمَايَ الْمُصُونُ
وَحَارَ الدَّلِيلُ فَمَا يَهْتَدُونَ
فَأَيَّانَ عَنْ غَيْبِهِمْ يَنْتَهُونَ
فَسِيمَ الضَّعِيفِ عَذَابًا وَهُونَ
وَرَاوَا عَلَى شُحِّهِمْ يَحْرِصُونَ
فَأَمْسُوا بِآثَامِهِمْ يَفْخَرُونَ
وَبَاتَتْ مُحَارِبُهُمْ فِي سُكُونٍ!
فَأَيْنَ الدَّلِيلُ؟ عَسَى يَهْتَدُونَ
فَغَفَرًا لَهُمْ إِنَّهُمْ لَا يَعُونُ!
وَأَنْتَ الرَّفِيقُ الشَّفِيقُ الْخَنُونُ

فَنَارُكَ يَصْلَى بِهَا الْكَافِرُونَ
تَبَارَكَتَ يَا رَبُّ هَذَا الْوُجُودُ
وَيَا مَوْقِدَ النَّارِ مِنْ أَخْضَرٍ
وَيَا مَخْرَجَ الْحَيِّ مِنْ مَيِّتٍ
تَبَارَكْتَ يَا فَاطِرَ الْكَائِنَاتِ
فَزَعْتُ لِبَابِكَ أَرْجُو حِمَى
عِبَادُكَ يَا رَبُّ ضَلُّوا السَّبِيلَ
تَشَامَخَ فِي أَرْضِكَ الْأَدْنِيَاءُ
وَجَارَتْ بِأَحْكَامِهَا الْأَقْوِيَاءُ
وَلَمْ يُعْطِ مِنْ مَالِكَ الْأَغْنِيَاءُ
وَلَمْ يَبْقَ فِي النَّاسِ مَعْنَى الْحَيَاءِ
وَضَجَّتْ مُوَخِرُهُمْ بِالْحَيَاةِ
عِبَادُكَ يَا رَبُّ ضَلُّوا السَّبِيلَ
أَخَافُ عَلَيْهِمْ وَأَرْجُو لَهُمْ
وَأَنْتَ اللَّطِيفُ الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ

• 59 يا مجيب السائلين

عبد الرحمن حينئذ

ربِّ إني قد سألتُكَ يا مُجِيبَ السَّائِلِينَ
لم يَحِبْ دَاعِيكَ رَبِّي وهو يدْعُو بَاقِينَ
إِنِّي أَدْعُوكَ يَا اللَّهُ مَعَ إِخْلَاصِ دِينِ

ربِّ إني قد سألتُكَ إِذْ تُحِبُّ السَّائِلِينَ
بِدُعَائِي قد عَبْدتُكَ إِذْ تُحِبُّ الْعَابِدِينَ
أَنْتَ أَوْلَى بِي مِنِّْي فَأَعِنِّي يَا مُعِينُ
أَنْتَ بِي أَعْلَمُ مِنِّْي أَنْتَ خَيْرُ الْأَكْرَمِينَ
فَاصْطَنِعْنِي لَكَ يَا رَبِّي اصْطِنَاعَ الْأَقْرَبِينَ
وَاتَّخِذْنِي لَكَ ضَمَنَ الصَّالِحِينَ الطَّاهِرِينَ
وَبِفَضْلِكَ مِنْكَ فَارَقْنِي لِأَوْجِ الْمُحْسِنِينَ
أَنْتَ رَبِّي فِي تَصَارِيفِكَ خَيْرُ الْأَحْكَامِينَ
وَرَجَائِي بِاسْتِجَابَاتِكَ لِي حَقُّ الْبَقِيَّةِ
لَسْتُ أَخْشَى رَدَّ سُؤْلِي وَلَكَ الْوَعْدُ الْمُتَيْنِ
أَنَا يَا رَبِّي بِالطَّائِفِكَ فِي حِصْنِ حَصِينِ

فاقض لي الخير وأكرمني بسُلطانٍ مَكِينٍ
 تنصُرُ الحقَّ بهِ والخيرَ بينَ العالمينِ
 وبه تنصُرُ قرآ نَكَ ذا النُّورِ المبينِ
 تنصُرُ الدينَ الذي جَا ءَ بهِ الدَّاعي الأَمينِ
 أحمَدُ المُختارِ خيرُ الخلقِ خيرُ المرسلينِ
 وبه تنصُرُ في الدُّ نيا جُمُوعَ المؤمنينِ
 وبه تهزِمُ يا رَبِّي حُشُودَ الكَافِرِينِ
 ربِّ واجعلني إمامًا للهُدَاةِ المتَّقِينِ

رَبِّي إِنِّي قَدْ سَأَلْتُكَ يَا مُجِيبَ السَّائِلِينَ
 بِدُعَائِي قَدْ عَبَدْتُكَ إِذْ تُحِبُّ الْعَابِدِينَ^(١)



خير الدين والنبي

لأولي النهى والبحث والنظر
في النفس في الأصوات في الصور
في الشمس ذات الوهج والشرر
في الشهب ذات الخطف للبصر
في الطير صداحاً على الشجر
تعلو تروم تناول القمر
ثلج الشتاء يسيل في النهر
ترنو إلى الوديان في خفر

كم في كتاب الكون من عبر
في الأرض في الآفاق قاطبة
في ذرة عمياء هائجة
في النجم في الأفلاك سابعة
في الزهرة الأخاذ رونقها
في البحر والأمواج صاحبة
في الراسيات الشم عممها
في السفح والأعشاب مائسة^(١)

عن كل ما في الكون من عبر
كل فخلق الكون عن قدر
ما فيه من وإه ومفطر
كالأرض ذات الماء والمد^(٢)
تفني البحار رواصي الجزر

ماذا أقول لغافل لاه
أيظن خلق الكون عن عبث
ما فيه من وهن ولا خلل
الشمس في الأفلاك جارية
لا الليل يسبق لا النهار ولا

(١) مائسة: مائلة متبخرة.

(٢) المد: الطين.

النبْتَةُ الْخَضْرَاءُ ضَارِبَةٌ
وَالزَّهْرَةُ الْبَيْضَاءُ فَائِحَةٌ
وَالْغَيْمَةُ السُّودَاءُ مُثْقَلَةٌ
وَالْهَرَّةُ السَّمْرَاءُ حَانِيَةٌ
الْكُوْنُ مَتَّسِقٌ وَمُنْتَظَمٌ
سَبْحَانَ مَنْ بِاللُّطْفِ قَدَّرَهُ
أَطْنَابُهَا فِي الصَّخْرِ وَالْحَجَرِ
وَالْجَذْرُ بَيْنَ الطِّينِ وَالْكَدْرِ
تَجْرِي بِأَطْنَابٍ مِنَ الْمَطَرِ
فَوْقَ الصَّغَارِ الْعُمَى عَنْ خَطَرِ
كَمْ فِيهِ مِنْ ذِكْرَى لِمُعْتَبِرٍ
أَعْظَمَ بِقِيَوْمٍ وَمُقْتَدِرٍ^(١)



61• إلهي أنت تعلم كيف حالي

أَغِيبْ وَذُو اللَّطَائِفِ لَا يَغِيبُ
وَأَسْأَلُهُ السَّلَامَةَ مِنْ زَمَانٍ
وَأُنْزِلْ حَاجَتِي فِي كُلِّ حَالٍ
وَلَا أَرْجُو سِوَاهُ إِذَا دَهَانِي
فَكَمْ لِلَّهِ مِنْ تَدْبِيرِ أَمْرٍ
وَكَمْ فِي الْغَيْبِ مِنْ تَيْسِيرِ عُسْرٍ
وَمِنْ كَرَمٍ وَمِنْ لَطْفٍ خَفِيٍّ
وَمَالِي غَيْرُ بَابِ اللَّهِ بَابٌ
كَرِيمٌ مُنْعَمٌ بِرُّ لَطِيفٌ
حَلِيمٌ لَا يُعَاجِلُ بِالْخَطَايَا
فِيَا مَلِكَ الْمُلُوكِ أَقْلَ عِثَارِي
وَأَمْرَضَنِي الْهَوَىٰ هَوَانٍ حَظِّي
وَعَانَدَنِي الزَّمَانُ وَعَيْلَ صَبْرِي^(١)
فَأَمِنْ رَوْعَتِي وَاكْبِتْ حُسُودًا
وَأَرْجُوهُ رَجَاءً لَا يَخِيبُ
بُلِيتُ بِهِ نَوَائِبُهُ تُشِيبُ
إِلَى مَنْ تَطْمَئِنُّ بِهِ الْقُلُوبُ
زَمَانُ الْجَوْرِ وَالْجَارُ الْمُرِيبُ
طَوْتُهُ عَنِ الْمَشَاهِدَةِ الْغُيُوبُ
وَمِنْ تَفْرِيجِ نَائِبَةٍ تُنُوبُ
وَمِنْ فَرَجِ تَزُولٍ بِهِ الْكُرُوبُ
وَلَا مَوْلَى سِوَاهُ وَلَا حَبِيبُ
جَمِيلُ السِّتْرِ لِلدَّاعِي مُجِيبُ
رَحِيمٌ غَيْثُ رَحْمَتِهِ يَصُوبُ
فَإِنِّي عَنْكَ أَنْتَأْتِي الذُّنُوبُ
وَلَكِنْ لَيْسَ غَيْرَكَ لِي طَبِيبُ
وَضَاقَ بَعْدَكَ الْبَلَدُ الرَّحِيبُ
يُعَامِلُنِي الصَّدَاقَةُ وَهُوَ ذِيبُ

(١) عيل صبري: غلب.

وَأَنسَنِي بِأَوْلَادِي وَأَهْلِي	فَقَدْ يَسْتَوْحِشُ الرَّجُلُ الْغَرِيبُ
وَلِي شَجَنٌ بِأَطْفَالٍ صِغَارٍ	أَكَادُ إِذَا ذَكَرْتُهُمْ أَذُوبُ
وَلَكِنِّي نَبَذْتُ زِمَامَ أَمْرِي	لَمَنْ تَدْبِيرُهُ فِينَا عَجِيبُ
هُوَ الرَّحْمَنُ حَوْلِي وَاعْتِصَامِي	بِهِ وَإِلَيْهِ مُبْتَهِلًا أَنْيَبُ
إِلَهِي أَنْتَ تَعْلَمُ كَيْفَ حَالِي	فَهَلْ يَا سَيِّدِي فَرَجٌ قَرِيبُ



620 • حبيبي أنتَ رحمن

يحيى بن معاذ

وإن أذنبْتُ رجَّاني	أنا إن تُبْتُ مَنَّاني
وإن أقبلْتُ أدناني	وإن أدبرتُ ناداني
وإن أخلصْتُ ناجاني	وإن أحييتُ والاني
وإن أحسنتُ جازاني	وإن قصرتُ عافاني
ألا اصرفْ عني أحزاني	حبيبي أنتَ رَحْماني
عَلَى سَرِّي وإِغْلاني	إليك الشَّوقُ من قَلْبي
وأنتَ قديمُ إحسانِ	فيا أَكْرَمَ من يُرَجى
- إلهَ النَّاسِ - تنساني	وما كُنتَ على هذا
على ما كانَ من شَاني ^(١)	لَدَى الدُّنيا وفي العُقْبَى



63• رَبِّ سُبْحَانَكَ

محمود حسن إسماعيل

رَبِّ سُبْحَانَكَ فِي أَعْلَى عُلَاكَ
 كُلَّمَا نَدَعُوكَ.. تُعْطِينَا يَدَاكَ
 خَيْمَ اللَّيْلِ، فَنَادَيْتُ.. إِلَهِي
 فَإِذَا الْكَوْنُ ضِيَاءٌ
 وَجَرَى الدَّمْعُ فَنَادَيْتُ.. إِلَهِي
 فَإِذَا الدُّنْيَا صَفَاءٌ
 وَالرِّضَا يَغْمُرُ قَلْبِي وَشِفَاهِي
 وَتُنَاجِيْنِي السَّمَاءُ
 رَبِّ سُبْحَانَكَ فِي أَعْلَى عُلَاكَ
 كُلَّمَا نَدَعُوكَ تُعْطِينَا يَدَاكَ
 كُلَّمَا تُشْرِقُ شَمْسٌ أَوْ تَغِيبُ
 يَمْلَأُ الْقَلْبَ ضِيَاكَ
 وَإِذَا ضَاقَتْ مِنَ الْيَأْسِ الْقُلُوبُ
 يَغْمُرُ الرُّوحَ هُدَاكَ
 وَإِذَا مَلَأْتُ مِنَ الْعَفْوِ الذُّنُوبُ

صَافَحَ النَّفْسَ رِضَاكَ
رَبِّ سُبْحَانَكَ فِي أَعْلَى عُلَاكَ
كُلَّمَا نَدَعُوكَ.. تَعْطِينَا يَدَاكَ^(١)

64• يا أرحمَ الرِّحَمَاءِ

محمد الحامد

يا أرحمَ الرِّحَمَاءِ مَا لِي حِيلَةٌ	إِلَّا الرُّجُوعُ إِلَيْكَ يَا رَبَّاهُ
أَنَا قَدْ أَسَأْتُ، وَأَنْتَ رَبُّ غَافِرٍ	غَوْنَاهُ مِمَّا قَدْ عَرَا غَوْنَاهُ
يَا سَيِّدِي يَا مَنْ إِلَيْهِ شِكَايَتِي	أَوَّاهُ مِمَّا نَنَابَنِي أَوَّاهُ
أَدْرِكْ بِلُطْفِكَ نَادِمًا ذَا حَسْرَةٍ	مُسْتَغْفِرًا مِمَّا جَتَّثُهُ يَدَاهُ
مَا لِلضَّعِيفِ إِذَا أَلَّتْ كُرْبَةٌ	إِلَّا الدُّعَاءُ: اللَّهُ يَا اللَّهُ
يَا رَبِّ نَفْسٍ عَنْ عُيِيدِكَ كُرْبَةٌ	وَأَرْحُهُ مِمَّا قَدْ عَنَا وَدَهَاهُ ^(٢)

■ ■ ■

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل (١٧٨٣/٤ - ١٧٨٤).

(٢) مجلة حضارة الإسلام، العدد ٣، (ص: ٨٣)، من السنة العاشرة، من جمادي الأولى سنة ١٣٨٩ هـ وانظر: رائق الشهد (ص: ٢٢٢-٢٢٣).

• 65 تأملات إيمانية

عبد الرحمن حبنكة

لستُ أذري ما حَيَاتِي لا. ولا ما هُوَ آتٍ
 أنا من أين؟ ومَن قبستُ نفسي صِفَاتِي؟
 أنا لا أملكُ نفسي في انتقالٍ أو ثَبَاتٍ
 إن ربًّا هو أعطاني وجُودي وحَيَاتِي
 مثلما أعطى جميعَ الكائناتِ الحادِثاتِ
 وهَدَانِي أن أرى زَادِي لما بعدَ المماتِ
 خيرُ زادٍ لي تقوَاي وفِعْلُ الصَّالِحَاتِ
 واغترَّافِي بالذي أَبَدَعَنِي في الكائناتِ
 قد عَرَفْتُ اللهَ رَبِّي حينما أدرَكْتُ ذاتِي
 أَقْلاً أملاً فِكْري وفَمِي بالصلواتِ
 ووجُودي وصِفَاتِي منه بعضُ النِّفحاتِ
 إن شُكْري يا إلهي لك يُعْلي دَرَجَاتِي
 فلكَ الشُّكْرُ على ما جُدْتَ لي من أُعْطِيَاتِ^(١)



• 66 • تَبَارَكَ اللَّهُ

خَيْرُ الدِّينِ وَانْتَلِي

تَبَارَكَ اللَّهُ كَمْ فِي الْكَوْنِ مِنْ عَجَبٍ؟!
فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَالْأَفْلَاكِ وَالشَّهْبِ
طَيْرٌ يُهَاجِرُ مِنْ أَقْصَى الشَّمَالِ إِلَى
أَقْصَى الْجَنُوبِ وَلَا يَهْتَمُّ بِالسَّغَبِ^(١)
وَيَقْطَعُ السَّمَكَ الشَّلَالَ مُتَجَهًّا
إِلَى الْمَنَابِعِ كَيْ يَفْنَى مِنَ التَّعَبِ
وَيَنْشُرُ النَّمْلَ حَبًّا كَيْ يُخَفِّفَهُ
وَيَصْنَعُ النَّحْلُ شَكْلًا مُنْتَهَى الْعَجَبِ
وَيَحْمِلُ (الْكَنْغَرُ) الْأَبْنَاءَ يَحْفَظُهَا
فِي جَيْبِهِ سَائِرًا وَثَبًا عَلَى الذَّنَبِ
وَيَرْفَعُ الْقَرْدُ أَوْلَادًا عَلَى كَتِفِ
وَيَزَقُمُ^(٢) الطَّيْرُ أَفْرَاحًا دَوِي زَعَبِ^(٣)
وَيَجَارُ الْحَوْتُ فِي الْأَعْمَاقِ مَبْتَهَجًا
وَيُنْقِذُ الصَّوْتَ خَفَافًا مِنَ الْعَطَبِ

(١) السَّغَبُ: الْجُوعُ.

(٢) يَزَقُمُ: يَلْقَمُ.

(٣) الزَّعْبُ: الرِّيشُ الصَّغِيرُ.

وَيَسْبَحُ الْبَطُّ فِي أَعْقَابِ مَوْلِدِهِ
 بِلا مِرَانٍ وَمَاءِ النَّهْرِ فِي صَحْبِ
 وَيَلْقَمُ الشَّيْءَ وَالْعَيْنَانِ مُغْمَضَةً
 هَرٌّ وَلِيدٌ وَمَا فِي الشَّيْءِ مِنْ حَلَبِ
 وَيَقْفُزُ الْمَهْرُ خَلْفَ الْأُمِّ مَرْتَجِفًا
 وَلَمْ يَزَلْ عَظْمُهُ أَوْهَى مِنَ الْقَصَبِ
 وَيَتَّبِعُ الْكَلْبُ رِيحًا غَابَ صَاحِبُهَا
 وَيَسْمَعُ الْهَرُّ هَمْسَ الْفَأْرِ فِي الْخَرَبِ
 وَيُبْصِرُ الصَّقْرُ مِنْ عَلَيَّائِهِ جُرْدًا
 وَيُمْسِكُ الْقَنْفُذُ الْأَفْعَى مِنَ الذَّنْبِ
 وَيَنْقُرُ الطَّيْرُ دَوْدَاً غَابَ فِي غَضَنِ
 تَحْتَ اللَّحَاءِ وَمَا فِي الْغُضَنِ مِنْ ثَقْبِ
 وَيُمْسِكُ الْبَجَعُ الْأَسَاكَ سَابِحَةً
 وَيُرْسِلُ الْأَخْطَبُوطُ الرَّجْلَ عَنْ جُنْبِ
 وَيَنْفُخُ الثَّعْلَبُ الْأَحْشَاءَ مَرْتَمِيًا
 حَتَّى تُهَاجِمَهُ الْغُرَبَانُ عَنْ كَتَبِ
 وَيَلْسَعُ الْعَنْكَبُوتُ الْجُعْلَ فِي عُنْقِ
 حَتَّى يَخْذِرَهُ تَخْدِيرَ مُرْتَقِبِ

وَيُمْسِكُ الضَّبُّ عَصَاً حِينَ تَدْرِكُهُ
أَفْعَى لِيَمْنَعَ بِلَعِ الرَّأْسِ كَالذَّنْبِ
تَبَارَكَ اللَّهُ لَا تُحْصَى خَلَائِقُهُ
وَكُلُّ آلَائِهِ تَدْعُو إِلَى الْعَجَبِ^(١)

67• ما شئتَ كان

الشافعي

ما شئتَ كان، وإن لم أَشَأْ وما شئتُ إن لم تشأْ لم يَكُنْ
خلقتَ العبادَ لما قد عَلِمْتَ ففي العلمِ يجري الفتى والمُسِنْ
فمنهُم شقيٌّ، ومنهُم سعيدٌ ومنهُم قبيحٌ، ومنهُم حَسَنٌ
على ذا مننتَ، وهذا خذلتَ، وذاك أعنتَ، وذا لم تُعِنْ^(٢)

■ ■ ■

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٣٦).

(٢) ديوان الشافعي (ص: ١١٨).

68 • يا كافل الرزق

مصطفى عكرمة

قَدَّرْتَ أَرْزَاقَ كُلِّ الْخَلْقِ مِنْ عَدَمٍ
 وَزِدْتَ فِي الرِّزْقِ يَا ذَا الْجُودِ وَالْكَرَمِ
 أَبْوَابُ جُودِكَ مَا تَنْفِكُ مِشْرَعَةً
 حَتَّى طَفَّوْنَا عَلَى بَحْرِ مِنَ النِّعَمِ
 هَذِي الْمَلَائِكَةُ مِمَّا قَدْ خَلَقْتَ تَرَى
 مِنْ حَوْلِهَا الرِّزْقَ مَوْفُورًا عَلَى أَمَمٍ
 فَالْنَمْلُ، وَالطَّيْرُ.. وَالْأَسْمَاكُ أَجْمَعُهَا
 مِنْ عَاشٍ فِي النُّورِ، أَوْ مِنْ عَاشٍ فِي الظُّلَمِ
 وَالْأَدَمِيُونَ نَالُوا فَوْقَ مَا سَأَلُوا
 عَبْرَ الزَّمَانِ.. كَأَنَّ الْكُلَّ فِي حُلْمٍ
 وَكُلُّ ذِي مُهْجَةٍ فِي الْأَرْضِ زَاحِفَةٌ
 أَوْ غَيْرُ زَاحِفَةٍ تَسْعَى عَلَى قَدَمٍ
 تَسْعَى.. وَلِلْسَعْيِ أَوْقَاتٌ مُحَدَّدَةٌ
 وَرِزْقُهَا غَيْرُ مُحَدَّدٍ وَمُنْقَسِمٍ
 لَمْ يَنْفَدِ الرِّزْقُ يَوْمًا رَغَمَ كَثَرَتِهَا
 وَرَبًّا قَدْ قَضَتْ يَوْمًا مِنَ التَّحَمِّ

آلافِ آلافِ أعوامٍ وما بِرَحْتِ
كُلِّ الخلائِقِ تَلْقَى غَايَةَ الكَرَمِ
لا عَقْلُهَا كَافِلٌ أَرْزَاقَهَا أَبَدًا
ولا قُوَاهَا تُنَجِّيها مِنَ الأَلَمِ
يا رَبِّ أَنْتَ الَّذِي أَعْطَيْتَها كَرَمًا
وَأَنْتَ مَنْ قَدَّرَ الأَرْزَاقَ مِنْ قَدَمِ
وَأَنْتَ يا رَبِّ هادِيها.. وكافِلُها
وَأَنْتَ كَافِلُ رِزْقِ الكُلِّ مِنْ عَدَمِ
وَأَنْتَ تَعْلَمُ عَنْها فَوْقَ ما عِلِمَتْ
عَنْ نَفْسِها.. وَهي كَالذَّرَّاتِ فِي الرَّجَمِ
وَأَنْتَ وَحْدَكَ مَنْ يُرَجَى.. وَمَنْ يَدُّهُ
تُعْطِي.. فَتُغْنِي وتُكْفِي سائِرَ الأُمَمِ
فَإمْنٌ عَلَيَّ بِرِزْقِ وَافِرٍ أَبَدًا
واجْعَلْهُ رَبِّي حَلالًا سائِغًا بِفَمِي
ورُدِّ يا رَبِّ للإسلام عِزَّتَهُ..
وابْعَثْ بِنَا مَنْ يُصَحِّحُنَا مِنَ الرَّمَمِ
حَتَّى نَعُودَ إِلَى ما كانَ أُمْتُنَا
بِنَهْجِكَ الحَقِّ تَهْدِي أَقْوَماً القِيمِ^(١)

٦٩٠ إليك جميع الأمر

(١) ابن الوزير الصنعاني

ومنكَ الأُماني تُرَجى والبشائرُ
بها والبحارُ والثقالُ المَواطِرُ
إليك وَمَا فِي الكونِ غيرُكَ قادِرُ
إِذَا يَسَّ الضَّخْضَاخُ فالبَحْرُ زَاخِرُ
تَضِعُ الخطايا عِنْدَهُ والكَبائرُ
من العفوِ لَمْ يَقْنُطْ مِنَ العفوِ فَاجِرُ
كِتَابًا كَرِيمًا فَهُوَ عِنْدَكَ حَاضِرُ
ووصفُ محبِّ الحَمْدِ والمدحِ ظَاهِرُ
لِذَاكَ وَحِظُ الفضلِ للعدلِ قَاهِرُ
لَنَا ظَنُّنَا فَالظَنُّ أَنَّكَ غَافِرُ
سِرِيرَةٌ حَبٌّ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
وَأَرْجُو بَقَاهَا يَوْمَ تَفْنَى الذَّخَائِرُ
صَنِعْتَكُمْ وَالْجُودُ بِالْحَفِظِ أَمْرُ

إِلَيْكَ جَمِيعُ الْأَمْرِ يُرْجَعُ كُلُّهُ
وَبَعْضُ أَيَادِيكَ الْعَوَالِمُ وَالَّذِي
وَمِنْكَ الْعَطَا وَالْمَنْعُ وَالْأَمْرُ كُلُّهُ
فَمَنْ شَاءَ فَلْيَمْنَعْ سِوَاكَ فَلَا أَدَى
وَعَفْوُكَ يَا رَبَّ الْخَلَائِقِ وَاسِعُ
فَلَوْ يَعْلَمُ الْخَلْقُ الَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ
وَرَحْمَتُكَ الْعَظْمَى كَتَبَتْ بِسَبْقِهَا
وَأَنْتَ تَحِبُّ الْحَمْدَ وَالْمَدْحَ وَالثَّنَا
فَوَعْدُكَ أَوْلَى مِنْ وَعِيدِكَ بِالْوَفَا
وَقَدْ جَاءَتِ الْبُشْرَى وَصَحَّتْ بَأَنَّنَا
وَلِي حِينَ يَشْتَدُّ الْوَعِيدُ ذَخِيرَةٌ
تَجْلِي هُمُومِي فِي فُؤَادِي قَرَارَهَا
وَدِيعَتُكُمْ أَنْ تَحْفَظُوهَا فَإِنَّهَا



70• الكون البديع

خير الدين وانلي

أقرأ سطوراً من كتاب
فالحسن فيه كامن
في الزهرة الخالصة الطهر
في الغصن يرنو للمرو
في السلسل العذب النمير
في الموج يغشى الأفق تع
عرج على النبع الوقو
واسأل زرافات الطيو
واستلهم النجم النشيد
كم من جمال في رحا
سبحانك اللهم يا
أنت الجميل خلقت هـ
لا يستطيع العقل إحصا
لا تدرك الأفهام سر
ب الكون من دنيا الجمال
والحسن مرآة الخيال
ر وفي الماء الزلال
ج نديّة مثل اللال
ر تحفه حضر التلال
لوه نسيئات الشمال
ر وسله ينبشك العجاب
ر عن الفضاء عن السحاب
د الشجيات العذاب
ب الكون والكون كتاب
رب المحاسن والجمال
هذا الكون في أبهى مثال
ء المحامد والكمال
الخلق أو كنه الزوال^(١)

(١) ديوان النصر للإسلام (ص: ١٣٧).

٧١٠ يا ربنا لك الصلاة

محمود حسن إسماعيل

يَا رَبَّنَا لَكَ الصَّلَاةُ

وَالْحَمْدُ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ

مِنْ زَهْرَةٍ عَلَى الْغُصُونِ لَهْفَانَةٍ إِلَى نَدَاكَ

مِنْ دَمْعَةٍ عَلَى الْجَفُونِ ظَمَائِنَةٍ إِلَى رِضَاكَ

مِنْ تَائِبٍ إِلَى هِمَا كَ هَلَلَتْ خُطَاةُ

يَا رَبَّنَا لَكَ الصَّلَاةُ

وَالْحَمْدُ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ

يَا رَاحِمًا لِلتَّائِبِينَ لِلْعَفْوِ لَا نَرْجُو سِوَاكَ

يَا مَوْئِلًا لِلْحَائِرِينَ طُوبَى لِمَنْ يَلْقَى هَذَاكَ

يَا غَوْثَ كُلِّ الْعَالَمِينَ حَمْدًا لِمَا تُعْطِي يَدَاكَ

بِكُلِّ مَا تَحْيَا الْحَيَاةُ نَعْبُدُكَ

وَكُلُّ مَا فَوْقَ الثَّرَى يُؤَخِّدُكَ

وَكُلُّنَا نَدْعُوكَ يَا رَبَّنَا

يَا رَبَّنَا لَكَ الصَّلَاةُ

 وَالْحَمْدُ مِنْ كُلِّ الْحَيَاةِ! ^(١)

(١) الأعمال الكاملة لمحمود حسن إسماعيل ج (٤/ ١٧٧٩-١٧٨١)، انظر: رائق الشهد (ص:

٧٢٠ يا ربّ إني مذنّب أوّاه

عبد الرحمن حبنكة

يا ربّ إني مُذنبٌ أوّاهُ
قلِّباً دعاكَ فلا تَرُدُّ نَدَاهُ
إِلَّاكَ يا مَوْلَايَ يا اللهُ
من عاجِلِ الدُّنْيَا وأنتَ دَوَاهُ
قلبي فَيُشْرِقُ في السُّلُوكِ سَنَاهُ
وأجِدُّ في إحسانٍ ما تَرْضَاهُ
وينالُ قلبي من رِضاكَ مُنَاهُ
وأصيرُ حيثُ يصيرُ من ترعاهُ
مع من وهبتَ من الخِيَارِ علاهُ
من كنتَ يا ربَّ الوريّ مولاهُ^(١)

ناديتُ يا مَوْلَايَ يا اللهُ
أرجو عطاياكَ الحسانَ وإنَّ لي
ما في العوالمِ من يلبي داعيَا
داءِ الفؤادِ غرورُهُ بلِذاذِهِ
فامسحْ برحمتِكَ التي تجلُّو بها
فأكونُ عبدَكَ مثلما تَرْضَى لَنَا
وأكونُ بالتوفيقِ منك مُحَصَّنًا
وأعيشُ في سَعِدِ الحَيَاةِ وطيبِهَا
ويضمُّني الفردوسُ في أَكْنافِهِ
مَوْلَايَ أنتَ، ولا يهونُ بدهرِهِ



73 • يا سروري

رابعة العدوية

يا سروري ومُنِيَّي وعِمادي
 وأُنَيْسي وعُدَّتِي ومُرَادِي
 أَنْتَ رَوْحُ الْفُؤَادِ أَنْتَ رَجَائِي
 أَنْتَ لِي مُؤْنِسِي وَشَوْقُكَ زَادِي
 كَمْ بَدَتْ مَنَّةٌ وَكَمْ لَكَ عِنْدِي
 مِنْ عَطَاءٍ وَنِعْمَةٍ وَأَيَادِي
 حُبِّكَ الْآنَ بُغَيْتِي وَنَعِيمِي
 وَجَلَاءُ لَعَيْنِ قَلْبِي الصَّادِي
 لَيْسَ لِي عَنْكَ مَا حَيْثُ بَرَاخُ
 أَنْتَ مَنِّي مُمَكِّنٌ فِي الْفُؤَادِ
 إِنْ تَكُنْ رَاضِيًّا عَلَيَّ فَإِنِّي
 يَا مُنَى الْقَلْبِ قَدْ بَدَأَ إِسْعَادِي



74• سبحان الله

أبو العتاهية

في النفس لم ينطق بهنَّ لسانُ
فالسرُّ أجمعُ عنده إعلانُ
أبدًا وليس لغيره السُّبحانُ
ما شاء منها غائبٌ وعيانُ
للعالمين به عليه صَّمانُ
منه وفيه الرُّوحُ والريحانُ
يُعصى ويُرجى عنده الغفرانُ
لم تُبلِ جِدَّةَ مُلكِه الأزمانُ
يُعصى بحُسنِ بلائه ويخَانُ
والله لا يبلى له سُلطانُ
وغدا وراحَ عليهم الحِداثُ^(١)

سبحانَ من يُعطي المني بخواطِرٍ
سبحانَ من لا شيءٌ يحجُبُ علمه
سبحانَ من هو لا يزالُ مسبَّحًا
سبحانَ من تجري قضاياهُ على
سبحانَ من هو لا يزالُ ورزقُه
سبحانَ من في ذكره طُرُقُ الرضى
ملكٌ عزيزٌ لا يفارقُ عزَّه
ملكٌ له ظهرُ القضاء وبطنُه
مَلِكٌ هو الملكُ الذي من حلمه
يَبلى لِكُلِّ مسلَّطٍ سُلطانُه
كم يَسْتَصِمُّ الغافلونَ وقد دُعُوا



٦٥٠ أنا الفقير

ابن الوزير الصنعاني

إِلَيْكَ وَجَّهْتُ يَا مَوْلَايَ آمَالِي
 فَاسْمَعْ دُعَائِي وَارْحَمْ ضَعْفَ أَحْوَالِي
 أَرْجُوكَ مَوْلَايَ لَا نَفْسِي وَلَا وَلَدِي
 وَلَا صَدِيقِي وَلَا أَهْلِي وَلَا مَالِي
 لَمَّا عَرَفْتُكَ لَمْ أَنْظُرْ إِلَى أَحَدٍ
 فَلَا الرِّعْيَةَ أَرْجُوهَا وَلَا وَالِيَّ
 فَلَا تَكِلْنِي إِلَى مَنْ لَيْسَ يَكِلُونِي
 وَكُنْ كَفِيلِي فَأَنْتَ الْكَافِلُ الْكَالِي^(١)
 وَلَتَسْقِنِي كَأْسَ حُبٍّ مِنْ وَدَادِكَ يَا
 مَوْلَايَ فَهُوَ شَرَابٌ سَلْسَلٌ حَالِي
 فَلَا وَحَقُّكَ مَا لِلْقَلْبِ مِنْ شَغَفٍ
 إِلَّا بِحُبِّكَ فَاشْرَحْ لِي بِهِ بَالِي
 أَنَا الْفَقِيرُ إِلَى مَوْلَايَ يَرْحُمْنِي
 إِذَا تَقَضَّى بِهِوْلُ الْمَوْتِ إِمَهَالِي

(١) الكالِي: الحافظ.

أنا الفقيرُ إلى مولايَ يَرْحُمْنِي
في بطنٍ لحدٍ وَحِيشٍ مُظْلِمٍ خَالِي
هُنَاكَ لَحْمِي لِدُودِ الْقَبْرِ فَاكِهَةٌ
وَالْعَظْمُ مِنِّي رَمِيمٌ فِي الثَّرَى بَالِي
أنا الفقيرُ إلى مولايَ يَرْحُمْنِي
يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ عُنْفٍ وَأَهْوَالٍ
وَأَنْ أَكُونَ بَعِيدًا مِنْ تَعَطُّفِهِ
مَقْطَعًا عَنْهُ فِي الْآبَادِ آمَالِي
أنا الفقيرُ إلى مولايَ يَحْشُرُنِي
فِي زُمْرَةِ الْمُصْطَفَى الْمُخْتَارِ وَالْآلِ
صَلَّى الْإِلَهُ عَلَى أَرْوَاحِهِمْ أَبَدًا
ضَعْفًا عَلَى قَدْرِ زَخَّارٍ وَهَطَّالٍ

76 • دليل الحائرین^(١)

يا مَنْ إِلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلْقِ يَبْتَهِلُوا
وَكُلُّ حَيٍّ عَلَى رُحْمَاهُ يَتَكَلَّمُ
يا مَنْ نَأَى فَرَأَى مَا فِي الْقُلُوبِ وَمَا
تَحْتَ الثَّرَى وَحِجَابُ اللَّيْلِ مُنْسَدِلُ
يا مَنْ دَنَا فَنَأَى عَنْ أَنْ يُحِيطَ بِهِ أَلْ
أَفْكَارُ طُرًّا أَوِ الْأَوْهَامُ وَالْعَلَلُ
أَنْتَ الْمُنَادَى بِهِ فِي كُلِّ حَادِثَةٍ
وَأَنْتَ مُلْجَأُ مَنْ ضَاقتْ بِهِ السُّبُلُ
أَنْتَ الْغِيَاثُ لِمَنْ سُدَّتْ مَذَاهِبُهُ
أَنْتَ الدَّلِيلُ لِمَنْ ضَاقتْ بِهِ الْحِيلُ
إِنَّا قَصَدْنَاكَ وَالْأَمَالَ واقِعَةً
عَلَيْكَ وَالْكُلَّ مَلْهُوفٌ وَمَبْتَهِلُ
فَإِنْ غَفَرْتَ فَعَنْ طَوْلٍ وَعَنْ كَرَمٍ
وَإِنْ سَطَوْتَ فَأَنْتَ الْحَاكِمُ الْعَدِلُ

٧٠ نحن العبيد وأنت الملك^(١)

يا مَنْ يُغِيثُ الْوَرَى مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا
عَوْدَتُهُمْ بِسَطِّ أَرْزَاقٍ بِلا سَبَبٍ
وَعُدَّتْ بِالْفَضْلِ فِي وَرْدٍ وَفِي صَدْرٍ
عَوَارِفُ ارْتَبَطَتْ شُمُّ الْأَنْوَافِ بِهَا
يَا مَنْ تَعَرَّفَ بِالْمَعْرُوفِ فَاعْتَرَفَتْ
وَعَالِمًا بِخَفِيَّاتِ الْأُمُورِ فَلَا
عَبْدٌ فَقِيرٌ بِيَابِ الْجُودِ مُنْكَسِرٌ
مَهْمًا أَتَى لِيَمْدَ الْكَفِّ أَخْجَلُهُ
يَا وَاسِعًا ضَاقَ خَطُّ الْخَلْقِ عَنْ نِعَمٍ
وَنَاشِرًا بِيَدِ الْإِجْمَالِ رَحْمَتُهُ
ارْحَمْ عِبَادًا بِضَنْكِ الْعَيْشِ مَا لَهْمُوا
لَكِنَّهُمْ مِنْ ذُرَى عَلَيْكَ فِي نَمَطٍ
وَمَنْ يَكُنْ بِالَّذِي يَهْوَاهُ مُجْتَمِعًا
نَحْنُ الْعَبِيدُ وَأَنْتَ الْمَلِكُ لَيْسَ سِوَى

ارْحَمْ عِبَادًا أَكْفَ الْفَقْرِ قَدْ بَسَطُوا
سِوَى جَمِيلِ رَجَاءٍ نَحْوَهُ انْبَسَطُوا
بِالْجُودِ إِنْ أَقْسَطُوا وَالْحِلْمِ إِنْ قَسَطُوا
وَكُلُّ صَعْبٍ بِقَيْدِ الْجُودِ يَرْتَبُطُ
بِجَمِّ إِنْعَامِهِ الْأَطْرَافُ وَالْوَسْطُ
وَهُمْ يَجُوزُ عَلَيْهِ لَا وَلَا غَلَطُ
مَنْ شَأْنُهُ أَنْ يُوَافِيَ حِينَ يَنْضَغِطُ
قَبَائِحُ وَخَطَايَا أَمْرُهَا فَرَطُ
مَنْهُ إِذَا خَطَبُوا فِي شُكْرِهَا خَبَطُوا
فَلَيْسَ يَلْحَقُ مِنْهُ مَسْرَفًا قَنَطُ
غَيْرِ الدُّجَنَةِ لُحْفٌ وَالشَّرَى بُسْطُ
سَامٍ رَفِيعِ الذَّرَى مَا فَوْقَهُ نَمَطُ
فَمَا يُبَالِي أَقَامَ الْحَيُّ أَمْ شَحَطُوا
وَكُلُّ شَيْءٍ يُرْجَى بَعْدَ ذَا شَطَطُ



78• صرفت إلى ربّ الأنام مطالبني^(١)

صَرَفْتُ إِلَى رَبِّ الْأَنَامِ مَطَالِبِي
إِلَى الْمَلِكِ الْأَعْلَى الَّذِي لَيْسَ فَوْقَهُ
إِلَى الصَّمَدِ الْبَرِّ الَّذِي فَاضَ جُودُهُ
مُقِيلِي إِذَا زَلْتُ بِالنَّعْلِ عَائِثًا
فَمَا زَالَ يُؤَلِّينِي الْجَمِيلَ تَلَطُّفًا
وَيَرْزُقُنِي طِفْلًا وَكُهْلًا وَقَبْلَهَا
إِذَا أَغْلَقَ الْأَمْلَاقُ دُونِي قُصُورَهُمْ
فَرَعْتُ إِلَى بَابِ الْمُهَيْمِنِ طَارِقًا
فَلَمْ أَلَفْ حُجَابًا وَلَمْ أَخَشْ مَنَعَةً
كَرِيمٌ يُلَبِّي عَبْدَهُ كُلَّمَا دَعَا
سَأَلُهُ مَا شِئْتُ إِنَّ يَمِينَهُ
فَعَسِي رَبِّي فِي الْمَزَاهِرِ^(٦) مَلَجًا

وَوَجْهْتُ وَجْهِي نَحْوَهُ وَمَآرِبِي
مَلِيكَ يُرَجِّي سَيِّئَهُ فِي الْمَتَاعِبِ
وَعَمَّ الْوَرَى طُرًّا بِجَزْلِ الْمَوَاهِبِ
وَأَسْمَحُ غَفَّارٍ وَأَكْرَمُ وَاهِبِ
وَيَدْفَعُ عَنِّي مِنْ صُدُورِ النَّوَائِبِ
جَنِينًا وَيَحْمِينِي وَبَيِّ الْمَكَاسِبِ
وَنَهْنَه^(٢) عَنْ غَشْيَانِهِمْ زَجْرُ حَاجِبِ
مُدَلًّا أُنَادِي بِاسْمِهِ غَيْرَ هَائِبِ
وَلَوْ كَانَ سُؤْلِي فَوْقَ هَامِ الْكَوَاكِبِ
نَهَارًا وَلَيْلًا فِي الدُّجَى وَالْغِيَاهِبِ^(٣)
تَسَحُّ دِفَاقًا بِاللَّهِى^(٤) وَالرَّغَائِبِ^(٥)
وَحَرَزًا إِذَا خِيفَتْ سَهَامُ النَّوَائِبِ

(١) إرشاد العباد للاستعداد ليوم المعاد (ص: ١٢١-١٢٢).

(٢) نهنه: كف وزجر.

(٣) الغياهب: الظلمة الشديدة.

(٤) اللهى: العطايا.

(٥) الرغائب: العطاء الكثير.

(٦) المزاهر: الفتن.

79٠ عفوكم اللهم^(١)

يا من يُجيبُ دُعا المضطّرِّ في الظلمِ
قد نامَ وفدكَ حَوْلَ البيتِ وانتبهوا
هب لي بجودك فضلَ العفوِ عن جُرمي
إن كانَ عَفْوُكَ لا يُدرِكُهُ ذو سَرَفٍ
يا كاشفَ الضُّرِّ والبُلوى مع السَّقَمِ
وأنتَ عَيْنُكَ يا قِیومُ لم تَنَمِ
يا من إليه أشارَ الخلقُ في الحَرَمِ
فمن يجودُ على العاصِینَ بالكَرَمِ

80٠ يا عظيم النعم^(٢)

محمود سامي البارودي

لَكَ الحمدُ، إِنَّ الخیرَ منك، وإنني
فأنتَ الذي أوليتني كلَّ نعمةٍ
فقرَّب لي الخیرَ الذي أنا راغِبٌ
فليسَ لمن تُقصيه في النَّاسِ نافعٌ
ولا لأمري أُلهمتهُ الرُّشدَ خاذِلٌ
فإن أدركتُ نفسي المرامَ ولم أقمُ
فلا لاح لي في ذِروة المجدِ كوكبٌ
لصنعك يا رَبَّ السَّمَاوَاتِ شاکرُ
وهذَّبني حتَّى اصطفَفتني العشائرُ
وباعدني الشرَّ الذي أنا حاذِرُ
وليسَ لمنء تُدنيه في النَّاسِ ضائرُ
ولا لأمري أوردتهُ الغيَّ ناصِرُ
مقامَ ضليعٍ بالذي أنتَ أمرُ
ولا طار لي في قنَّةِ العزِّ طائرُ



(١) كتاب التواوين (ص: ١٤٩).

(٢) ديوان البارودي (٤٩٣/٢) الموسوعة الشاملة.

81• إليك أفرُّ من زللي

المقري

إليك أفرُّ من زللي	فرار الخائف الخجل
فخذ بيدي غريق في	بحار القول والعمل
وهب لي منك عارفة	تعرَّف ما تنكر لي
وتهديني إلى رشدي	وتمنعني من الزلل
وتحملني على سنن	يؤمنني من الوجل
فأنت دليل من عميت	عليه مسالك السبل
على جدواك معتمدي	فأنقذني من الدخل
والحنفي بجنات	لدى درجاتها الأول
فأنت ملاذ معتصم	وأنت عباد مُتكل ^(١)



(١) نفح الطيب، (٤٨/١) الموسوعة الشاملة، وقد حذفنا ما في القصيدة من توسل غير مشروع.

820 • رأيت الله (١)

عائض بن عبد الله القرني

وما لي خالقُ أبدًا سواكَا
وأنتَ اللهُ أعظمُ أن نراكَا
وإذ بالطلُّ مُنسكبٌ تباكِي
يُتمنِّمُ عن معانٍ لستُ أدري
فأنتَ اللهُ قد أجريتَ نهري
تقولُ لنا أيَا قومي دعوني
إلَيَّ وكُنْتُ في هَوْلِ المنُونِ
تُسبِّحُ وهيَ في الآفاقِ سَبِّحَا
وأهوى نحوها الصَّيَّادُ ذَبَحَا
بأنكَ موجدٌ للخَلْقِ واحدٌ
كذبتَ لقد خَسِرْتَ أيَا مُعاندُ
وسائلُ وردُهُ بعدَ انتهاءِ
فأنتَ اليومَ في دورِ الغَبَاءِ
تري الرحمنَ ممَّا رُمْتَ أكبرُ

إلهَ الكونِ يُسعِدُنِي رِضاكَ
تراك إذا رأيتُ الكَوْنَ عَيْنِي
إذا ما الفجرُ في الآفاقِ حَاكََا
وإذا بالماءِ في الأوهادِ يَسْرِي
عساهُ يقولُ للرحمنِ شُكْرًا
وتنشقُّ الزُّهورُ بكلِّ لونِ
أسبحُ للذي بالماءِ أَسْرَى
وهبَ الطَّيْرُ للأرزاقِ صُبْحَا
ولولا ربُّها سَقَطَتْ خِفَافَا
إلهي في جميعِ الكَوْنِ شاهدُ
ومن جَحَدَ الحقيقةَ كَذَّبوه
فمَدَّ الطَّرْفَ في لَوْحِ السَّمَاءِ
أَحَطَّتْ بكنْهيه أم لم تُحْطْهُ
تَرى قمرًا فَقِفْ حَتَّى تُفَكِّرْ

(١) ديوان لحن الخلود (ص: ٤٤-٤٥).

وكيف البدرُ في الخضرِ تكوّر
 أبكرُ هذه أم بنتُ أمسِ
 يكرُّ بجُنْدِهِ في حينِ نُمُوسِ
 كلامُكَ بين أظهرِنا سمعنا
 نفوسٌ في أكتننا اجتمعنا
 فراعَ الكُفْرُ من سحرِ المثاني
 قديرًا مالِكًا والكُلُّ فاني
 لغيرِ هوائِكَ ما سالتُ عُيوني
 وقد أسلفتُ ذنبًا حالَ دُوني
 وقد كثرتُ على قلبي ذُنُوبي
 إلى ربِّ السَّنا أبدًا هُروبي
 ومن فيضِ الهدى شرفي ومالي
 أضاءتُ من سنى النُّورِ اللَّيالي

فَمِنْ أَيْنَ الشُّعاعُ فَلَسْتُ أَذْرِي
 وطلَّ الفَجْرُ في الدُّنيا بِشَمْسِ
 فينْقَشِعُ الظَّلامُ ولم يُطْقِها
 رأيتُكَ خالِقي في كلِّ معْنَى
 ولولا أنتَ ما كُنَّا وكانتُ
 لقد فَجَرَتْ يَنْبوعَ المعاني
 كتبتَ لك البقاءَ فدمتَ حيًّا
 أأذري الدَّمْعَ أم تكفي شُجُونِي
 فمن نرجو سِوَاكَ ومن سَيرَ حَمِ
 نظرتُ إليك من جَنحِ الغُيوبِ
 وقد سارتُ خُطايَ على طريقِ
 إليك عَقَدْتُ بالوُثْقَى جِبالِي
 بنورِ عَلاكِ أَمْضِي في طَريقِي

الصفحة

الموضوع

٤	المقدمة.....
١٥	عبادة التعظيم.....
١٨	تعظيم الله في أمهات العبادة.....
٢٣	حقيقة تعظيم الله تعالى.....
٢٦	من معاني اسم الله العظيم.....
٢٩	من شواهد العظمة.....
٣٧	أإله مع الله؟.....
٤٠	الطريق إلى تعظيم الله تعالى.....
٤٢	تعظيم الأمر والنهي.....
٤٣	كيف نعرف الله؟.....
٤٦	معرفة جمال الله.....
٥٠	أعرف الناس بالله.....
٥١	الحمد من طرق تعظيم الله تعالى.....
٥٤	التفكير من طرق تعظيم الله تعالى.....
٥٩	وفي أنفسكم أفلا تبصرون!.....
٦٤	عناية الله الإنسان.....
٦٧	انظر حولك تأملات في الكون والآفاق.....

- ٧٢ تعظيم الله تعالى من خلال أسمائه وصفاته
- ٧٤ نظرات في الأسماء والصفات وآثارها
- ٨١ تعظيم الله في القرآن
- ٨٣ وما قدروا الله حق قدره!
- ٩٠ تجليات الله في القرآن
- ٩٣ تعظيم النبي لربه
- ٩٧ أحاديث نبوية في تعظيم الله تعالى
- ١٠٣ تعظيم الصحابة والسلف لله
- ١٠٩ أثر الذنوب والمعاصي في ضعف تعظيم الله في القلب
- ١١١ عشرة وسائل لتعظيم الله تعالى
- ١٢١ من ثمرات تعظيم الله تعالى
- ١٢١ على الفرد
- ١٢٢ على الأسرة
- ١٢٤ على المجتمع
- ١٢٦ المعاني الجامعة للأسماء الحسنى

قصائد في تعظيم الله

القصيدة	المؤلف	الصفحة
١- أسماء الله الحسنى	ابن القيم	١٣٩
٢- يا من له وجب الكمال لذاته	ابن فرس الخزرجي	١٥٠
٣- أتيتك راجياً يا ذا الجلال	أبي إسحاق الإليري	١٥١
٤- إلهي وخالقي	علي بن أبي طالب	١٥٢
٥- هو الله	علي بن أبي طالب	١٥٥
٦- يا من يرى ما في الضمير ويسمع	للسهيلي	١٥٦
٧- عفوك اللهم	الإمام الشافعي	١٥٧
٨- لك الحمد	١٥٩
٩- مع الله	عمر بهاء الدين الأميري	١٦٢
١٠- لك الأمر وحدثك	للشاعر محمد العلائي	١٦٦
١١- وإياك لا تجعل مع الله غيره	زيد بن عمرو بن نفيل	١٧٢
١٢- أسلمت وجهي إليك	زيد بن عمرو بن نفيل	١٧٣
١٣- قريح القلب	علي بن أبي طالب	١٧٤
١٤- إلهي وسيدي	رضي الدين الغزي	١٧٥
١٥- أفر إليك منك	أبو نواس	١٧٦
١٦- تبارك ذو الجلال وذو المحال	يحيى بن معاذ	١٧٧
١٧- ولكنني في رحمة الله أطمع	علي بن أبي طالب	١٧٧
١٨- إلهي أنت للإحسان أهل	على محمد الصلابي	١٧٨
١٩- عظمت صفاتك يا عظيم	الأصمعي	١٧٩
٢٠- عرفتك يا إلهي	عبد الرحمن حبنكة	١٨٢

- ٢١- أشكو إليك ذنوباً يحيى بن معاذ ١٨٦
- ٢٢- مسلم يخاطب الكون عائض القرني ١٨٦
- ٢٣- الجحود خير الدين وانلي ١٨٨
- ٢٤- يا منزل الآيات والفرقان أبو محمد الأندلسي القحطاني ... ١٩٠
- ٢٥- سبحانك اللهم مصطفى عكرمة ١٩٣
- ٢٦- سبحان من يعطي المنى ١٩٥
- ٢٧- إخلاص العبودية خير الدين وانلي ١٩٦
- ٢٨- إلهي أقلني عثرتي ١٩٧
- ٢٩- رحمتك اللهم الإمام الشافعي ٢٠١
- ٣٠- إلهنا ما أعد لك أبو نواس ٢٠٢
- ٣١- لك المجد في كل الوجود عبد الرحمن حبنكة ٢٠٣
- ٣٢- تسبيحات حازم القرطاجني ٢٠٤
- ٣٣- بكل الشوق محمد التهامي ٢٠٨
- ٣٤- رب لا يقهر خير الدين وانلي ٢١٠
- ٣٥- لله الأمر من قبل ومن بعد ٢١٢
- ٣٦- إلهي وجاهي ٢١٣
- ٣٧- سبحانك يا الله ٢١٤
- ٣٨- رب رحماك ٢١٦
- ٣٩- أطيّار مصطفى عكرمة ٢١٧
- ٤٠- يكفيك رب لم تزل في حفظه ابن قيم الجوزية ٢١٩
- ٤١- تسبح كل الكائنات بحمده ٢٢٠
- ٤٢- الله سندنا خير الدين وانلي ٢٢٢

- ٢٢٣ عبد الرحمن حبنكة ٤٣- أمن ينجيكم في ظلمات البر والبحر
- ٢٢٤ ٤٤- زهرة الروض أجيبني
- ٢٢٦ يوسف العظم ٤٥- توبة وإقبال
- ٢٢٧ ٤٦- رحماك يا ربَّ العباد
- ٢٢٨ ديوان الشافعي ٤٧- توكلتُ على الله
- ٢٢٩ ٤٨- حبيبُ القلوب
- ٢٣٠ محمد عبد الله القولي ٤٩- آيات من الدرر
- ٢٣٢ خير الدين وانلي ٥٠- الإبداع
- ٢٣٤ عبد الرحمن حبنكة ٥١- عجائب أصناف النبات
- ٢٣٥ ٥٢- سبحانك ربي
- ٢٣٦ ٥٣- قف بالخضوع
- ٢٣٨ خير الدين وانلي ٥٤- روعة الخلق
- ٢٣٩ يوسف العظم ٥٥- سبحان الله
- ٢٤٢ مصطفى عكرمة ٥٦- إلا ببابك
- ٢٤٤ إبراهيم بديوي ٥٧- بك أستجير
- ٢٤٨ د. عاتكة الخزرجي ٥٨- يسبحُك الخلقُ في كلِّ آن
- ٢٥٠ عبد الرحمن حبنكة ٥٩- يا مجيب السائلين
- ٢٥٢ خير الدين وانلي ٦٠- كتاب الكون
- ٢٥٤ ٦١- إلهي أنت تعلم كيف حالي
- ٢٥٦ يحيى بن معاذ ٦٢- حبيبي أنت رحمن
- ٢٥٧ محمود حسن إسماعيل ٦٣- ربِّ سبحانك
- ٢٥٨ محمد الحامد ٦٤- يا أرحمَ الرحماء

- ٢٥٩ عبد الرحمن حبنكة تأملات إيمانية -٦٥
- ٢٦٠ خير الدين وانلي تبارك الله -٦٦
- ٢٦٢ الشافعي ما شئت كان -٦٧
- ٢٦٣ مصطفى عكرمة يا كافل الرزق -٦٨
- ٢٦٥ ابن الوزير الصنعاني إليك جميع الأمر -٦٩
- ٢٦٦ خير الدين وانلي الكون البديع -٧٠
- ٢٦٧ محمود حسن إسماعيل يا ربنا لك الصلاة -٧١
- ٢٦٨ عبد الرحمن حبنكة يا ربّ إنني مذنبٌ أوأه -٧٢
- ٢٦٩ رابعة العدوية يا سروري -٧٣
- ٢٧٠ أبو العتاهية سبحان الله -٧٤
- ٢٧١ ابن الوزير الصنعاني أنا الفقير -٧٥
- ٢٧٣ دليل الحائرين -٧٦
- ٢٧٤ نحن العبيد وأنت الملك -٧٧
- ٢٧٥ صرفت إلى ربّ الأنام مطالبني -٧٨
- ٢٧٦ عفوك اللهم -٧٩
- ٢٧٦ محمود سامي البارودي يا عظيم النعم -٨٠
- ٢٧٧ المقري إليك أفرُّ من زللي -٨١
- ٢٧٨ عائض القرني رأيتُ الله -٨٢

« التجهيزات الفنية والطباعة



مطابع الفسطاط
الحديثة بالقاهرة
ت : 00966505229353